أحمد كسروي تبريزي



خمسة قرون من تاريخ إقليم

(الأحواز-عربستان-خوزستان)

تقديم وتدقيق وتحقيق ودراسة

الأستاذ المتمرس الدكتور

عبد الرحمن كريم اللامي

خمسة قرون من تاريخ إقليم (الأحواز- عربستان- خوزستان)

تقديم وتدقيق وتحقيق ودراسة الأستاذ المتمرس الدكتور
عبد الرحمن كريم اللامي

دار ومكتبة عدنان

الطبعة الأولى : 2024
978-9922-732-41-1
رقم الإيداع 3313 لسنة 2024
القياس : 17×24
عدد الصفحات: 270

منشورات دار ومكتبة عدنان
للطباعة والنشر والتوزيع
العراق - بغداد - شارع المتنبي

SCAN ME
AdnanPublishing
adnanlilbarary8865
دار ومكتبة عدنان
adnanpublisher97@gmail.com

خمسة قرون من تاريخ إقليم
(الأحوَاز - عربستَان - خوزستَان)

سهل وتل وأعشاب وأنهار
تعددت الأسماء والرب نصَّار

تأليف
أحمد كسروي تبريزي
1890 - 1946م

تقديم وتدقيق وتحقيق ودراسة
الأستاذ المتمرس الدكتور
عبد الرحمن كريم اللامي

2024

دار ومكتبة عدنان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ
يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨﴾

[الأعراف:١٢٨]

التمهيد

ولد أحمد مير قاسم مير أحمد أَحمد كسروي تبريزي في مدينة تبريز، عاصمة إقليم أذربيجان شمال غرب ايران سنة (١٣٠٨هـ ١٨٩٠- ١٩٤٦م)، وتلقى تعليمه فيها بصورة متقطعة، وامتهن بعض المهن الشائعة في منطقته، لمواجهة متطلبات الحياة المعاشية، وكانت أسرته ضعيفة الحال، فكان يعمل في محلات نسيج السجاد والبسط التي تشتهر فيها ايران، وكان يجمع أحياناً بين المهنة العملية والدراسة، في مطلع القرن العشرين الميلادي، بدأت تنتشر في البلاد الايرانية افكار الثورة الدستورية، التي تدعو إلى التحرر من النظم الدكتاتورية القمعية التي كان يعتمدها النظام الملكي القاجاري والتخلص من بعض التقاليد والقيم الشعبية التي أثرت في تطور المجتمع الايراني نحو الحضارة الحديثة إلى جانب الدسائس والفتن والاضطرابات التي عمّت البلاد الايرانية، نتيجة التدخل الأجنبي الأوربي تقوده بريطانيا وروسيا وغيرهما من الدول الأوربية، الذي رافق الثورة الصناعية وحركة الحداثة التي عمت أوربا على نحو تدريجي منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي، أخذت الدول الأوربية الصناعية تفتش عن الأسواق التجارية، والمواد الخام والمعادن والطاقة والطرق والمصالح والنفوذ بكل صوره وأنواعه في الشرق، وأخذ سعيها يتضاعف بمرور الزمن، وتطور الحركة الصناعية والعلمية والتجارية، وكانت ايران واحدة من البلدان التي لحقها التدخل الأوربي في معظم مصالحها وسيادتها، حتى بلغ أوجه في أواجر القرن التاسع عشر الميلادي ومطلع القرن العشرين، وعلى الأخص في حكم الدولة القاجارية (١٢٠٠ - ١٣٤٣هـ- ١٧٨٥- ١٩٢٤م)[1].

---

(١) الوجيز في تاريخ ايران ج٣، ص١٧٧، ٢٣٦، ٤٧٧.

وفي عام ١٩٠٦ انضم أحمد كسروي إلى جماهير الثورة الدستورية وكان مفتوناً بالحركة الدستورية، توجه في عام ١٩١٦م إلى باكو عاصمة اذربيجان الغربية، والتحق هناك بالدراسة الجامعية قسم القانون، وارتبط بالحزب الديمقراطي هناك.وبعد تخرجه من الجامعة اتيح له التعين بوظيفة في وزارة العدل بعد عودته إلى تبريز، وأخذ يتنقل من تبريز وطهران، أثر الفكر السياسي الحديث الثوري والاشتراكي الديمقراطي الأوربي في عموم المجتمع الايراني، وكذلك الفكر الماركسي اللينيني بعد ثورة ١٧ اكتوبر في روسيا، الذي ترك تأثيراً مباشراً في المجتمع الايراني وأدى إلى ظهور حركات سياسية وجمعيات ومنظمات تطالب بالحياة الدستورية والبرلمانية، واصلاح أحوال المجتمع، وتحديد صلاحيات الأسرة الحاكمة والحكومة، وتوزيع الثروة والانفتاح على المجتمع، والانصراف عن الحروب، وإعادة النظر في كثير من القيم والتقاليد الاجتماعية والدينية، أخذت المبادئ الحديثة طريقها إلى ذهن الكاتب وتركت آثاراً في مسيرته، فساند المتطرفين أحياناً، وانتقل إلى المعتدلين أحياناً أخرى، وبدأت عنده على نحو متهور أو متغطرس مواهب الكتابة، والتأليف والمقالات الصحفية، فوظف مواهبه على نحو عشوائي غير متزن لغرض الوصول إلى أصحاب القرار السياسي في مراكز السلطة مهما كان شكلهم وتوجههم، وسرعان ما بدأت تظهر عنده شطحات وانحرافات وغرور المتطرفين، في توظيف مواهبهم النادرة وقدراتهم الفائقة في أمور تجلب عليهم وعلى غيرهم الويلات، وأحياناً تأتي بالثمار اليانعة والخيرات الحسان لأنفسهم ولمجتمعهم، وقد يقع اصحاب تلك المواهب والقدرات النادرة والاندفاعات المتواصلة، فريسة لكبار الدهاة واصحاب المشاريع العملاقة في السياسة والاقتصاد والسيطرة وبسط النفوذ ونشر الفوضى وخلق الاضطرابات والنزاعات، فيضعون قدراتهم ومواهبهم وخبراتهم ومناوراتهم ومغامراتهم في خدمة لأصحاب تلك المنطلقات التي كثيراً ما تلحق بهم تضحيات ضخمة في الأفراد والجماعات وفي أمور لا تحمد عقباها.

هذا فعلاً ما جرى على الكاتب أحمد كسروي، الذي قدّم حياته ضحية لمسيرته الثقافية العشوائية العرجاء العوجاء، وقد أشار من ترجم لمسيرته المهنية والثقافية والسياسية، أنه كتب عشرات المقالات والكتب في عدد من الموضوعات السياسية والفكرية والعقائدية والاجتماعية والدينية ضمنها آراءه الشخصية واجتهاداته الخاصة، التي تفتقر إلى المراجع الرصينة ذات الاختصاص ولكن معظم مؤلفاته ودراساته ومقالاته يجمع بينها مبدأ رئيس واحد هو (خالف تعرف) و (تطرف تبرز وتتميز).

تدرج في العمل الوظيفي حتى وصل إلى رتبة مفتش عام في وزارة العدل، ولم يمكث في هذا المنصب طويلاً، فقدم استقالته واشتغل محامياً، تخلصاً من القيود الرسمية والعقبات الوظيفية، التف حوله عدد من الشباب قصيري النظر وقليلي التجربة وغيرهم الذين تحركهم الشعارات البراقة والدعايات الجذابة، كانت البلاد من مطلع العشرين تعيش مخاضاً سياسياً وفكرياً بين أبنائها والسلطة الحاكمة، وصراعاً محتدماً بينها وبين الدول الأجنبية التي بسطت نفوذها على كثير من مصالح البلاد الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وأخذ تتدخل وتتنافس بينها في كل صغيرة وكبيرة، وفي خضم تلك الأحداث المتسارعة، تسللت شخصية ضائعة متسولة في أزقة المدن ومتنقلة بين رعاة الخراف والحيوانات من إحدى القرى النائية، بالانتماء إلى الجيش كجندي عادي، فتعلق بهذه الوظيفة باخلاص لأنه لا يمتلك شيئاً قبلها تحقق آماله أو يشغل نفسه فيه، فالتزم بأوامر الجندية على ما يرام رغم قساوتها حتى بلغ رتبة ضابط ضمن حماية أحد كبار الضباط الذي لمس فيه الطموح والتضحية والأخلاص له فأغدق عليه رعاية خاصة لقاء تلك الخدمة المتفانية، وإذا بتلك الشخصية المغمورة تضفر برتبة ضابط في وحدة القوزاق، وتيسر له الأقدار التدرج في سلم الرتب العسكرية في الجيش بسرعة فيمنح رتبة فريق ثم وزير دفاع وقائد عام للقوات المسلحة الايرانية بتاريخ ١٩٢١/٥/٢٥، وبدأ يستولي على مقدرات البلاد شيئاً

فشيئاً حتى توج عاهلاً وراثياً للامبراطورية الايرانية بتاريخ نيسان ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م بعنوان (ملك الملوك الشاه آريا مهر امبراطور ايران)[١].

هكذا تقول الأحداث التي أطلت على ايران في الربع الأوّل من القرن العشرين الميلادي، وماذا نتوقع من هذا الامبراطور الذي اختصر كل المراحل وحكم هو وأبنه مدة (٥٥) خمسٍ وخمسين سنة البلاد الايرانية، بالأساليب العدوانية.

حشد الشاه الجديد حوله المئات من الاتباع والكتاب والمريدين والجواسيس والسلوكيات، لتأييد حكمه وسياسته، والنيل من معارضيه ومخالفيه وارسل في كل ولاية أو اقليم أو مقاطعة من البلاد الايرانية ما يناسبها من الموظفين والصحفيين والكتاب الذين تتضاءل عندهم الروح الوطنية ليعملوا على إثباط الروح الوطنية التحررية عندهم وتشتيت جمعهم في مقاومة الظلم والطغيان، وكان أحمد كسروي تبريزي واحداً من اولئك الكتاب الذين خدموا الشاه البهلوي كثيراً في كتاباتهم التي في ظاهرها التطرف الوطني وباطنها تشتيت وحدة المجتمع لكي لا يلتفت لسياسة البهلوي الرعناء [٢].

كانت كافة الولايات أو الاقاليم الايرانية تعيش كلها حالات استثنائية، بين مطالب الشعب التحررية والضغوط والتدخلات الأجنبية، وسياسة الدولة الايرانية الداخلية مع ابناء الشعب، فقد حشد نظام الشاه بكل ولاية واقليم من الدولة الايرانية ما يناسبه، من التجسس والمراقبة والسجون، والاعتقالات وكم الافواه والتشديد في المحاسبة والمتابعة فاختار النظام (احمد كسروي) الموظف في وزارة العدل وصاحب المواهب الكتابية والصحفية والاستخبارية، لدراسة ظروف وأحوال اقليم الاحواز، فذهب إلى هناك بصفة مفتش في وزارة العدل، ومكث في المنطقة لمدة سنة ونصف ابتداء من بداية عام ١٩٢٢، وأخذ ينتقل بين مدن وقرى وسكان الاقليم، ويتصل بشيوخ العشائر

---

(١) موسوعة تاريخ ايران السياسي جـ٤، ص٤٢ - ٦١، حسن كريم الجاف، بيروت، ٢٠٠٨م.

(٢) التاريخ السياسي لإمارة عربستان، د.مصطفى عبد القادر النجار، طبعة القاهرة، ١٩٧١م.

خاصة الشيخ خزعل بن جابر الكعبي واسرته وحاشيته، وكان الشيخ المتنفذ الرئيس في الاقليم [1]، وتربطه علاقات وثيقة مع بريطانيا والحكومة الايرانية والدولة العثمانية والحكومات العربية القائمة آنذاك، وكان عنده طموح أن يحصل على اعتراف بريطانيا باستقلال دولته مثلما اعترفت بعدد من دول الجزيرة العربية والخليج العربي، وصارت كيانات سياسية مستقلة، وهذا الهدف يصطدم دائماً مع المصالح الايرانية منذ قيام الدولة الصفوية في مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي إلى الآن، حصل أحمد كسروي على معلومات كافية عن واقع مجتمع اقليم الاحواز في ذلك الوقت، وقدمها إلى حكومة الشاه رضا البهلوي، ثم بدأ بعد ذلك يكتب مقالات ودراسات عن أحوال سكان المنطقة وأصولهم ودياناتهم واقتصادهم وأمور أخرى كثيرة بما يوافق توجهات حكومة الشاه البهلوي .

ثم أخذت حكومة الشاه تنفذ سياستها تجاه الاقليم واحتلته بشكل عام وحكمته حكماً عسكرياً مشدداً واعتقلت الشيخ خزعل وحاشيته في طهران لحين وفاته عام ١٩٣٥ وصادرت كل ممتلكاته وامتيازاته والغت كل امتيازات الادارة الذاتية التي كان يتمتع بها الاقليم، وبدلت اسمه من اسم الاحواز أو عربستان الى اسم (خوزاستان) اسم من دون مسمى! أين هم الخوز في أيّ قرية أو مدينة أو جبل أو سهل يقيمون...؟ بعد ذلك عمد احمد كسروي إلى جمع المقالات والدراسات الصحفية في كتاب واحد بعنوان (خمسة قرون من تاريخ خوزاستان) وألف كتباً أخرى معظمها مثير للجدل والفتن منها مثلاً كتاب (التشيع والشيعة) ألف تلك الكتب بناء على رغبات وميول آخرين، بعد أن وجدوا في قلمه السيال السير في مختلف الاتجاهات، دون رابط من ضمير أو اخلاق أو حسابات أو مشاعر انسانية واجتماعية ما دام الثمن المادي يدفع له مقدماً، فتحول إلى كاتب مرتزق دون أي اعتبارات اخلاقية أو انسانية.

---

(١) زيادة في المعلومات: اقرأ كتاب حكم الشيخ خزعل بن جابر واحتلال امارة عربستان - وليم تيودور سترك - ترجمة د.عبد الجبار ناجي، طبعة البصرة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

ما أردت التعليق عليه على نحو خاص هو كتاب (خمسة قرون من تاريخ خوزاستان) وكتاب (التشيع والشيعة) أما بقية مؤلفاته فهي بحاجة إلى دراسات أخرى للرد عليها وقد تجاوزها الزمن، نقف عند كتابه (خمسة قرون من تاريخ خوزاستان) فقد أرَّخَ لأحوال الاقليم السياسية والاجتماعية منذ منتصف القرن التاسع الهجري، منتصف القرن الخامس عشر الميلادي حتى نهاية النصف الأوّل من القرن الرابع عشر الهجري نهاية الربع الأوّل من القرن العشرين الميلادي، وتناول في تلك الحقب تاريخ حكم الدولة المشعشعية التي أسسها السيد محمد بن فلاح الواسطي العراقي بتاريخ ٨٤٤هـ.

في إقليم الأحواز وجنوب العراق، وتولي الحكم فيها هو وأولاده وأحفاده، وكان نفوذ وقوة وسيادة تلك الدولة يتراوح بين القوة والاتساع والضعف والتراجع حتى قوضت في مطلع القرن العشرين الميلادي مطلع القرن الرابع عشر الهجري، وتناول في الجزء الثالث من الكتاب تاريخ حكم دولة أو امارة كعب في جنوب غرب الاقليم ثم الاقليم كله، من مطلع القرن السابع عشر الميلادي الحادي عشر الهجري حتى نهاية الربع الأوّل من القرن العشرين الميلادي منتصف القرن الرابع عشر الهجري [1].

اعتمد على عدد من المصادر التي كتبت عن تاريخ الاقليم وحكم الدولتين المشعشعية والكعبية، وكانت قريبة من الأحداث، منها: تاريخ الغياثي البغدادي وتاريخ الرحلة المكية والدولة المشعشعية، وتاريخ كعب، وكتاب زاد المسافر ولهفة المقيم والحاضر وكتاب السيرة المرضية وتاريخ حديقة الزوراء وكلشن خلفاً وتذكرة شوشتر وغيرها من المصادر الفارسية والتركية والعربية.

(١) زيادة في المعلومات أقرأ: الاحواز في أدوارها التاريخية، - ٨ - أجزاء، علي نعمة الحلو، تاريخ المشعشعين وتراجم أعلامهم - جاسم شبر - طبعة بيروت، التاريخ السياسي لإمارة عربستان، د. مصطفى عبد القادر النجار، طبعة القاهرة، ١٩٧١م، الرحلة المكية والدولة المشعشعية، علي بن عبد الله الحويزي، طبعة بغداد، ٢٠٢١م.

أما محتويات الكتاب فهي واضحة جداً، والغاية تبرر الوسيلة، ويمكن اجمالها بفقرات قليلة: هو لم يؤلف هذا الكتاب طلباً للحقيقة كمؤرخ موضوعي ويلمس ذلك كل من يطلع على الكتاب على نحو واضح، بدأ حديثه على سكان الاقليم فتجاهل اصل وجودهم وأنهم مجموعة اعراب متناثرين في زوايا الاقليم مجهولي الأعراق والانساب، وليس لهم وزن وتأثير اجتماعي وسياسي في المنطقة، وقد تجاهل أو تناسا ما دونه التاريخ الإسلامي في عصوره الأولى بعد الفتح الإسلامي وقبله عن عرب اقليم الأحواز، ثم عمد إلى تغيير اسم الاقليم من احواز إلى اخواز واحياناً إلى عربستان، فكرر اسم (خوزستان ٥٠٠) مرة في البحث في حين ذكر اسم الاحواز (٦٠) مرة ويقصد بها مدينة الاحواز في وسط الاقليم وعاصمته وكثيراً ما تسمى الاقاليم باسماء عواصمها، وذكر اسم (عربستان) ١٠ عشر مرات، وتكرار الاسم أو المصطلح في الدراسات تعني التركيز عليه ثم نجده يقف في حيرة في مراحل كتابه البحث عن الاختلاف في التسمية، فيذكر أنه ورد للاقليم ثلاثة اسماء هي (احواز واخواز وعربستان) ثم يضطر إلى تقسيم الاقليم جغرافياً إلى ثلاثة مناطق أو مقاطعات ويذكر أن البلدانيين والجغرافيين قبل الحكم الصفوي كانوا يسمون الاقليم باسم (اقليم الاحواز) فلما جاء الصفويون وتجاوزوا على سيادة الاقليم واقاموا علاقة خاصة مع المشعشعين حكام الاقليم آنذاك في مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي سموا الاقليم (عربستان) ويراد به بلاد العرب وهو امتداد لعرب العراق والجزيرة العربية واستمر هذا الاسم حتى بداية حكم الشاه رضا البهلوي المعروف بشدة تعصبه العنصري والدكتاتوري فاطلق كلمة (خوز) على الاقليم كله فسمي (خوزستان) ولكن أين هم الخوز في أي زاوية أو سهل أو هضبة من مناطق الاقليم - فلو اطلع الكاتب على معاجم البلدان لأغنته عن هذه الفوضى في الظنون ..فلنحتكم إلى بعض المعاجم البلدانية ونرى ما تقول: قال ياقوت: الأحواز آخره زاي، وهو جمع حوز، وأصله حوز، فلما كثر استعمال الفرس لهذه اللفظة غيرتها حتى أذهبت أصلها جملة، لأنه ليس

في كلام الفرس حاء مهملة، وإذا تكلموا بكلمة فيها حاء قلبوها هاء، فقالوا في حسن هسن، وفي محمد مهمد، ثم تلقفها العرب وقلبت بحكم الكثرة في الاستعمال، وعلى هذا يكون الأحواز اسماً عربياً يسمى به في الإسلام، وكان اسمها في ايام الفرس خوزستان مواضع يقال لكل واحد منها خوز كذا، منها خوز بني اسد وغيرها، فالاحواز اسم الكورة بأسرها، وأما البلد الذي يغلب عليه هذا الاسم عند العامة اليوم فإنما هو سوق الاحواز، وأصل الحوز في كلام العرب مصدر حاز الرجل الشيء يحوزه حوزاً إذا حصله وملكه، قال ابو منصور الأزهري: «الحوز في الأرضين أن يتخذها رجل ويبين حدودها يستحقها فلا يكون لأحد فيها فذلك الحوز، هذا لفظه»[1].

وسمتها العرب سوق الاحواز يريدون سوق هذه الكورة المحوزة أو سوق الاخواز، بالخاء المعجمة، لأن أهل هذه البلاد قبل الإسلام كان يقال لهم الخوز[2].

وقد تناول الجغرافيون العرب وغيرهم هذا الاقليم بالدراسة بما يتناسب لكونه جزءاً من الوطن العربي، له من الخصائص والصفات ما تجعله موضع عنايتهم.

قال ابن حوقل: وما كان من حدود عبادان [3]، إلى الأنبار مواجه لنجد والحجاز فمن بادية العراق...وأما المسافات بديار العرب فإن الذي يحيط بها من عبادان إلى البحرين نحو إحدى عشرة مرحلة، ومن البحرين إلى عُمان نحو شهر...ومن الكوفة إلى البصرة اثنتا عشرة مرحلة، ومن البصرة إلى عبادان مرحلتان [4].

ويوضح الكاتب نفسه بشيء من التفصيل حدود الاقليم وأهم مدنه والمسافات بين هذه المدن وطرق المواصلات [5].

---

(١) معجم البلدان، ١/ ٢٨٤.

(٢) المصدر نفسه، ١/ ٢٨٥.

(٣) وهي احدى مدن اقليم الاحواز.

(٤) صورة الأرض، ص٥٩.

(٥) المصدر السابق، ص٢٢٥ - ٢٣٣.

وقال المقدسي: «الأحواز هو مصر الاقليم، أي عاصمته إلاّ أنه خزانة البصرة ومطرح فارس واصبهان، وبه قباسير حسنة وأخباز نظيفة وآدام، وبه تجتمع الخزور والديباج، وإليه تحمل البضائع والأموال وهو مغوثة وفرجة للتجار ومنهل عامر لكل مار، واسمه كبير في الاقاليم والامصار»(1).

وقال صاحب الروض المعطار: «والاحواز موضع يجمع سبع كور»(2).

إنّ نظام الشاه غير أسماء كافة المناطق والمدن والمواقع العربية في الاقليم باسماء أخرى كما يحلو له واطلق على عرب الاحواز اسم (عرب زبانة) أي عرب لسان فقط وليسوا عرب اصالة وتاريخ ومجد، يكونون مع اخوانهم من الدولة الايرانية مجتمعاً كبيراً يتكون من عدة مكونات تجمعهم الرابطة الوطنية والاعتراف بالآخر، واحترام حقوقه وواجباته بكل صورها، وفي عصرنا الحاضر تعدد المكون الاجتماعي في معظم دول العالم الكبرى سمة مشهورة ومقبولة ما داموا يعملون تحت راية الوطن الواحد، وصيانة حقوقهم ومصالحهم، والعلاقة بين عرب الجزيرة العربية والعراق والاحواز والمجتمع الايراني قبل الاسلامي وبعده علاقة عريقة ومتينة وايجابياتها أكثر باضعاف من سلبياتها، وكانت علاقة الامبراطورية الساسانية الفارسية بالامارات والمشيخات العربية قبل الاسلام متينة، وكان كسرى ملك الفرس يستأنس بلقاءاته مع الامراء والمشايخ العرب، ويلبي طلباتهم في معالجة بعض متطلبات الحياة، وهذه قصة حاجب بن زرارة وقوسه مشهورة في التاريخ، وقصة سيف بن ذي يزن مع كسرى تداولتها كتب التاريخ حينما ارسل كسرى الفي مقاتل من الفرس لتحرير اليمن من الاحباش مع سيف بن ذي يزن، وبقوا هناك بعد التحرير مع قائدهم حتى أدركوا الإسلام واسلموا مع أهل اليمن حينما دخلوا الإسلام، وكان عرب العراق والأحواز حلفاء الفرس في حروبهم ضد الروم، وبعد الفتح الإسلامي للعراق والبلاد الإيرانية كان

(1) أحسن التقاسيم، ص٤١٠.

(2) الروض المعطار، ص٦٢.

الفرس شركاء العرب في الفتوحات الإسلامية الشرقية ووسط آسيا، وكان للفرس اليد الطولى في تأسيس الدول العباسية وإدارتها حتى نهايتها، وكان معظم وزراء الدولة العباسية من الفرس لمهارتهم الإدارية، وكانت مشاركة الفرس في التراث الثقافي والعلمي العربي والإسلامي في مختلف العلوم والفنون والثقافة العامة مشاركة جادة، وموضع فخر واعتزاز الجميع تحت راية الإسلام.

إذن لماذا هذا التحامل والتجاوز على عرب الاحواز من قبل هذا الكاتب الموتور الذي وضع نفسه وقلمه في خدمة اصحاب الأغراض الضيقة الذين لا تستقيم أمورهم السياسية إلاّ بالتفرقة والتجاوز على حقوق الآخرين.

فهذا شعب الهند يتحدث بعشرات اللغات ويعتقد بعدد من العقائد، وشعب الصين والاتحاد الروسي والاتحاد الاوربي وغيرهم.

أما طريقته في التعامل مع مسيرة دولة المشعشعين التي تأسست في منتصف القرن التاسع الهجري منتصف القرن الخامس عشر الميلادي فكانت طريقة غير سليمة ومبنية على الانتقاء ومتسرع في الاحكام على سياسة الحكام المشعشعين، وينعتهم بأقبح النعوت ويركز على الجوانب السلبية بشكل مطلق.

ابتدأ بسيرة مؤسس دولة المشعشعين السيد محمد بن فلاح الواسطي العراقي فيصفه بأسوأ الصفات، وفي مقدمتها الكذب والتزوير والشعوذة والبهتان وسفك الدماء...الخ ثم يتسلسل في سيرة ملوك وأمراء دولة المشعشعين بصورة مختصرة جداً، بفقرة واحدة أو عدة اسطر لا تفي بالغرض، حتى آخر عهدهم مطلع القرن العشرين الميلادي، ويؤكد على الجوانب السلبية بالدرجة الأولى، ويتجاهل ما قدمه المشعشعيون من انجازات سياسية وحضارية وثقافية في اقليم الأحواز وجنوب العراق، وثبتوا كياناً سياسياً عربياً إسلامياً بين حكومتين متنازعتين هما دولة الخروف الأبيض ودولة الخروف الأسود، ثم ثبتوا بين امبراطوريتين متنافستين ومتحاربتين هما الدولة العثمانية في الأناضول والدولة الصفوية في إيران وما تبعها من حكومات في

الدولة الايرانية، وقد قدم المشعشعيون انجازات مهمة في البناء الحضاري، فأنشأوا مدناً وجداول وجسور وعشرات المدارس والمكتبات، وتحولت مدينة الحويزة والأحواز وتستر والفلاحية والدورق والبصرة إلى مراكز علمية في المنطقة واستقبلت العشرات من العلماء، وطلاب العلوم والمشايخ حملت أسماءهم كتب التراجم ومؤلفاتهم المكتبات.

وما كتبه عن امارة كعب في الفلاحية والمحمرة، ولا يختلف كثيراً عما كتبه عن امارة المشعشعين ويطرح تساؤلات غريبة عن قبيلة كعب وحلفائهم في الاقليم والمنطقة، ويحاول أن ينسبهم إلى أمم وشعوب خارج الاقليم والعراق والجزيرة العربية، وينكر عليهم دفاعهم باخلاص عن ارض اقليمهم وتفاعلهم الحضاري والاجتماعي والثقافي مع المجتمع الايراني، ويتجاهل المواقف السلبية التي وقفتها بعض الحكومات الايرانية تجاههم حينما يطالبون بأي حق من حقوقهم الإنسانية، فتعاملهم الحكومة الايرانية بالقتل والسجن والابعاد والجلاء مشياً على الاقدام إلى شمال ايران.

تشير الدراسات التي ارخت لمسيرة قبيلة كعب التاريخية، أنها كانت احدى القبائل العربية في جنوب الفرات، وفي مطلع القرن السابع عشر الميلادي الحادي عشر الهجري دخلت القبيلة في تحالف مع حكومة والي البصرة افراسياب الديري واستقروا على ضفاف شط العرب وكارون وفي مدن قبان والدورق والفلاحية والمحمرة وكانت تلك المواقع ضمن ممتلكات ولاية البصرة التابعة إلى الدولة العثمانية اسمياً وتتمتع بادارة ذاتية شبه مستقلة حتى نهاية حكومة آل افراسياب عام ١٠٧٨هـ وبعد نهاية حكم آل افراسياب كانت القبيلة قد فرضت وجودها كقوة مؤثرة بين القبائل العربية في الاقليم، وفي مطلع القرن الثامن عشر الميلادي الثاني عشر الهجري حينما بدأ نجم ولاية او امارة الحويزة بالافول، بدأ نجم ولاية كعب بالظهور وظهرت كقوة عسكرية واقتصادية في الاقليم وجنوب العراق وشمال الخليج حتى وصلت

إلى دولة عُمان في جنوب الجزيرة العربية، وأخذت الحكومتان الايرانية والعثمانية تحسب لها الحسابات لأهميتها واستمرت بالقوة والمنعة بحيث توحدت ادارة ولاية اقليم الاحواز تحت راية وولاية امارة عربستان وقبيلة كعب وحلفائها، حتى حشدت عليها حكومة رضا شاه بهلوي قواتها واحتلتها بأجمعها وأسقطت حكومة الامارة في الاقليم بقيادة الشيخ خزعل بن جابر الكعبي عام (١٣٤٦هـ - ١٩٢٥م)، واعتقلت الشيخ المذكور بطريقة لصوصية في طهران حتى وفاته ١٩٣٥م وصادرت حكومة الشاه كافة امتيازات الاقليم السياسية والادارية والاقتصادية وصار يدار مباشرة من قبل حكومة طهران المركزية بغض النظر عن كل اعتبارات أخرى لحد الآن...[١].

ماذا نتوقع من المجتمع كيف يواجه سياسة الحرمان والتعذيب والقتل وتجاهل الآخر...؟

ولم يعلق الكاتب أحمد كسروي في كتابه المعروض أمامنا ولو بسطر واحد على تصفية الحكم العربي للأقليم واعتقال الشيخ خزعل ورفض القبائل ومجتمع الاقليم لتلك السياسة العدوانية.

المعروف أن اعلام المبدعين والعلماء حينما يقدم على تقديم انجازاً علمياً أو ثقافياً متميزاً لا بد أن يقدم على عرض موضوع غاية في الأهمية، ولكن كثيراً من الناس في غفلة عنه فإذا كتب فيه المبدع سوف يجعله في متناول افكار وأنظار طالبي الحقيقة والمعرفة، انتصاراً للحقيقة وفضيلة المعرفة والعلم، مثلاً أن الفيلسوف الامريكي (مايكل هارد) ألف كتاباً عن أهم مائة رجل في العالم منذ أن خلق الله ﷻ الإنسان حتى منتصف القرن العشرين الميلادي والبحث ترجمة الأستاذ (انيس منصور) عام ١٩٧٨ إلى اللغة العربية بهذا العنوان: (المائة الأكثر تأثيراً في التاريخ) أو (الخالدون المائة) في هذا الكتاب جعل الكاتب الأمريكي المسيحي النبي

(١) البدو.

محمد ﷺ الأول على الجنس البشري ويذكر الأسباب.!!

الفيلسوف الألماني (فختة) يحفظ سوراً من القُرآنِ الكَرِيم ويحتفل في ليلة القدر لأن القُرآنِ الكَرِيم نزل في هذه الليلة المباركة واعتزازاً لهذا الكتاب الرباني المقدس نراه يتعلق به ويدرسه.

ألف الباحث والمفكر القدير (جورج جورداغ) كتاباً بعنوان (صوت العدالة الإنسانية) بخمسة مجلدات تزيد صفحاتها على الألفي ورقة عن سيرة الإمام علي عليه السلام وصحابة الرسول الأعظم ﷺ.

ونظم الشاعر بولص سلامة قصيدة ملحمية (بخمسين ألف بيت) شعر بعنوان ملحمة الغدير.

هذه الموضوعات التي كتب فيها أولئك العلماء اذكرها تمهيداً للحديث عن الكتاب الآخر الذي قدمه أحمد كسروي للمعجبين بمؤلفاته غير المفيدة والفوضوية ذلك هو كتاب (التشيع والشيعة) وكأنه (نيوتن) الذي قدم كتاب الجاذبية أو انشتاين الذي قدم النظرية النسبية أو (برنادشو) في مسرحياته الساخرة.

في مقابلة هؤلاء الأفذاذ قدم أحمد كسروي كتاباً نادراً عن طائفة مجهولة مذكورة في عالم الخيال في احدى جزر الواق واق أو البحر الكاريبي أو الفلبين...!!

على المعجبين بكتابه الذي ألفه بعنوان (التشيع والشيعة) وقد فصله فصولاً الاطلاع على مؤلفات أراء المختلفين معه ومنها أن أذكر فقرة أو فقرتين للرد على بعض ما تضمنه الكتاب، إنّ كلمة شيعة التي وردت في المعجم اللغوي العربي تعني الاتباع أو الاصحاب أو المريدين وهي تصلح أن تطلق على كل جماعة بغض النظر عن الدين أو المذهب أو الحزب،...وفي تراثنا الإسلامي تقرن الأشياء بأصحابها دائماً، والتقويم الإسلامي لفعل الخير أو الشر وأرد حتى في الذرّة وما دونها! وقد ورد في الحديث الشريف: [من نطق بالشهادتين عصم نفسه وماله وعرضه].

والمسلمون على تعدد مذاهبهم وفرقهم وعناصرهم كلهم موحدون، ولهم نبي

واحد وكتاب واحد وقبلة واحدة وموسم حج واحد وفريضة صلاة واحدة خمس مرات في اليوم وزكاة واحدة لمن يقدر عليها، ودرجة الالتزام بهذه الواجبات في الاداء تختلف من انسان إلى آخر ولا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها إلاّ أنها في الجوهر واحدة... فبقى الخلاف بين المسلمين حسب اجتهادات العلماء المختصين بالفقه الإسلامي بالفروع بين الواجب والمستحب..مثل كيف تبيع وكيف تشتري، كيف تغتسل وتتوضأ..ومعظم سلوك الإنسان اليومي فيه توجيه رباني.

أمّا مذهب الشيعة الذي وضع فيه أحمد كسروي كتاباً محملاً بالشتأم والذم والقذف والتهتر، لا يختلف عن بقية المذاهب الإسلامية من ابواب العبادات والمعاملات والحلال والحرام والكبائر والصغائر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما يحصل من سلوكيات غير منطقية لدى العوام فهي مرفوضة عند كافة المسلمين، وقد تسربت إلى المجتمع الإسلامي بعض السلوكيات نتيجة قرون من الجهل والضياع عاشته الأمة الإسلامية على أيدي الغزاة والطامعين من كل حدب وصوب، من الممكن التخلص منها في مسيرة التطور الحضاري في كافة المذاهب الفقهية الإسلامية لأن المسلمين أخوة.

ولنعد إلى نسبة الشيعة الإمامية أو الأثنى عشرية إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فهي ليست غريبة وقد حصلت في عهد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعض الاجراءات لتقوية أواصر الصداقة والأخوة بين المسلمين، باشراف الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فقد آخا بين المهاجرين والانصار وعموم المسلمين ومنح عدداً من الصحابة القاباً وكنئ الغاية تقوية العلاقة الأخوية بين المسلمين لمواجهة الأحداث من حوله فقال مثلاً سلمان منا أهل البيت عن الصحابي سلمان الفارسي ووصف الزبير بن العوام بأنه حواري رسول الله... وخالد بن الوليد سيف الله وأبا عبيدة امين الله...وغيرهم، وقد تفاوت تواريخ انتماء الصحابة للإسلام، بعضهم اسلم في العام الأوّل من البعثة وبعضهم أسلم في آخر أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تفاوت أيضاً قدرات

الصحابة وتضحياتهم في الذود عن الإسلام ودرجات التزامهم بتنفيذ أوامر الباري ﷻ والرسول ﷺ، ولا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها.

ودرجة التزامهم بتنفيذ الأحكام الشريعة بعضهم ينفذ الحكم الشرعي بدون مناقشة والآخر يتراخى قليلاً، وبناء على ما تقدم يعد الامام علي عليه السلام النموذج الأوّل بعد الرسول الأعظم ﷺ في فهم الإسلام، ومستوى التضحية والالتزام بالارادة الربانية وبسبب هذا الالتزام القوي الذي لا يجامل على تنفيذ الأحكام الشرعية والتضحية والفداء والفتوة والزهد الذي تميز به الامام علي عليه السلام، ظهر من بين الصحابة على عهد رسول الله ﷺ من تعلق به وأحبه واقتدى به وسار على خطاه لوجه الله ﷻ، فسموا هؤلاء شيعة علي عليه السلام مثل المقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وسلمان المحمدي والفضل بن العباس وعبد الله بن العباس وهاشم المرقال ابن أبي وقاص وحجر بن عدي الكندي ومالك الأشتر وعدي بن حاتم الطائي...الخ، وهذا التوجه من هؤلاء الصحابة وجماهير غيرهم له ما يبرره، لنذهب إلى رأي أحد كبار الفقهاء ومفسري القُرآنِ الكَريم الفخر الرازي، الشافعي صاحب كتاب التفسير الكبير، ولنطلع على مناقشة أجراها بخصوص أية الرحمة التي تبدأ بها كل سورة من القُرآنِ الكَريم عدا سورة التوبة أو براءة وهي البسملة...هل الواجب والأفضل الجهر بها أو اخفاتها في الصلاة في تلاوة سورة الفاتحة؟ وكان من عادة هذا المفسر الكبير حينما يقف على نص قرآني تتعدد في تفسيره الآراء، يستعرض كل الآراء ثم يختار الرأي الذي يراه مناسباً أو هو أفضل الآراء، وبعد مناقشته تلك الآراء لأية البسملة قال ثبت عندي بالتحقيق أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان يجهر بأية البسملة قبل سورة الفاتحة وهي جزءٌ منها وهو الصحيح ومن أخذ دينه عن علي فقد فاز...!! والمفسر الكبير وهو يناقش هذه المسألة لا بد أنه وضع أمامه تضحيات ومواقف علي عن الإسلام ونبي الإسلام وعدد منها ولم يعددها ومنها: أول من اسلم بعد خديجة بنت خويلد زوجة النبي الأولى ﷺ ونام في فراش النبي ليلة الهجرة وهو ثابت الجنان، وحمل راية

الرسول الأعظم في حروب نشر الدعوة الإسلامية ومعارك الجهاد ثلاث وثمانين غزوة في مقدمة جيش الرسول ﷺ، وبطولاته في معركة بدر الكبرى ومبارزته لصناديد الكفار ومبارزته يوم الخندق لبطل المشركين المعروف عمرو بن عبد ود العامري، الذي قال فيه رسول الله ﷺ برز الإسلام كله إلى الشرك كله، وضربة علي لعمرو يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين، وفتح حصن خيبر، وثباته يوم حنين، وظهوره مع الرسول الأعظم ﷺ وأفراد اسرته يوم المباهلة، وقوله أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي من بعدي، وقوله أنا وعلي أبوا هذه الأمة، وقول علي تعلمت من رسول الله ﷺ ألف باب من العلم وكل باب يفتح على ألف باب، وجاء في النص القرآني: قل لا أسألكم عليه من أجر إلاّ المودة في القربى فقيل يا رسول الله من هم القربى فقال علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

ومن لطائف التاريخ أن الخليفة العباسي هارون الرشيد في أحد الأيام خرج لنزهة الصيد في هضبة النجف غربي الكوفة في موسم ربيع وكانت معهم كلاب الصيد وكلما رأت الكلاب مجموعة غزلان جرت وراءها فتلجأ الغزلان إلى ربوة وسط تلك الهضبة فتمتنع الكلاب عن مطاردتها، وجرى ذلك عدة مرات والغزلان تلجأ إلى الربوة والكلاب تمتنع عن مهاجمتها وتقف تجاهها، فتعجب الرشيد من هذا الأمر، وارسل في طلب أحد من كبار السن الساكنين في أطراف الهضبة وسأله عن هذه الظاهرة، فأجاب الرشيد بعد أخذ الأمان منه: يقولون أن في هذه الربوة قبر (علي بن أبي طالب عليه السلام) ويأتيه بين آونة وأخرى بعض ذوي رحمهِ لزيارته، عند ذاك ترجل الرشيد وصلى في المكان وأمر أن يبني مسجداً وقبة فوق القبر، وتحول المكان منذ ذلك الوقت مسجداً ومزاراً ومكاناً يزوره عامة المسلمين وغيرهم، اعتزازاً وتكريماً لذلك البطل الذي خدم الإسلام خدمة منقطعة النظير ولا تأخذه في طلب الحق لومة لائم.

وفي القرون الأخيرة حينما تقدم السلطان العثماني سليمان القانوني لزيارة المراقد المقدسة في العراق وذهب لزيارة مقام الامام علي بن أبي طالب عليه السلام في النجف

الأشرف تقدم من السلطان أحد حاشيته أو حمايته وقال له علي بن أبي طالب خليفة وأنت خليفة فلماذا هذا التعب لزيارته وأنت برتبته فقال السلطان فلنحتكم إلى القُرآنِ الكَرِيم...ففتحوا المصحف الشريف، ووجدوا في رأس الصفحة الأولى قوله تعالى: {فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} [سورة طه: الآية ١٢].

فقال السلطان سليمان لذلك الرجل ما رضيت أن أزور الامام علي راكباً وقد جاء الأمر الرباني بزيارتي راجلاً ماشياً حافياً! عند ذاك تقدم لمراسيم زيارة مقام الامام علي عليه السلام وأمر برعاية البناية وادخال بعض الترميمات عليها وأحسن إلى المكان والساكنين بجوار المقام الشريف.

وهكذا فإن مكانة الرسول الأعظم وأهل بيته الأطهار وأصحابه المنتجبين عند عامة المسلمين وغير المسلمين العقلاء مكانة مرموقة، لأنهم يمثلون القدوة والأسوة في التعبير عن روح الإسلام من السلوك الإنساني الحضاري عامة وتنفيذ التشريع الإسلامي الذي لم يترك صغيرة أو كبيرة إلاّ أعطى رأيه فيها تفصيلاً أو إشارة.

أما فكرة الإمام الغائب أو المهدي المنتظر فهي في واقع الحال ليست غريبة في مسيرة الأديان السماوية التي تهدف بالدرجة الأولى إلى تصحيح وتوجيه مسيرة الإنسان في حياته وانقاذه من الظلم والقهر والعوز والضياع الذي يحصل بين أبناء الجنس البشري منذ وجود الإنسان على الأرض، وكانت مهمة الرسالات السماوية هو تحقيق العدل والرفاه والخير للإنسانية جمعاء، وتربية الإنسان تربية خالية من الشوائب والخرافات والأساطير والعبودية لغير الله ﷻ، وكانت مشاريع الخير والاصلاح التي تتقدم بها الرسالات السماوية تواجه في معظم الأحوال بالرد العنيف والرفض والعدوان من قبل الطغاة والجبابرة الذين تسلطوا على رقاب الجنس البشري، وفي مقابل ذلك نجد المؤمنين في رسالات السماء يقدمون التضحيات بصبر وشجاعة واصرار لكي تنتصر القيم الحقة والمبادئ السامية ومراعاة لطبيعة عقل الإنسان لم تنزل الرسالات السماوية دفعة واحدة ولكنها كانت تأتي بفترات وحقب متفاوت لمصلحة الإنسان

نفسه، حتى ختمت بالرسالة الإسلامية السمحاء التي تميزت تشريعاتها بالاتساع والشمولية ومعالجة حالات الإنسان ومتطلبات حياته جمعاء، حتى ورد في النص القرآني الكريم: {مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا} [سورة الكهف: الآية ٤٩]. وقوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [سورة الحديد: الآية ٤]. وقد رعى الباري ﷻ حالاتٍ كثيرة في إرسال الأنبياء وأوصياءهم في كل أمة أو شعب أو مجتمع أو عصر أو وطن قبل ارسال الرسول وفي خلقه ونشأته ثم بعثته ومراحلها أو ما يتبع ذلك...ولنا في رسائل الأنبياء ﷺ موسى وهارون وعيسى ومحمد وأوصيائهم دروس وعبر لمن يريد أن يعتبر.

في أوربا عصر النهضة حصل فيها صراع بين الكنيسة ودعاة الاصلاح حتى تبلور بنظرية الدين لله والوطن للجميع وما لله لله وما لقيصر لقيصر، يعنى حصل فصل بين السلطة السياسية والسلطة الدينية ورسمت بين السلطتين بعض الحدود.

وفي الأمة الإسلامية حصل هذا أيضاً من حيث النوع وليس من حيث الشكل بعد عصر الخلفاء الراشدين انتهى الحكم الإسلامي الأصولي وصار الخليفة الاموي والعباسي والعثماني والصفوي في واد والشرع الإسلامي في وادٍ آخر وتولى مهمة الحفاظ على الحد الأدنى من الشرع الإسلامي أئمة أهل البيت النبوي الشريف أو وكلاؤهم أو علماء وفقهاء المسلمين المخلصين للإسلام والمستوعبين للتشريع الإسلامي قدر المستطاع.

ومهمة الامام المنتظر وارده عند كل المسلمين وليس فيها خلاف إلاَّ في بعض الجزئيات وهي مهمة تربوية إصلاحية لتوصيل روح المدّ الإسلامي كما تريده السماء وكما نزل على الرسول الأعظم ﷺ {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } [سورة النحل: آية ١٢٥]. {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [سورة فصلت: آية ٣٤]. وما سوى

ذلك فهي إضافات غير مؤكدة وما وقع على أهل البيت والصلحاء من المسلمين من أذى فقد جازاهم الله على صبرهم بالجنة وجازى المعتدين بالنار.وبحكم تقادم السنين وتراكم صور الجهل أخذت البشرية بما فيهم المسلمين تبتعد عن الدين أو تعده حاجة كمالية وغير مهمة، وإلى جانبها نجد الظلم والدماء والكفر يستشري في المجتمع الإنساني والوثنية الحديثة القت ظلالها في كل جوانب الحياة المعاصرة من القنابل الذرية إلى المقابر الجماعية إلى المجاعات والانتهاكات التي لا مبرر لها سوى ازدهار الروح الشريرة وغلبه الشيطان على سلوك الإنسان.

وهنا لا بد من مصلح يحمل دعوة السلام التي جاء بها الإسلام الخالد لخير البشرية، هذا المصلح أعدته السماء كما أعدت الأنبياء والمصلحين.

ويبقى هو أمل البشرية الذي يحمل لواء العدل والسلام ومشعل الحرية لكلِ أمم الأرض إن شاء الله تعالى:

أُعلل النفس بالآمال أرقبها ... ما أَضيق الدهر لولا فسحة الأملِ

يا ليت الكاتب احمد كسروي توجه بدعوته الاصلاحية إلى الحكومات الباغية التي وظفت ارزاق الشعوب ومعاشها إلى أسلحة الدمار الشامل أو خاطب الخمسة مليارات الكافرة من البشر لإقناعهم بفكرة التوحيد النبيلة، وكما ذكر قائد ومحرر الهند (مهاتما غاندي في كتابه) (٥٢٠) صفحة بعنوان تجاربي مع الحقيقة أن الحقيقة الثابتة الناصعة في هذا الكون هو (الله جل جلاله) أو كما قال الشاعر المسلم:

أَلا كلُّ شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل

ولنتذكر اجراء الرسول الأعظم ﷺ يوم الانتصار الكبير في فتح مكة المكرمة ونهاية الشرك في الجزيرة العربية إلى الأبد، بعد أن جمع قريش في ساحة البيت الحرام وسألهم بعد تلك المعاناة معهم ماذا ترون إني فاعل فيكم؟ قالوا أخٌ كريم وابن أخ كريم، قال اذهبوا فانتم الطلقاء! وعفا عنهم جميعاً وقال اليوم يوم المرحمة اليوم تسترد الحرمة، وهم أيضاً شدوا أزره في معركة حُنين وفتح الطائف بعد أيام قليلة من

فتح مكة المكرمة.

واذكركم بقول الامام الحسين ابن رسول الله ﷺ وهو يخاطب الفئة الباغية التي أصرت على محاربته وسبي عياله: (تذكروا أحسابكم وأنسابكم إنّ كنتم عُرباً كما تزعمون...) ومعنى هذا أن العربي المسلم الكريم مثال الشمائل والخلق الرفيع والسماحة ويترفع عن اللئم والخساسة.

إذا المرء لم يدنس من اللئم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

أنت أيها العربي المسلم تغني وتصفق وتربت على كتف كاتب شاذ فوضوي متهور، كونه شتم ونال من شريحة اسلامية تؤمن بقول رسول الله ﷺ، (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا وسيردون عليَّ الحوض في يوم القيامة إن شاء الله).

وقال أيضاً: إنّ حرمة دم المسلم أشد وأعظم عند الله من حرمة الكعبة المشرفة بيت الله الحرام قبلة المسلمين عامة التي يتوجهون إليها في الليل والنهار لأداء الفرائض ومواسم الحج والعمرة.

أقول قولي هذا وأدعوا الله لي ولكم بالهداية والرحمة، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان ومعصية الرسول.

وأحمد كسروي لا سني ولا شيعي فوضوي يسير وراء الشعارات البراقة ويخدم أصحاب السلطة والنفوذ والمال بسبب شعوره بعقدة النقص النفسي يكتب كتاباً بما يخالف الحقيقة ليعوض عن حالة القلق النفسي التي يعيشها.

منهج التحقيق والدراسة:

الكتاب هو خمسة قرون من تاريخ خوزستان باللغة الفارسية ألفه أحمد كسروي تبريزي بعد عام ١٩٢٢ على أثر سفره استخباريه تحمل صفة رسمية بإسم مفتش عام في وزارة العدل كلف بها من قبل حكومة رضا شاه بهلوي لمعرفة أحوال اقليم

الأحواز بقيادة الشيخ خزعل الكعبي الذي كان يتمتع بإدارة ذاتية واسعة من قبل النظام القاجاري الذي حكم إيران قبل نظام بهلوي الذي انقلب عليه وأسقطه وتولى الحكم بدلاً عنه، وقد شجعت الظروف الدولية والمحلية الشيخ المذكور على السعي للانفصال التام عن الدول الايرانية ولكنه لم يوفق في مطالبه، لأن دعواه ما كانت تنسجم مع المصالح البريطانية، وكان مصيره الأسر والاعتقال في طهران منذ عام نيسان ١٩٢٥ - ١٩٣٥م حتى وفاته في التاريخ المذكور...

ويذكر في مقدمته أنه ألف هذا الكتاب حينما مكث سنة ونصف في اقليم الأحواز من بداية عام ١٩٢٢م وطلب إليه بعد عودته أن يؤلف هذا الكتاب وبدأ تأليفه على شكل مقالات متسلسلة تنشر في إحدى الصحف التي يتعامل معها فيما يخص اقليم الأحواز منذ حكم دولة المشعشعين التي بدأت عام ٨٤٤هـ ثم دولة الكعبين التي بدأت مطلع القرن الثامن عشر الميلادي وانقرضت عام ١٣٤٦هـ - ١٩٢٥م.

رتبت تلك المقالات على شكل كتاب يضم خمسة فصول مع مقدمة وخلاصة وفهرس الموضوعات، الفصول الثلاثة الأوّل عن المشعشعين وحكمهم والفصلان الأخيران عن الكعبيين وحكمهم.

قمت بترجمة النص الفارسي إلى اللغة العربية كل الكتاب أزعم أنها ترجمة جيدة حسب رأي الخبراء وحافظت قدر المستطاع على سلامة النص كما وضعه الكاتب ولا يخفى أن ترجمة النص تجعله يفقد بعض خواصه.

وقمت بتثبيت الفصول والفروع وعناوين الموضوعات حسب الفصول وشغلت الهوامش قدر الممكن، وسعة الوقت، وكنت اعتقد سوف نحصل على معلومات وأفكار تاريخية وعلمية وثقافية غزيرة نضيفها إلى ما عرفناه عن المنطقة ولكن مع الأسف وجدته مقلاً ومختصراً للمعلومات التي حصل عليها من المصادر الغنية بل أنه لم يستفد من تلك المصادر التي اتيح له الحصول عليها، وكان يؤكد على الصفحات السلبية في تاريخ هاتين الامارتين ويتجاهل انجازتهما الايجابية بشكل

مطلق، وهذا ليس غريباً لمن يضعون أقلامهم في خدمة الطاغوت.

والحمد لله الذي يسر لنا تقديم النص باللغة العربية من شقيقتها اللغة الفارسية لغة الصحابي الجليل سليمان المحمدي الذي كان يتقدم الجيوش العربية الإسلامية لفتح بلاد فارس وينشر فيها الإسلام ويخاطبهم بلغتهم ويشرح لهم مبادئ الإسلام وسيرة الرسول الأعظم، ويجلس في البلاط الساساني مكان كسرى ليقيم شرع الله ﷺ الذي وحدَ بين أمم الأرض كافة تحت شعار: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} (سورة الحجرات: ١٠)، و{ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ } (سورة الحجرات: ١٣)، فجعل الكرامة والامتياز للتقوى التي هي الاستقامة في عمل كل أعمال الخير، و(كلكم لآدم وآدم من تراب).

ومما دعاني إلى ترجمة الكتاب ونشره هو حاجة المثقف والمواطن العربي إلى قراءة ما يكتب عن حياته وتاريخه وحاضره ومستقبله باللغات الأخرى ومنها اللغة الفارسية ذات العلاقة العريقة باللغة العربية قبل الإسلام وبعده فقد ورد في الحديث الشريف أو ما في معناه قوله ﷺ: (من تعلم لغة قوم آمن شرهم) فضلاً عن ما نشر فيه من موضوعات مثيرة للجدل وقابلة للنقاش والحوار.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

في شتاء سنة (١٣٤٣هـ - ١٩٢٢م) سافرت إلى إقليم الأحواز وقضيت هناك سنة وثلاثة أشهر.الحياة في هذه الأرض مرهقة جدا، خاصة على أولئك الذين ليسوا من السكان الأصليين وغير المعتادين على الحرارة الحارقة وغيرها من المصاعب هناك. لكنني تحملت تلك الصعوبات على نفسي وكنت مشغولا بأعمالي الخاصة، وأحيانا عندما كنت متفرغاً عن العمل كنت أبحث في تاريخ تلك الأرض القديم.

في ذلك الوقت، كان الشيخ خزعل خان، مسؤولا عن حكومة إقليم الأحواز كرئيس للعشائر العربية، وكان يتفاوض ويتنازع مع الحكومة التي أرسلت قوات إلى تستر لتحل محل قوات الشيخ في الأحواز .انتهى الأمر شيئا فشيئا إلى الحرب، وبعد اشتباكات تغلبت فيها قوات الحكومة، واستقرت القوات الحكومية في الأقليم، وأحضرت الشيخ مختطفاً أسيراً إلى طهران وبقي هناك حتى وفاته عام ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م.

رغم أن آثار هذه الفتنة اجتاحتني، ومع أني كنت بريئا تماما ولكني تأذيت من أضرارها، ومع كل هذا، لم أتوقف عن بحوثي التاريخية، وهذا الحادث جعلني أن أتطرق قبل كل شيء إلى تاريخ تلك العشائر، و أن أعرف متى استقرت هناك ومنذ متى وبأي طريقة وجدوا القدرة على الاستقرار في تلك الأرض، في هذا البحث وجدت فجأة رجلاً، من أعجب الرجال ومن أعظم المغامرين، وهو السيد محمد بن فلاح الموسوي الواسطي العراقي المشعشعي (ت٨٦٦هـ - ١٤٦١م)، الذي ادعى في منتصف القرن التاسع الهجري المهدوية، وقد قام بالقتل وإراقة الدماء ليثبت ادعاءه، وسيطر على الأقليم، وشكل حكومة، وادعى ابنه مولى علي الألوهية، وعائلته

كانت ترأس سكان الأقليم لعدة سنوات، حتى وصل الحكم إلى الكعبيين، ثم استولت عائلة الشيخ خزعل على الحكم.

تابعت قصة السيد محمد وأولاده وتاريخ الكعبيين حتى نهاية الشيخ خزعل خان بقدر ما استطعت وحصلت على معلومات.إضافية بعد أن عدت إلى طهران في ربيع سنة ١٣٠٤هـ وحصلت على مؤلفات وكتب لم تكن متوفرة لدي في الأقليم، ومن المعلومات الكثيرة التي جمعتها ألفت كتابا، وبما أنه علاوة على تاريخ المشعشعيين والكعبيين، يحتوى على أحداث أخرى حصلت في الأقليم لمدة خمسة قرون، أطلقت عليه إسم «خمسمائة سنة من تاريخ الأقليم».

ساعدني أحد أصدقائي المثقفين الذي كان يهتم بالمستندات والوثائق العلمية، ولا يتردد في المساعدة في هذا الصدد لأي أحد، حينما علم بنيتي، أرسل لي خريطة عن أقليم الأحواز والتي أعدّت من قبل مهندس أوروبي.

ولكن كان هناك لغز ولا قيمة لتأليف كتابنا دون أن نكشف ذاك اللغز، وهو ادعاء المهدوية للسيد محمد وادعاء الألوهية لابنه المولى علي.وكان مذهب السيد محمد هو المذهب الشيعي الأثني عشري، وباسم هذا الدين يحارب ويتشاجر مع الآخرين. وكما نعلم أن من أسس المذهب الاثنا عشري هو أن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف حي ولكنه غائب، وهو ابن الإمام حسن العسكري عليه السلام، وأنه سيظهر ذات يوم وسيملأ الأرض قصطاً عدلا. فكيف وبأي طريقة أطلق السيد محمد على نفسه لقب المهدي وكيف قبل اتباع الأئمة الاثني عشرية دعواه؟! كما أن المولى علي ادعى الألوهية، وقام بالأفعال البشعة وقتل قافلة الحجيج ونهب أموالهم، ودمر عتبة أمير المؤمنين علي عليه السلام في النجف وأحرقها قومه كالخشب تحت الموقد.فأي علاقة لهذه الفسوق والمظالم مع المذهب الشيعي؟! خاصة في الوقت الذي كان فيه الشيعة قد برزوا مؤمنون موحدون متمسكون بكل أصول الإسلام وفروعه.

لم يكن هناك سبيل لمعرفة هذا اللغز إلا من خلال قراءة كتاب أو كتابة من السيد

محمد أو من أحد أتباعه.

ولكن من أين يحصل مثل هذا الكتاب؟ ما بحثت عنه هو فقط إسم كتاب «كلام المهدي» الذي ذكره القاضي نور الله الذي قال إنه يحتوي على أقوال السيد محمد. وبعد بحثي في فهارس المكتبات الأوروبية الكبيرة، وكذلك المكتبات الإيرانية، إلا أنه لم أحصل على نسخة منه، وخاب أملي وانصرفت عن تأليف الكتاب.بعد أربع سنوات، حصل العالم الغالي السيد الحاج أبو عبد الله مجتهد الزنجاني فجأة على نسخة قديمة من كتاب كلام المهدي، وبما انه علم أنني في حاجة ماسة لذلك الكتاب، تكرم عليّ وأرسل لي نسخة من ذلك الكتاب إلى طهران، وعلى هذا، ارتفع المانع الذي يعوق عملي.

يعد هذا الكتاب من أروع الكتب.من خلال قراءته، لم أحصل على جوهر ادعاء السيد محمد وابنه فحسب، بل صادفت أيضاً موضوعاً مفيداً آخراً له قيمة كبيرة في تاريخ القرون الأخيرة في إيران.يعد السيد محمد واحد من أكبر المبتدعين الذين ظهروا في تاريخ الإسلام.وابتكر سلسلة من البدع من أجل تعزيز دعواه وحكومته، والتي لم تكن سائدة فقط في عصره وعصر ابنائه فحسب، بل إنه بعد قرن أو قرنين من الزوال والاختفاء، ظهرت تلك البدع في مكان آخر فجأة، وشغلت الناس مرة أخرى، وتسببت في خلق الفوضى والشغب.

سأذكر الموضوعات التي ترتبط بالسيد محمد الواسطي، وسيرى من يدق النظر فيها، أن الحوارات التي نشأت في إيران في القرون الماضية أثارت كل الإيرانيين للحرب والعداوة بين بعضهم البعض، وكل هذا كان من ثمار بدع السيد محمد الواسطي.بعبارة أخرى، كانت نفس الأقوال والادعاءات لهذا الرجل والتي وقعت في أيدي الآخرين في القرون الماضية وأعيدت سردها دون تغيير يُذكر، وأصبحت سبب كل تلك الفتن.

إن العثور على الأسباب والموضوعات التي ترتبط بالسيد محمد والتي ذكرت

خلاصتها في كتابي، تزيد في قيمة هذا الكتاب.وبما أنه لم يقم أي إيراني أو مستشرق بكتابة قصة المشعشعيين والكعبيين، وإنه مع كل هذه المشاكل، وبما أنني لم أكتب مثل هذه الموضوعات من قبل، إلا أنني رأيت من المستحسن أن أنشر هذا العمل.وفي هذا الوقت، وأنا أبدأ عملي في نشر «پيمان»، رأيت أنه من الأفضل تضمين نشر هذا الكتاب في مجلة بأعداد متسلسلة، وأطبع كراسة منه في نهاية كل عدد منها ليكون بعد تجميعها كتابا كاملا في نهاية السنة.

لقد بذلت جهدي في كتابة الموضوعات، وبحثت عنها قدر ما استطعت.وكما سنرى أنه كل ما ذكرت من بداية الكتاب إلى قصة الشيخ خزعل هو مأخوذ من مؤلفات وكتابات الآخرين وكتبت اسم كل مرجع أو كتاب في أسفل الصفحة.لكن قصة الشيخ خزعل وأخيه الشيخ مزعل خان، لقد سمعت معظمها في الأحواز من أفواه الرجال أو رأيتها بأم عيني وعرفتها بنفسي، ولأن هذا الكتاب ليس مدحا أو ذما لأحد، بل الهدف منه هو كتابة التاريخ وإظهار الماضي لأرض أمضيت فيها خمسة عشر شهرا هناك، ورأيت اللطف والحنان من مجموعة من أهاليها، وعلى هذا، حاولت قدر المستطاع تقريب كلامي من الحقيقة، وأن لا أنمق كلامي بالأكاذيب وكلمات المديح أو الكراهية.ومع هذا، إذا كان هناك هفوات أو موضوعات لم أتطرق إليها وكان من شأنها أن تقال وتذكر في الكتاب، أرجو من القراء الكرام أن ينوهوا بذكر تلك الهفوات كي أقوم فيما بعد بتصحيحها، وبما أن الكتاب يطبع في أجزاء متتالية، إذا كان هناك ملاحظات من قبل القارئ، يمكن أن تكتب الملاحظات باسم الملاحظ نفسه في نهاية الكتاب.

أحمد كسروي تبريزي

الفصل الأول

المشعشعيون

سبعون سنة من الإستقلال:

١- سيرة مؤسس دولة المشعشعين السيد محمد بن فلاح الواسطي العراقي المشعشعي وبداية عمله.

هناك معلومات مفصلة وشاملة عن بداية عمل السيد، وهي شرح كتبه أحد المؤلفين العرب بالعراق في كتابه: «التاريخ الغياتي»[1]، وقد ذكره السيد علي المشعشعي[2] كل هذا الشرح في كتابه (الرحلة المكية).

وترجم القاضي نور الله في كتابه مجالس المؤمنين خلاصته الفارسية.وحسب ما كتبه الكاتب العراقي، عندما بلغ السيد محمد السابعة عشرة من عمره، أمره والده

(١) الغياثي وعلي المشعشعي والقاضي نور الله التستري المرعشي الشهيد اللثالث (٩٥٦ - ١٠١٩هـ) عالم محقق مؤرخ، هو عبد الله الغياثي البغدادي، ألف كتاب بعنوان تاريخ الغياتي، حققه ونشره: أ.د.طارق الحمداني عام ١٩٧٥ في بغداد، هو علي بن عبد الله بن علي بن خلف المشعشعي الحويزي (١٠٨٠ - ١١٣٥هـ/ ١٦٦٩ - ١٧٢٣م)، ألف كتاب الرحلة المكية والدولة المشعشعية، حقق وطبع في بغداد ، ٢٠٢١م.

(٢) سيد علي، حفيد السيد علي خان الشهير، هو علي بن عبد الله بن علي بن خلف بن مطلب، الذي حكم الحويزة خلال الفترة الصفوية، بين عامي (١٠٦٠ - ١٠٨٨هـ) وكتابه أشبه بكتب المغازي الموسوم بـ(الرحلة المكية والدولة المشعشعية) وذكر فيه جزءا من الأحداث المشعشعية وجزءا من الأحداث الصفوية، ثم وصف رحلته إلى مكة.على أي حال، فهو ذو قيمة كبيرة من حيث تاريخ المشعشعيين. النسخة الوحيدة التي هي النسخة الخاصة بالمؤلف موجودة في مكتبة مدرسة سبهسالار.لكن نقلنا قصة السيد محمد من تاريخ الغياثي لأن كتاباته أكثر تفصيلا من كتابات القاضي نور الله. ومع هذا، يحتمل أنه نسخ كتابات القاضي وأضاف من نفسه أشياء عليها.

السيد فلاح بالذهاب في مدرسة الشيخ أحمد بن فهد من واسط مسقط رأسه وإقامته إلى الحلة ليدرس هناك. في ذلك الوقت، كان المذهب الشيعي يحظى بشعبية كبيرة ويزدهر يوما بعد يوم، وكان الشيخ أحد علماء الشيعة المشهورين الذين كان لديهم مدرسة في الحلة ويحضر العديد من الطلاب دروسه[1].

عاش السيد محمد في مدرسة الشيخ أحمد لسنوات عديدة، وكتب البعض أن الشيخ اتخذ والدته زوجة لنفسه[2]. في هذه الأثناء، كان السيد محمد أحياناً يقول أنني المهدي الموعود وسأظهر. ولما سمع الشيخ أحمد هذه الكلمات غضب على السيد محمد وعنفه بقوة، لكن السيد محمد كان مشغولا بعمله، واعتكف في المسجد الجامع بالكوفة لمدة سنة، ويبكي دائما، وعندما يسألونه الناس عن سبب البكاء، كان يقول إنني أبكي على من سيقتلون بيدي.

وبعده عاد السيد محمد إلى واسط، تحدث هناك أيضا عن ادعائه للمهدوية في بعض الأحيان، ووعد أقاربه وأهله بأنه سيظهر وسيفتح العالم كله، وسيقسم المدن والأقطار بين أقوامه. ولما وصلت هذه الكلمات والأحاديث إلى الشيخ أحمد بن فهد مرة أخرى، صدر السيد حكم تكفيره، وكتب إلى أحد أمراء القبائل في واسط ليقتله؛ اعتقل الأمير السيد محمد وأراد قتله، فأخذ السيد القرآن بيده وأقسم بأنه صوفي سني، ولهذا كان الشيعة يعادونه، وبهذا القسم الكاذب حرر حياته، ونجا.

---

(١) من أشهر الطلاب الشيخ أحمد هو السيد محمد نوربخش، الذي ادعى أيضا المهدوية في تركستان، لكن عمله لم يمض. كتب قصته القاضي نور الله.

(٢) مذكرات الجواهري. (ممن تحدث عن أسرة المشعشعيين هما: مؤلف رياض العلماء والمؤلف تحفة الأزهار). قدم السيد الشيخ عبد العزيز جواهري العديد من الملاحظات غير المقصودة من كتابات هذين الكتابين. يبدو أنه كانت في نسخ هذين الكتابين أخطاء عديدة ولم يصححها السيد الجواهري. على أي حال، نشكر السيد الجواهري لأنه قدم لنا هذه المذكرات والمسودات، ونعني بـ (مسودات الجواهري) تلك المذكرات.

بعد ذلك، لم يمكث السيد محمد في واسط.وفي سنة ٨٤٠هـ ذهب إلى مكان يُدعى كسيد، وهو قرب واسط، واستقر هناك بين الأعراب، وأظهر هناك ادعائه للمهدوية.ولأنه يفعل العجائب، ومن ذلك، أنه كتب ذكرا يشتمل على اسم الإمام علي عليه السلام، وكان يعلم أتباعه أنهم عندما يتلوه عدة مرات، سيحدث لهم حالاً جديداً، بحيث أنهم سيرمون بأنفسهم على نار ولا تصيبهم أي حرقة أو ضرر[1].أو يوضعون مقبض سيوفهم على الأرض ويلقون ببطنهم على السيف ولم يعمل السيف في بطونهم.كانت هذه الأمور العجيبة تأييدا لأعماله وآمن به كثير من العشائر.

في قرب تلك النواحي، تخرج ثلاثة فروع من نهر دجلة تسمى البثق والنازور والغاضري، وكانت تعيش عشائر بجوار تلك الترع، وأتبع كل هؤلاء العشائر السيد محمد المهدي، ووضع أساس عمله بتأييد من هؤلاء العشائر.

يقول محمد المشعشع نفسه، في كلمة له نقلت من كتاب كلام المهدي، عن بداية عمله والمصاعب التي واجهها: من امتحنه الله أكثر من هذا السيد؟ خمسة عشر سنة مضت والناس يشتمونه، وأمروا بقتله، ويهرب من مدينة إلى مدينة ...لم تكن هناك أرض لإيوائه واضطر إلى الفرار إلى المناطق الجبلية ...وكذلك حاول سكانها جميعا قتله، ولم يستطع التخلص منهم إلا بعد اليأس.ثم عاد إلى العراق إذ بحث عنه المغول[2] وأصبح كل صديق عدوا له.ولم يبق هناك مكان يلجأ إليه.وضاقت به الأرض، ونال منه اعداؤه ما لا يحصى من الأذى.

---

(١) عمل المشعشعيين هذا معروف والذي تناقله الشعراء، يقول سيد جعفر الحلي:

مشعشع الخد كم دبت عقاربه ... بوجنتيه وكم سابت أفاعيه

قد أوقد نارا في قلبي وحل به ... إن المشعشع نار ليس تؤذيه

(٢) نقصد بالمغول في هذا الكلام، عبد الله سلطان، حفيد شاهرخ، الذي كان والي فارس، وكانت واسط وجنوب العراق تحت حكم أفراده.

يتضح من هذا القول أن السيد محمد هرب إلى المناطق الجبلية ويدعو الناس هناك ويخدعهم.ويقصد حتما جبال لورستان القريبة من واسط وتلك المناطق القريبة منها.يجب أن يقال أن قصة بداية عمله كانت أطول بكثير مما ذكره المؤلف العراقي، وقد استغرق الأمر أكثر من خمس عشرة سنة من الوقت الذي بدأ فيه بدعوى المهدوية حتى ذهابه إلى عشائر البثق، والنازور والغاضري وهو يدعوهم إلى قبول دعواه.

لنعد إلى كلام الكاتب العراقي: يقول إنه سنة ٨٤٤ هـ قصد السيد محمد مع عشائر من أتباعه إلى جصان، وهي كانت قريبة بالقرب من واسط، ونزل على ضيعة شوقة. جاء إليه حاكم جصان مع عدد من جيشه وفرسانه، وخاض ضده معركة شرسة، وهزم أتباع السيد محمد، ورجعوا مجدداً إلى البثق والنازور، ولم يخشوا عدوهم.اندهش السيد من هذه الحادثة اندهاشا كثيرا، وحزن كثيرا، وجمع أتباعا جددا انضوا إليه من تلك النواحي.هجم على شوقة، وسيطر عليها، ولم يمسك عن القتل والنهب والدمار، وأسر النساء والأطفال (نفس السنة ٨٤٤).

ثم بعد فترة طويلة رجع السيد محمد إلى أتباعه القدامى في البثق والنازور، لكنه لم يبق هناك وذهب مع أتباعه إلى جصان بالقرب من واسط.لم يمكث هناك أيضا، وهبط بين نهر دجلة والحويزة في مكان يُدعى الدوب.وانضم له أهالي الدوب، وهم من قبيلة معاوية (التي عُرفت لاحقا باسم النيس)، واعترفوا به على أنه المهدي.رأى السيد الأمور في تقدم، وأرسل ابنه الأكبر، المولى علي، إلى البثق والنازور، كي يجلب أيضاً الأتباع القدامى إلى هناك.أخذ المولى علي عشائر البثق والنازور واتجه نحو القرى، وفي طريقه واجه قافلة كبيرة وقتل من بالقافلة ونهب ممتلكاتها، ووصل إلى السيد بممتلكات كبيرة لا تعد ولا تحصى.

أصبح السيد محمد سعيدا جدا بوصول أتباعه و إحضار تلك الممتلكات.وأمر قبيلة معاوية ببيع أبقارهم ومواشيهم كي يشتروا السيوف وأدوات الحرب، وعملت

القبيلة بأمر من قائدهم واشتروا العديد من أدوات الحرب.رأى السيد محمد أن كل شيء على ما يرام واتجه مع مجموعة من أتباعه نحو التلول التي كانت قرية كبيرة تابعة للحويزة (رمضان ٨٤٤هـ).ومعهم حلفاءهم[١] وفضل الجزائري الذي تشاجر مع إخوانه في الجزائر[٢] جاء مع مجموعة من العرب إلى الحويزة واتفقوا واندفعوا نحو السيد محمد، وفي المعركة التي تلت ذلك، هُزم أهالي الحويزة والجزائر بشدة، وقتل الكثير منهم بحيث كانت الخيول تمشي على الجثث.

رغم كل هذا الانتصار، لم يبق السيد محمد هناك وعاد إلى الدوب، وبسبب النقص والمجاعة في الدوب انتشرت الكوليرا بين الناس.أخذ السيد محمد رجاله وذهب إلى واسط إذ وقعت هناك حرب بينه وبين أمراء المغول، فهزمت المغول وقتل أربعون منهم.من هذا الانتصار، سيطر السيد محمد على خارج واسط، وفرّق أتباعه في القرى، ونهب أموال الناس، وسلبوا ما وجدوه، وبذلك نال أتباع المهدي ممتلكات كثيرة (شوال ٨٤٤هـ).

ثم قصد السيد محمد الجزائر، مستغلاً الخلاف بين أمراء الجزائر.جاء أمير شحل نامي أحد أمراء الجزائر إلى السيد وأقبل مع عشيرته وإتباعه. والآخرين الذين لم يحضروا، هاجمهم السيد محمد عدة أيام، ولم يتردد في القتل والنهب، كما أنه لم يغفر لمن طلب الأمان. وكما يقول المؤرخ العراقي: «**قتل الجميع واستأصل جذورهم**».

في ذلك الوقت، كانت عيون السيد محمد على واسط وحواليها، وكان يحاول إقامة حكمه في تلك المناطق، وتلك الانتصارات في الجزائر أضافت إلى آماله. وحينما انتهى من عمل الجزائر، فكر مرة أخرى في واسط، واختار ثلاثة آلاف من

(١) ابن بطوطة، الذي مر في القرن الثامن الهجري علي الحويزة، يكتب بصراحة أن الناس هناك كان فيهم من غير العرب ويقصد بهم اللر والأفشار.

(٢) نقصد بالجزائر سلسلة من المستوطنات التي تقع بين البصرة وواسط في وسط المياه، وهذه هي المستوطنات التي كانت تسمى البطايح في القرون الأولى للإسلام، ولها تاريخ منفصل.

أتباعه كي يستقروا على السفن، وأرسلهم إلى واسط.حاكم واسط الذي يشعر بالندم والأسف بسبب الهزيمة السابقة وكان يتمنى دائما أن يعوض عن هزيمته، هذه المرة لم يتخلَّ عن جهوده، وهجم بشدة على المشعشعيين، وقتل ثمانمائة منهم.وهلك كثير منهم في الطريق.وعندما جاء الناجون إلى السيد محمد مشتتين ومنكسرين، خاف السيد ولم يبق في الجزائر.ومرة أخرى قصد إلى الحويزة وتلك المناطق مع أتباعه، وعندما وصل هناك قتل ونهب كثيرا ولم يتردد في المضايقة.وبحسب الكاتب العراقي: فإن كل من ألقاه أهلكه وقبض على كل النساء والأطفال كلهم أجمعين[1] (رمضان ٨٤٥هـ).

سيطرة السيد محمد على إقليم الأحواز:

في ذلك الوقت، قام السيد بدعوى المهدوية، وكان في واسط والحويزة يبحث عن مكان للحكم هناك، وعلى هذا، يقتل الأبرياء وينهب أموالهم.وكان ملك إيران وتركستان، شاروخ ميرزا، ابن تيمور لنك، الذي استقر في هرات وولى جهانشاه قراقويونلو الشهير على العراق وأذربيجان، وأعطى بلاد فارس وعربستان لحفيده عبد الله سلطان.كما استقر عبد الله في شيراز وأعطى الأحواز للشيخ الشهير أبو الخير الجزري الذي استقر بدوره في تستر، وسلم الحويزة وتلك المناطق لابنه الشيخ جلال.

من ناحية أخرى، سيطر ميرزا إسبند، شقيق جهانشاه على بغداد سنة ٨٣٨هـ وكان مستقلا بحكمه، ولا ينفذ أوامر جهانشاه وشاهرخ.ولكن واسط ومدن جنوب العراق كانت في أيدي عملاء عبد الله السلطان الذي يصفه السيد محمد باسم المغولي.

(١) خرب عمارها وهدم جدارها وقتل جارها وسبا حريمها وأطفالها ونهب أموالها وكل من لقي منهم قتله ولا بقى من أولاد.

هذا ميرزا إسبند هو نفسه الذي، كان شيعياً متعصباً، دعا الشيخ أحمد بن فهد من الحلة إلى بغداد لغرض الحوار مع أهل السنة.اقتداء بالسلطان الشهير محمد خدبنده، الذي دعا العلامة الحلي من الحلة إلى سلطانية، وأثار جدلاً بينه وبين علماء السنة.كما ضرب العملة النقدية باسم الأئمة الاثني عشر اقتداء بخدابنده.

في ذلك الوقت، كان للمذهب الشيعي حراكا، وازدهاراً يوما بعد يوم في إيران والعراق العربي وما حولها، وأصبح هذا من وسائل النهوض بعمل السيد محمد لأنه كان من عائلة شيعية وأظهر تحيزا شيعيا أيضا، وكان ذلك إلى جانب دعم الشيعة له، كان الملوك والحكام من حوله أيضا طيبين معه، ولم يحاولوا استئصاله كما سنرى.

نعم، عندما جاء السيد محمد إلى محيط الحويزة قام بعمليات القتل والنهب، ولم يكن لدى الشيخ جلال حاكم الحويزة جيش قادر على القتال أمامه.وأخبر عن الأوضاع لوالده الشيخ أبو الخير الذي كان مع عبد الله السلطان في شيراز حينها. وأخبر الشيخ أبو الخير عبد الله عن الوضع.أرسل عبد الله جيشا، بقيادة أمير قلي نامي إلى الحويزة، فجمع الشيخ أبو الخير، الذي عاد إلى تستر، جيشا من تستر ودزفول ودورق، فكان ينوي أيضا الحويزة.وقف الجيشان مقابل بعضهما البعض ولم يبدأوا حربا لمدة شهر.يفكر السيد محمد في كثرة عدد جيش العدو ويسعى إلى خطة.في غضون ذلك قتل أبو الخير عددا من شيوخ الحويزة دون أي ذنب، واستاء منه أهل الحويزة.انتهز المشعشع هذه الحادثة كفرصة، وقام بالتفاض سرا مع أهالي الحويزة، وبما أن عدد جنوده كانوا قليلاً جداً، فقد أمر النساء أن يرتدين ملابس الرجال ويضعن العمائم، ويقفن خلف الرجال، وعندما بدأت الحرب، هجم المشعشعيون بقوة على العدو، أظهر الملا علي، الذي كان من محاربي نامي، الكثير من الشجاعة في هذا اليوم.ولم يستطع الشيخ أبو الخير وأمير قلي المقاومة، وهربا وهزم جيشهما، ودمر بعضهم وتشتت بعضهم.طاردهم المشعشعيون وأهلكوا كل من وجدوه.وهجم السيد

محمد على الحويزة وحاصرها(١) واحتلها(٢).

وصل هذا الخبر إلى ميرزا إسبند في بغداد، وقصد مع جيش كبير إلى الحويزة قاتله السيد محمد، وعندما وصل إلى واسط، جاء إليه اثنان من شيوخ الحويزة ممن فروا إلى هناك، وسردوا اضطهاد ومظالم المشعشعيين وطلبوا منه المساعدة.

أرسل ميرزا إسبند معهما مجموعة من جيشه وأرسلهم إلى الحويزة، كما تبعهم هو أيضا.في ذلك الوقت، جمع الشيخ أبو الخير أيضا جيشا ونوى مرة أخرى محاربة المشعشعيين، ولكن عندما علم بوصول ميرزا إسبند، عاد إلى تستر.اقتربت قوات ميرزا إسبند من الحويزة وخاضت معركة شرسة مع المشعشعيين وهزمتهم.سمع السيد محمد هذا الخبر وترك الحويزة واستقر في مكان يسمى طويلة.دخل ميرزا إسبند الحويزة ونزل في الحصن هناك، ثم قصد إلى السيد محمد وقتل عددا كثيرا

---

(١) يكتب القاضي نور الله: أنه حوصرت الحويزة.لكن السيد علي كتب علانية أنه استولى على الحويزة وحاول أن يثبتها.

(٢) حصلت المعركة بتاريخ ١/رمضان/٨٤٥هـ في مدينة الحويزة عاصمة الأقليم بين جيش السيد محمد بن فلاح الواسطي المشعشعي وجيش حاكم شيراز التيموري فبادر السيد المذكور وثار لها ثورة الأسد الغضبان، ولكن أعياه قلة أفراد عسكره وأبهضه كثرة أفراد عسكر عدوه، فتأمل وتحير، فأن جبن خاف الملامة، وأن صال حذر الملامة ولم يكن التأمل طويلاً لقرب العدو وقوته وشدته وجرأته فتمثل وقال شعراً:

إذا أمكنت من العدى فرصة فلا تبد شغلك إلاّ بها
فإن لم تلج بها مسرعاً أتاك عدوك من بابها

ثم قاده تصوره وساقه بأسه وشدة فراسته أن تشارك النساء الرجال من الهجوم على عساكر شيراز، فأمر أن تلبس النساء ملابس الرجال وعدتهم من الحرب ويلففن رؤوسهن بعمائم الرجال، ويقمن بسوق المئات من قطعان الجاموس والبقر، ويتلوهن من خلفهن الفرسان شاهرون سيوفهم ورماحهم نحو عسكر حاكم شيراز في الحويزة، وهكذا صالوا على الحويزة بقيادة السيد، وكان عسكر السيد في هذه الحالة والضخامة وجلبه ,اراجيز الرجال والنساء يبدو مهيباً، أدخل الرعب في قلوب خصومهم، فلما رأى عسكر حاكم شيراز هذه الصولة الرهيبة والكثرة العددية والصخب المرعب، أخذهم الهلع فلم يتمالكوا أنفسهم فانهزموا مع قائدهم وبعض حلفائه.ينظر: الحويزي، علي بن عبد الله، الرحلة المكية، ص٩٢، ط بغداد، ٢٠٢٠ك، وتاريخ المشعشعين وتراجم أعلامهم، ص١٥ - ٧٧، ط النجف، ١٩٦٥م.

من أفراده وعاد إلى الحويزة.

السيد محمد كعادته يتواضع في مثل هذه المواقف، فكتب رسالة إلى ميرزا إسبند وتواضع كثيرا وأرسل الكثير من الممتلكات والبضائع التي حصل عليها من الشيخ أبو الخير كهدية لميرزا، وسأله عن اللطف والغفران.فخدع ميرزا إسبند بهذه الرسالة والهدية، وأرسل سهما وقوسا وسيفا إلى السيد محمد، وأرسل سفنا من الأرز، تاركا الحويزة مفتوحة له.واتجه نحو العراق عبر البصرة مع مجموعة من أهالي الحويزة الذين لم يكونوا بمأمن من شر المشعشعيين، وكانوا مضطرين إلى الهجرة.

دخل السيد محمد الحويزة، وسيطر على تلك المدينة، وكمكافأة على عطاء ميرزا إسبند، نهب أموال السكان الذين بقوا في الحويزة، ونهب أتباعه سفن ميرزا إسبند، والتي أرسلها من البصرة إلى واسط وكانت مليئة بالملابس والأطعمة.سمع ميرزا إسبند هذا الخبر في البصرة، فغادر البصرة واتجه نحو بغداد.

بعد فترة طويلة، قصد السيد محمد مرة أخرى إلى واسط واستولى على حصن بندوان الذي أسسه ميرزا إسبند، وبقي هناك لمدة ثلاثة أيام وعاد دون أن يفعل شيئا. في هذه الأثناء، انضم إليه معظم عرب تلك المناطق من عبادة وبني ليث وبني حطيط وبني سعد وبني أسد وغيرهم، وقبلوا انتصاره وغمره المجد والقوة وأرسل الجيش إلى البصرة، لكنه لم يفعل شيئا هناك، وسيطر على الرماحية جنوب الفرات، وأسس حصنا هناك وعاد إلى الحويزة مرة أخرى.

تجاوزات ومظالم مولى علي ابن السيد محمد

وبهذه الطريقة أرسى السيد محمد أساس حكمه وحقق حلمه في إراقة دماء الأبرياء.ولكن في هذا الوقت تولى ابنه مولي علي الأمور ولم يسمح بتدخل والده المسن في أموره، وبما أن السيد محمد كان قد اعتقد وأخذ بالمعتقدات الباطنية وبنى عليها دعوى مهدويته، وكما أن من عقائد الباطنية أنهم يدعون الإمام علي بن

أبي طالب ﷺ إلها، لهذا ادعى ابنه مولى علي أن روح الإمام ﷺ، وهو الله بنفسه، دخلت جسده، وعلى هذا الأساس، يدعي الألهوية.

توفي ميرزا إسبند سنة ٨٤٨هـ وأصبح العراق العربي تحت سيطرة جهانشاه. ولأنه توفي شاهرخ أيضا سنة ٨٥٠هـ استقل جهانشاه، بالحكم بعد أن كان تحت وصايته حتى ذلك الحين، وأصبح ملكا على كل من أذربيجان وآران وأرمينيا والعراق العربي والعراق الأعجمي وبلاد فارس وكرمان.ثم قصد إلى خراسان وكما هو مكتوب في التاريخ امتد حكمه إلى هرات وازداد مجد قوته.لكن الأحواز كانت تحت سيطرة السيد محمد وابنه مولى علي، اللذان استقلا بالحكم، وكما قلنا، لم يكونوا قساة مع المشعشعين بسبب شيعية جهانشاه واتباعه[1]. والي جهانشاه في بغداد هو ابنه بير بوداغ.في سنة ٨٥٨هـ ونتيجة للأحداث التي وقعت بين بير بوداغ ووالده، غادر بغداد متوجها إلى شيراز وخلا العراق العربي من حاكمه وشرطته.وانتهز مولى علي هذه الفرصة وحاصر واسط بجيش من المشعشعيين وغزا العراق ولم يقصر في إلحاق الضرر والتدمير.وصلت معاناة المدينة إلى النقطة التي مات فيها معظم الناس جوعا وهرب عدد كبير من الناجين إلى البصرة وتركوا المدينة المدمرة (سنة ٨٥٨هـ).

عين مولى علي شخصا هناك وذهب بحملة إلى النجف حيث دمر عتبة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وأحرق غرفتها.لمدة ستة أشهر، بينما كان هناك، كان رجاله

(١) كان قراقويونلويين كلهم من الشيعة المتعصبين، وكما ورد في مجالس المؤمنين، كان قد كتب هذا البيت على خاتم ميرزا بداغ:

اسمي بداغ وأنا باداغ الحيدر وكل ملوك العالم خادم لنا

لبيرم خان الشهير، سليل جهان شاه، الذي كان أحد الأمراء العظماء في بلاط همايون شاه وأكبر شاه هندي في العهد الصفوي، قصيدة نُشرت في ديوانه، وبدايتها هذا البيت:

إن الملك الذي يخترق جيشه الأفلاك إذا لم يكن غلام علي، فتعسا له تعسا

يقول في نفس القصيدة:

لا تطلب محبة سيد الرجال، علي لمن يفسق أهله ويفجر

يطبخون في حرمه.بحجة أن الإمام علي عليه السلام هو الله وأن الله لا يموت.ثم ذهب إلى بغداد، وفي الطريق، هجم على قافلة الحجاج وقتلهم جميعا ونهب ممتلكاتهم. وعندما خرج من بغداد مكث هناك تسعة أيام، ولم يتوقف عن القتل والنهب والدمار وإلحاق الضرر، ولما سمع أن جهنشاه أرسل جيشا لمساعدة البغداديين ترك بغداد وعاد إلى الحويزة.

ثم قصد إلى كهكيلويه وحاصر حصن بهبهان والذي كان فيها الشيخ بير بوداغ هناك. كما قلنا، كان بير بوداغ مهملاً في مواجهة عمل المشعشعيين نظرا لتعصبه للشيعة ولم يرغب في محاربتهم وجه لوجه.وعلى هذا، أختار رماة وحرضهم على قتل مولى علي بينما كان يستحم يوميا في نهر كردستان(١) وحرروا الناس من فسوقه ومظالمه، وارتاح السيد محمد بن فلاح واستعاد السلطة.وكان هذا في سنة ٨٦١هـ(٢).

إدعاءات السيد محمد:

وهنا لا بد أن نتحدث عن ادعاءات السيد محمد وعن دينه وأتباعه: كما قلنا أن ادعاء السيد محمد كان المهدوية وهذا الادعاء من العجائب.مهما كان للمهدوية من تاريخ طويل في عصور الإسلام، وقد ادعى الكثير من الناس هذا الادعاء قبل السيد محمد، وبعضهم مشهورين جدا(٣) والملاحظ أن الذين ادعوا أنهم المهدي لم يكونوا من الشيعة الاثني عشرية ولم يكن ادعاء المهدوية أمرا غريبا منهم.لكن السيد محمد

(١) هذا النهر هو الذي سمي بطاب في بداية الإسلام، وفي القرنين التاسع والعاشر الهجريين كان يُعرف بنهر كردستان، والآن بالقرب من بهبهان يُسمى نهر قنوات ماهرود، ويسمى وفي مناطق أخرى نهر جراحي.

(٢) مجالس المؤمنين، ومسودات الجواهري.

(٣) أحدهم هو محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى حفيد الإمام الحسن بن علي عليه السلام الذي ظهر في عهد الإمام جعفر صادق عليه السلام وكان كثير من العلويين من أنصاره، وكان منصور الخليفة العباسي خائفاً من تقدم أمره، فأرسل جيشا وقتلوه.

يرى نفسه من أتباع الشيعة الاثني عشرية وكان يستند في دعواه إلى هذا المذهب، ومن ناحية أخرى، فإن أساس هذا المذهب هو كون المهدي الإمام الثاني عشر من الأئمة، الذي تعتبره الشيعة حيا وخالدا، وتنتظر دائما عودته.فما هو التوافق بين هذا المذهب وتلك الدعوى وكيف قبل اتباع الأئمة الاثني عشرية دعواه؟ لا نعرف أي من الشيعة الاثني عشرية قبل دعوى السيد محمد، الذى قام بإظهار هذه الدعوى.إذن، ما هي الأرضية التي كان مهّدها السيد محمد لدعواه هذه؟

كان هذا السر خفي عنا حتى حصلنا على كتاب «كلام المهدي» وهو كتاب يحتوي على بعض أقوال السيد محمد وعرفنا خلفية دعواه.

يدعي السيد محمد أحيانا أنه خليفة للإمام الثاني عشر، ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ويقول في هذا الصدد:

كما جاء في الأحاديث الشيعية، يستطيع الإمام الغائب أن يفعل كل شيء، وبإمكانه أن يذهب إلى أي مكان يريده، وحينما يدخل في بيت، لا يستطيع أحد إيقافه، ويقضي على من يشاء من الأعداء.فكلما أظهر نفسه بهذه المقدرة، وكما جاء في الأحاديث، يأتيه يسوع من السماء، والخضر من الأرض، وفي هذه الحالة ينحني أمامه جميع الناس طوعا أو كرها.وبهذا يزول الاختبار الذي هو هدف الله ولازم أن يمتاز الكافر عن المؤمن، فيظهر الآخر غير القادر مكانه لامتحان الناس.وأن يخضع لادعائه من يؤمن بفطرته، ولا يقبل دعواه ويعاديه من كان بفطرته كافرا، وهكذا يتميز الكافر عن المؤمن.كما أن نبي الإسلام قام بوحده ودون أي ناصر، وانتهى به المطاف إلى أن يلجأ إلي كهف خوفاً على حياته، وفي ظل هذا العجز والوحدة تم اختباره وتميز المؤمن عن الكافر.

فيقول: هل أحد أهم وأغلى من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنه أخذ في عمله بوحده ودون نصير، وسيظهر هذه المرة بمنتهى القدرة؟!

هذا هو العنوان الذي يطرحه السيد محمد ضد الأقوياء والخائفين منه أو ضد

الحكماء واليقظين.لكنه يغير الدعوى أمام الآخرين ويقول صراحة إنه المهدي.وإنه ليس المهدي فحسب، بل هو من الأئمة والرسل، ويمهد طرقا لهذه الدعوى كما سنراه فيما بعد.

هناك رسائل في كتاب كلام المهدي من السيد محمد على اسم أمير بير قلي (على ما يبدو أن المقصود منه هو أمير بير بوداغ) وفي إحداها والتي كتبت سنة ٨٦٢هـ يقول:

أفتح حزني على أمير بير قولي، وهو أعظم من حزن جميع الأنبياء بعدة طرق: أحدهما إنني رجل علوي من أهل هذا الزمان وعند الشيعة من علي ﷺ إلى المهدي (عجل الله فرجه) اثنا عشر إماما أولهم علي ﷺ وآخرهم ابن حسن العسكري ﷺ .لقد كان مختبئا ومفقودا منذ ستمائة وسبع سنوات حتى هذا السنة.أيها الأمير أنا رجل عاجز، وأنا خادم ذلك الإمام، ولا علاقة لي ولا لأي شخص آخر بذاك الإمام ﷺ.وهو أسمى من أن يكون شخص من أهل هذا الزمان على صلة به، ولكن الكلام هو، أنا خليفته وقت اختفاء ذلك الإمام ﷺ .لأن هذا الوقت هو زمن الاختبار وليس زمن الظهور.ولكن عندما تصل شهرتي إلى كل مدن الإسلام وتسمعها الآذان، في ذلك الوقت يحن وقت الظهور، وسيفي الله بوعده.

وبعد ذلك يذكر الأسباب التي ذكرتها في هذا الصدد ثم يقول: هو اعتقاد كل الشيعة أن للإمام الغائب قدرة بحيث يستطيع أن يقصد في الأيام المباركة قبور النبي ﷺ والأئمة ﷺ ويدخل في عتبة واحد منهم، ولا أحد يستطيع منعه، لكن إذا أراد، يمكنه أن يميت أي شخص ويأخذ حياته مثل عزرائيل، فمن كان عنده هذه القدرة في الاختفاء وعندما ينضم إليه عيسى وخضر فما حاجته للحرب والقتل من بعد؟! في حين أيضا جاء في أحاديث الشيعة عندما يظهر الإمام الغائب، يجتمع حوله ٣١٣ من أعوانه.لذلك لا جدال في أن الغرض من الظهور ليس الظهور نفسه، بل ظهور الحجاب ومنزلته، وهو هذا السيد.من المؤكد أن السيد محمد كان يخاف من

أمير بير قولي، وقد كان منافقا ومتلونا في هذه الرسالة، لأنه في بداية الرسالة يكتب علانية أنه عندما يمضي وقت طويل وتصل شهرته إلى جميع مدن الإسلام، وفي ذلك الوقت سيظهر الإمام الغائب.إلا أنه في رسالته يدعى نفسه حجاب المهدي ﷻ و يري نفسه بمكانته، مما يعني (كما شرحه في مكان آخر) أنه هو المهدي بنفسه وليس هناك مهدي آخر.ولم يضف هذه العبارة في نهاية الرسالة إلا إنه يعلم أن بير قولي لن يفهم معناها.

لكن قضية أن السيد محمد نفسه هو المهدي، والذي كان ادعاءه الرئيسي، فإنه قدم مقدمة طويلة لتقدم هذه الدعوى الغريبة ومن أجل التوفيق بين دعواه وبين المذهب الشيعي الاثني عشر، اختلق سلسلة من الموضوعات من هؤلاء الباطنيين ومن نفسه.

في البداية يقول: هل النبي والأئمة الاثني عشر الذين يعتبرهم الناس ميتين أو مقتولين، هم مساوون لغيرهم من البشر أم الحيوانات والبهائم التي عندما يموتون أو يهلكون، فسيموتون حقيقة؟» هو نفسه أجاب على هذا السؤال ويقول: «إن الرسول ﷺ والأئمة ﵈ لن يهلكوا ولن يموتوا، وموتهم هو اختفائهم عن أعين الناس وانتقالهم من هذا العالم المرئي إلى ذلك العالم غير المرئي.كما قتل اليهود عيسى ﵇ وأرسلو رأسه إلى مصر.فيبين الله تعالى في القرآن أنه لم يقتل بل رفعه الله إلى السماء.لذا فإن وضع النبي ﷺ والأئمة الأحد عشر هو نفس وضع الإمام الثاني عشر.لأنه إذا اختفى هذا من أعين الناس وظل على قيد الحياة، فقد اختفوا هم أيضا وهم أحياء.فكيف يعود هذا الإمام إلى الدنيا والآخرون لا يعودون؟ فهل هذا العمل الذي لا طائل تحته يليق بالله؟! ألا يعد هذا زيادة على شيء لا زيادة فيه والذي لا يليق بالله؟! لذلك لن يستقيم الأمر إلا إذا ظهر شخص من جانب الإمام الثاني عشر بمثابة «حجاب» له أو بمثابة شخص بـ «منزلة» الإمام ﷻ.

وفيما يتعلق بكلمة «الحجاب» أو «المنزلة»، فلا بد من معرفة أن هذه إحدى

موضوعات الباطنية التي ظهرت من القرون الأولى للإسلام بين المسلمين.فظهرت الباطنية سلسلة من البدع من أبشع البدع؛ على سبيل المثال، يثنون على الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وكأنه إله، وكانت هذه المجموعة ألد أعداء الإسلام وتسببت في تدمير هذا الدين أكثر من أي شخص آخر. أخذ السيد محمد سلسلة من محتوياتها ويستفيد من أقاويلهم لتعزيز دعواه.ومن أقوال علماء الباطنية أن الله يأتي إلى الدنيا في أي وقت في جسد إنسان، وفي زمن نبي الإسلام كان الله في جسد علي عليه السلام.يوضح السيد محمد تلك الأقاويل بهذه الطريقة: أن لكل شخص «كينونة» و «مكان» و «منزلة».على سبيل المثال، يمتلك جبرائيل ذلك الملك السماوي المعروف كينونة وهذا الكيان موجود دائما ولا يتغير، لكن حجابه أو منزلته يتغير، كما كان يجيء أحيانا إلى النبي على هيكل «دحية الكلبي».وكذلك في قصة صيام النبي صلى الله عليه وآله، كل يوم يأتي هيكل آخر إلى البيت.ثم يشرح الغرض منه ويقول: «كان لصاحب الزمان عجل الله فرجه أيضا «كينونة» واحد لا يتغير، لكن يوما يكون حجابه ومنزلته ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام ، واليوم حجابه هو السيد محمد ابن الفلاح».

إذا بحثنا في كنه الكلام فإن السيد محمد يعتبر الإمام الثاني عشر ميتا مثل النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأحد عشر الآخرين، ويزعم أن روح الإمام تجسد فيه، ولكن لأنه ظهر من بين الشيعة ولم يكشف عن أساس عمله، فعلى هذا يتمسك بالكلمات الغامضة والمبهمة.

والاعتراض الذي يتوجه إلى قول السيد محمد هذا هو أنه، حسب قوله، لم يكن في وسع الإمام الثاني عشر أن يعود إلى هذا العالم وحده، وكان هذا الفعل يعد زيادة في ما لا يجب زيادته.فليس بإمكانه إلا أن يختار شخصا كحجاب له أو يكون بمنزلة، ويتجسد في هيكله.ويبدو أن السيد محمد نفسه انتبه على الاعتراض، بأنه في بعض الأماكن يدعي أنه خليفة لجميع الأنبياء والأئمة.وأحيانا يدعي أن له الوكالة ويقول: «يدي يد الأئمة والأنبياء».

أخطاء السيد محمد :

مع أنه لا ينبغي أن يتحدث المؤرخ عن معتقده الخاص، ومثل العديد من المؤلفين الإيرانيين يحكم على أشخاص ويضعهم في الجنة.ولكن بما أننا نتحدث عن دعوى السيد محمد ومذهب أتباعه، ولكي نتطرق إلى هذه القضية بشكل جيد، علينا تصوير هذا الرجل كما نعرفه.

السيد محمد مغامر مشاكس وليس له تطلعات إلا القيادة والحكم، ومثل كثير من أقرانه قام بإرشاد الناس، لكن ما كان عنده منهج لهداية الناس.فهو رجل مخادع الذي يغيّر كلماته بين الحين والآخر، وكما أراه، على الرغم الدماء الغزيرة التي أراقها من الأبرياء والأضرار التي ألحقها بالناس والتي لا تعد ولا تحصى، ليس له شيء سوى مجموعة من الكلمات الملونة التي لا قيمة ولا انتظام لها، ولم يحاول إلا بخداع الناس ونشر سلسلة من البدع المزيفة كدعواه لألوهية الإمام علي عليه السلام والتقمص ومثل هذه البدع.

كن أي شخص ومن أحببت: كن مهديا أو حجابه أو كمنزلة له، فماذا قدمت للناس؟ فمن كان رسول الله نبيا كان أو إماما يجب أن يظهر للناس سبيل الراحة والخلاص وأن يرد الضالين إلي الطريق القويم، وأن لا يكون كلامه كله ثرثرة.فالطبيب الذي يريد أن يعالج مريضا، بدلا من أن يداوي المريض، يكتب قصيدة بإسمه، فليس أجهل ممن يدعي أنه نبي أو إمام، وأما شغله هو كتابة الأذكار والتعويذات والكلام الملفق.

أكثر ما يفضح السيد محمد هو فسوق ابنه مولى علي الذي قلنا أنه قطع طريق الحجاج وقتل الكثير ويعتبر نفسه الإله بجسارة.ما من بدعة أكثر بشاعة وقذارة في الدنيا من بدع من أولئك الذين يعتبرون المخلوقات كالخالق، ويرون أن لعلي بن أبي طالب عليه السلام أو غيره صلة مع الله.هناك مسافة لانهائية بين الخالق والمخلوقات ولا يستطيع أحد أن يجتازها بأي شكل من الأشكال، وأولئك الذين يتفوهون بمثل هذه البدع، يستحقون أن تراق دماءهم هدراً مثل الكلاب المصابة بداء الكلب، هذا، وإن

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يعدُّ نفسه عبدا لله وأن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم، بكل عظمته، لم يعد نفسه أكثر من مخلوق خلقه الله، وأنه كان عبداً شكوراً لله، فمن الغريب أن هؤلاء الجهلة والخبثاء يرفعون هذا الإمام إلى مرتبة الله.

كانت دعوى مولى علي هذه إحدى ثمار دعوى والده، لأن السيد محمد، كان على معتقد ألوهية الإمام علي عليه السلام، وفي كل مرة، يضع الله في جسد آخر، ومن ناحية أخرى، ادعى أن الإمام الثاني عشر في جسده.خطى ابنه خطوة أبعد من ذلك وقال إن الله موجود في جسدي اليوم.وهذا يحدث دائما بحيث عندما يبدأ شخص بدعة وخدع مجموعة من الجهلة، يخطو أحد أقاربه خطوة إلى الأمام ويبدأ بدعة أبشع.

في حين كان مولى علي على قيد الحياة، زحف السيد محمد إلى منطقة زاوية وأعرب عن رضاه عن عمله.بعد القتل، في إحدى الكتابات التي تصف متاعبه وآلامه، يقول عن ابنه: «تغلب عليه ابنه وأذاقه مرارة شديدة، وهذا ما حدث، ثم قتل ابنه ووصل إلى رحمة الله ودخل الجنة، يغفر الله له ويرحمه.

ولما سمع أن أمير بير قولي (بير بوداغ على ما يبدو) قال أشياء سيئة عن مولى علي وأطلق عليه إسم «يزيد الثاني» بسبب تدميره لعتبة الإمام علي عليه السلام، كتب السيد محمد رسالة إليه وقال أشياء سيئة عن ابنه، ودعاه «جهنميا»، ويتبرأ منه، وينشد هذه الأبيات في هذا الصدد:

إذا العلوي تابع ناصبياً بمذهبه فما هو من أبيه
وكان الكلب خير منه طبعا لأن الكلب طبع أبيه فيه

ومعناه: إذا كان العلوي يتبع ناصبيا في الدين، فهو ليس من أبيه، والكلب أفضل منه: لأن الكلب ليس له إلا جوهر أبيه[1].

---

(١) السلطان محمد خدابنده، الذي استدعى يوسف بن مطهر الملقب بالعلامة من الحلة إلى سلطانية وشجعه على التحدث إلى علماء السنة، كان يدعمه أحد العلويين في تلك الجمعية، وقد أنشد يوسف أو غيره من أتباعه، في ذم ذلك العلوي، هذين البيتين.

وقال «ولما نهبوا عتبة الإمام علي عليه السلام وعتبة الإمام الحسين عليه السلام، أجبروني على سحب الأموال من عمليات النهب هذه، ولكني فضلت الموت على ذاك الأمر، ولم أقبل ولو فلسا من ذلك المال، وما قمت بذلك الأمر خوفا من العتاب، ولكن مرضاة لله».

في هذه الرسالة، أدلى بتصريحات صارمة لأمير بير قلي وقال: أنت وأمراؤك الذين هم بمعتقدك، عندما تذهبون لزيارة الحرم لأحد الأئمة، تبدأون بشرب الخمر في ذلك المكان الطاهر، وفي كل وقت تضايقون الناس، وإن خرج الإمام الحسين من القبر لن يترك أحدكم على أعماله القبيحة.

«إذن، فما الفرق بينكم وبين الشمر؟» وقال «من لا يخاف الله ولا يمتنع عن شرب الخمر والفجور بالنساء والفتيان والاستيلاء على أموال الناس بالقوة فهو عندنا أسوأ من قاطع الطريق».نحن نعلم على وجه اليقين أنه إذا كان أي منكم في كربلاء، فسيكون ملطخا بدماء الحسين.بعد كل هذا، فكيف تخلقون تلك الافتراءات؟! ثم يأتي بالمثل فيقول: من له سقف زجاجي لا يرشق بيت الجار بالحجارة، و«من له ثياب من الورق لا يدخل الحمام».من هذه الرسالة نستطيع أن نعرف أن السيد محمد كان رجلا فظا غليظا، وهذه الفظاظة كانت إحدى أدوات عمله.ومن الواضح أيضا أنه على الرغم من كل كراهيته لابنه، لم يذكره بسوء.

حوارات السيد محمد مع العالم البغدادي:

وكما يتضح من كلام المهدي، فقد كتب السيد محمد العديد من الرسائل إلى أمير بير قلي، ولكن هذه الرسالة كان لها تأثير آخر، مما دفع الأمير إلى أحد علماء بغداد إلى كتابة رد.بالرغم من عدم وجود نسخة من ذلك النص للعالم البغدادي، إلا أن الإجابة التي أجاب عنها السيد محمد هي موجودة في كتاب كلام المهدي والرسالة طويلة جدا.نظرا لأن بعض هذه المحادثات لها قيمة تاريخية، فإننا نأتي

بترجمتها هنا:

وكتب البغدادي: «إذا كنت تسعى إلى مرضاة الله فعليك أيضا أن تطلب مرضاة نبيه...».

يقول السيد محمد: إني أسعى إلى رضا نبي الله أكثر مما أجتهد في ذروة شريعته وأطيع كلامه. ومن علم بعملي يعلم أن القوم الذين لم يصلوا هم، وآباؤهم وأجدادهم علمتهم الصلاة إلا قلة منهم وما كان طعامهم إلا حرام، وما كانت أعمالهم إلا عارا. بعثت لمثل هؤلاء الناس من يعلمهم شريعة نبي الله. وفي كل مكان عينت «قارئا» لهم ليتعلموا القرآن وأمور الدين والصلاة والغسل، وتجنب النجاسات العشر. ومن يمشي حافي القدمين في الأزقة القذرة أضربه حتى يشتري الحذاء. وإذا كان مسكيناً، أدفع له ثمن الحذاء بنفسي. وإذا لم أستطع، سأطلب منهم وضع بعض التراب النظيف في باب الدار وعندما يعودون إلى المنزل، ينظفون أقدامهم المتسخة به، ثم المشي على السجادة أو في السرير. إذا لم يغسل الجزار دم اللحم أو يلقي بالسكين إلى مكان متسخ، وبهذه السكين دم الذبيحة، سأضربه. إذا ركل الجلد بقدمه القذرة وألقى اللحم عليها، سأضربه. إذا اشترى شخص ما لحما من هذا الجزار وما قام بغسله، فسوف أضربه. أعاقب الصباغ الذي يضع الحبال الملوثة بأقدامه القذرة في الطست. «والطباخ أو البقال الذي ينظر بشهوة إلى امرأة أو فتاة، سأعاقبه، ما عدا الطبيب الذي لا مفر منه...» وقال: «طردت كل الحرفيين اليهود الذين كانوا في البصرة والجزائر والحويزة، وطردتهم أيضاً من دار الضرب لأنهم أنجاس».

قال البغدادي: «إذا أردت أنت مرضاة الله، فلماذا لم تمنع ابنك؟» يقول السيد محمد: «ما كان بمقدوري أكثر من أنني بعثت رسالة إلى أمير الحلة وقلت أن المشعشعيين يقصدون قطع طريق الحجاج. «انتبهوا أنتم وبقية الأمراء، وكنت أخشى أن أقتل لأنني أرسلت هذا الخبر».

وقال البغدادي: «العلم الذي تدعيه أنه جدير بأُلئك البسطاء الذين حولك». يقول

السيد محمد: «من كان حولي كانوا من الجهلة اجتمعوا حولي بمساعدة المشعشع وقمت بردهم عن جهلهم ليأخذهم إلى الصراط المستقيم، كما بالغ بعضهم فيّ وفي أولادي حتى تمكنت من إعادتهم، ولقد وصلوا الآن إلى درجة لن يعصوننا وإن قُتلوا جميعا».

كتب السيد محمد في كتاباته لشخص آخر: «تعال إلينا لترى ولتوقن واسأل عن ما لا تعرفه».وكتب إلى أمير بير قلي، مثل هذه العبارة.يرد العالم البغدادي عليه ويقول: إنك قتلت من نلت مثل الحجاج، والآن كيف يمكن لأحد أن يخاطر بحياته ويأتي إليك؟!» وردا على هذه الجملة، يسمي السيد محمد ثلاثة أشخاص كانوا معه وقتلهم، لكنه يعتذر لكل منهم: كما يحذر العالم البغدادي بأنه سيعثر عليه بعون الله وسيقتله! فيقول: «أيها المارد الوقح! كان الحجاج من موالي مروانيين.وأنا من آل بيت النبي ﷺ فكيف تعدني مثله؟! وفي مكان آخر يكتب أبشع الإهانات التي لا يستحق أن يلفظها إلا من لسان الناس الحقيرين، يقول عن العالم البغدادي الذي لا يعرف من هو.

وقال البغدادي «كيف حسبت ابنك أنه من أصحاب الجحيم وأنت قبل ذلك تثني عليه وتدعو له؟».

يرد السيد محمد بعد سلسلة من الإهانات «كنت أخشى على حياتي في ذلك الوقت وكل ما فعلته وقلته كان خوفا على الحياة، كما يتعامل الإمام علي بن أبي طالب مع أبي بكر في زمن خلافته خوفا على حياته وإنه يصلي خلفه».

يقول البغدادي: «كنت من يعلم ابنك، وكنت مرشده في الأمور، فكيف تكرهه الآن؟» يلفظ السيد محمد بسلسلة من الإهانات ثم يقول: «اتبعت الإمام علي عليه السلام في هذا الخصوص الذي كان يرشد أبا بكر، ثم اشتكى منه كما جاء في خطبة الشقشقية».

قال البغدادي: «إذا كنت صادقا وأنت عالم الغيب، فكيف لا تعرف كفر ابنك من قبل حتى لا يتقوى وتقتله؟!» ينفي السيد محمد علمه بالغيب ويقول: «يجب أن

يتقوى ابني ويظهر الكفر، ولم يجز قتله قبل ذلك الوقت، كما أن الله خلق الشيطان بكل علم من كفره وأعطاه فرصة وأمهله».

معارك السيد محمد:

لقد ارتكب السيد محمد العديد من المجازر في حروبه، وكما رأينا فقد قتل بعد الحرب بعض الناس بذريعة مختلفة.لم يكن لقب «الحجاج» الذي أطلقه عليه العالم البغدادي في غير محله.ولكن هنا نقصد من القتل ما هو يشير إليه في أحكامه كعقوبة.

في إحدى كتاباته التي زُعم أنه كتبها سنة ٨٥٥هـ، يدعو الناس إليه ويعدهم بأنه سيحصل على النصر العظيم (الغلبة الآتية)، وفي ذلك اليوم ، سيقتل كل أعدائه منهم من ينكرون النبي ﷺ والأئمة، وكل من كانوا يعادونه.

ثم يذكر عشرة أمور يعدها الإسلام نجسة ويقول: «هذه الشوائب قد غطت وشملت الشوارع والطرق، ووصلت من الأرض إلى باطن القدمين والأحذية وأطراف العصي»، ومنها يصل إلى أجساد الناس وملابسهم.ومن لا يتجنب هذه النجاسة سيقتل في يوم الغلبة الآتية.

ثم يحصي سلسلة من الناس واحدا تلو الآخر ويخبر الجميع أنهم سيُقتلون: شخص جاره المؤمن جائع ولا يعطيه خبزا رغم المقدرة.الخبازات أو الطهاة اللاتي يمشين حفاة في الشوارع أو يلمسن أقدامهن القذرة أو يحرقن أقدامهن المتسخة بالحطب أو في الفرن.ومن ركل ابنه أو زوجته فراشه بقدمه القذرة. من ينظر بشهوة إلى زوجات الآخرين أو الخادمات إلا الطبيب أثناء العلاج، ولكن إذا نظر هو أيضا بشهوة، فسوف يُقتل.اللصوص وأولئك الذين يخرجون السيف من غمده لتخويف الناس. رجل يفعل المنكر بصبي، والصبي الذي يسمح للأخرين أن يفعل المنكر به.والجزار الذي لا يغسل دم اللحم.أو أن يلقي السكين على الأرض القذرة ويضربه باللحم، أو

يركل الأرض القذرة بقدميه ثم يمشي على الجلد ويلقي اللحم على ذلك الجلد. أي مشتر يرى عمل الجزار هذا ويشتري منه اللحم ويطبخ ويأكل ذلك اللحم بدون غسل.كل بقال أو طباخ يلقي ملاعقه وأوانيه على الأرض المتسخة.كل صباغ يركل النسيج أو الخيط بقدميه المتسختين الحافيتين.

كل امرأة نائحة تسمع صوتها للناس أو تغني كلمات عديمة الجدوى (باطلة).كل من كشفت وجهها للرجال الأجانب أو اسمعت غنائها لهم - إلا عند إجبارها على ذلك.من يأخذ الربا أو يدفع الربا - يقول إن كل هؤلاء المذنبين سيقتلون.

يقول «من يمس كافرا ولا يغسل يديه سيقتل، ويعد الكافر والمشركين وعباد النار واليهود والنصارى والصابئين والجبري والغالي والناصبي وكل من ينكر هذا السيد».

يقول: سيقتل المشركين ومن كذبوا النبي والأئمة الأحد عشر أو الذين لا يعتبرون الإمام علي عليه السلام «سر الأرض والسماء».

لكن مثلما لم يكن لدعاوي السيد محمد أساس متين ويتغير في كل مرة فأحكامه أيضا لم تكن مبنية على أساس متين.لأنه، كما رأينا، في ذلك الرد على عالم البغدادي، بدلا من كثير من القتل، عدَّ «الضرب» عقابا[1].

وأيضا في أماكن أخرى، مثل رسالة إلى أمير توران شاه نامي، ويمكن رؤية نسخته في كلام المهدي، يطرح أحكام الإسلام ويذكر جميع العقوبات وفقا لقواعد ذلك الدين.

والأعجب من كل هذا في كتابته التي تعلن عن «الغلبة المستقبلية» وتذكر العقوبات، وكما قلنا، تعد عقوبة النظر إلى المرأة الأجنبية القتل، وفي مكان آخر منه يقول إن «من ينظر إلى امرأة رجل لطيف ووسيم سأفقأ عينيه».فلا يعرف سبب هذه العقوبات الملونة.

(١) صفحة ٢٢ من هذا الكتاب.

والواضح من كلمات المشعشع أنه انزعج كثيرا من قذارة وتلوث أعراب البدو، ومن أنهم قد لوثوا الزقاق وساروا حفاة القدمين في تلك الأراضي القذرة ولم يهتموا بتلوث أجسادهم وملابسهم، وحاول لصد هذا العار. ولهذا يذكر هذه المسألة في كتاباته، ويحسب العقوبة الشديدة عن هذه الوساخة. ولعل هذا هو العمل الصالح الوحيد للسيد محمد، وبما أن حقيقية أن الوساخة والقذارة من أعظم عيوب الناس، فلا ينبغي عدَّ تلك العقوبات القاسية غير مناسبة في هذا الصدد.لكن معظم العقوبات الأخرى في غير محلها، وبما أن «المشعشع» يعدّ عقوبة الذنوب الصغيرة قتلا، هو سبب تعطشه للدماء.

إصرار السيد محمد:

كما قلنا، يهون السيد محمد نفسه أحيانا ويعد نفسَهَ خليفةً للإمام الثاني عشر أحياناً أخرى.في بعض الأحيان ينتهز الفرصة ويصعد أكثر من هذا ويعد نفسه من مرتبة النبي ﷺ، كما يدعي الألوهية.يتضح من كتاب كلام المهدي أنه مارس كتابة أسلوب القرآن.كما أنه اقتداء بالأئمة الذين كتبوا لهم أدعية الزيارة لكل منهم، وكتب هو أيضا دعاء الزيارة لنفسه.يبدو أن على مريديه قراءته كل يوم. كما كتب مناجاة يدعو فيها نفسه «ولي الله»، ويجب على المريدين تلاوة هذه المناجاة وأن يطلبوا لولي الله النصر والحماية من عند الله[1].ولكن مع كل الدعاوى والتعالي التي يدعي بها السيد محمد من المعرفة والفهم، ويطلق على نفسه «أعلم أهل الأرض»[2]، يتضح من كلماته أنه كان رجلا جاهلا وغبيا جدا، وخاليا من المعرفة التي كل يجب أن يتزين به الشخص المتعلم. والذين كتبوا عنه بأنه قضى بعض الوقت في مدرسة ابن فهد، يبدو أنه منذ ذلك الحين لا يهتم بشيء سوى ممارسة الأفكار المهدوية ولم

(١) سنأتي ببعض كتاباته في نهاية الكتاب.
(٢) أعلم أهل الأرض.

يشغل قلبه لتعلم الأشياء الأخرى، وهو أنه حرم نفسه من الدروس والعلوم العادية.

ومن الأمثلة على معرفته بفن التاريخ أنه يقول في عدة أماكن في كتاباته: «قُتل يسوع وقطع رأسه وأرسله إلى مصر كهدية لامرأة شريرة».

ودائما ما يكتب عن السيدة نرجس، والدة الإمام الثاني عشر، «إنها ابنة الإمبراطور الروماني». لا أدري ما قصده بالإصرار على ذلك. وقال «عندما فتح العباسيون روما، أسروا ابنة قيصر وأحضرت إلى بغداد.» لكن لم يعرفها أحد، وسترها الله حتى لا يمدّ أحد يده إليها. «ولأنهم كانوا يبيعون الأسرى في السوق، اشترتها ابنة الإمام علي النقي عليه السلام وأعطتها لأخيها الحسن العسكري عليه السلام، ومنها ولد المهدي ابن الإمام الحسن عليه السلام.

يكتب شرحا عن قصة وفاة الإمام الرضا عليه السلام وهي قصة سخيفة للغاية: غادر الخليفة مأمون بغداد بحجة زيارة قبر والده هارون الذي كان في طوس ووضع العنب الطازج في جرار العسل. وحمل هذه الأواني على البغال والجمال معه. وعندما وصل إلى «طوس»، أخرج العنب وسمّها بخيط سام وإبرة على يد الطبيب الذي أخذها معه. «وبعث بها رسولاً إلى الإمام عليه السلام، وكتب أنها هدية من العراق التي أحضرتها معي، وأكل الإمام عليه السلام ذلك العنب ومات بعد ثلاثة أيام».

قال ذات مرة نقلا عن بخت النصر: «لقد ادعى الألوهية، وما زال النصارى يعدونه إلها».

كما قلنا، مع هذا الجهل والغباء، يطلق أحيانا على نفسه أنه أعلم أهل الأرض. يقول أحيانا: «لقد وهبني الله علم جميع الأنبياء». «في بعض الأحيان أيضا يدعي أنه يعلم الغيب ويكتب: من يسبني سأقتله عن علم».

والأسوأ من ذلك كله لهذا الرجل هو جداله ووقاحته الذي يعكس تماما ما يقوله هنا في مكان آخر، ولا يخجل أبدا. نقلنا سلسلة من كلماته المتقلبة، يغيّر فيها دعواه وأحكامه على التوالي، ويتكلم مع كل شخص حسب حالته.

على الرغم من أنه كان يؤمن بصراحة بألوهية علي عليه السلام ويشرح هذا الاعتقاد عدة

مرات، إلا أنه في مكان ما في حديث مأخوذ عن نبي الإسلام ﷺ قال: «يا علي، هلك فيك اثنان، محب غال ومبغض قالٍ»[1].كما يروي حديث مشهور من لسان أحد الأئمة الاثني عشر بعبارة: «نزلونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم»[2].«وقد رأينا أنه يحصي الغالين بين الكفار ويوعد بقتلهم في الغلبة الآتية».بل يعد بقتل كل من يلمس سجادة ولا يغسلها.لا أحد يسأل أليس الغلاة غير أولئك الجهلة التي أوصل الإمام علي عليه السلام أو غيرهم إلى مرتبة الله، أو ينسب إليهم أعمال الله، وأنت وأتباعك الذين يعدون ذلك الإمام الله، أن ما أنتم من «الغلاة».

وكذلك كما قلنا عدَّ الإمام الثاني عشر ابن الإمام الحسن العسكري ميتا مثل باقي الأئمة.وذلك أن، يدعي نفسه مكانه.ملخص أقواله والأسباب التي قدمها هو هذه الدعوى وحسب.ومع كل هذا، في عدة أماكن، عدّ حياة ذلك الإمام ويقول إن عمره حتى هذه السنة ستمائة وسنة.في وقت من الأوقات، تحدث رداً على أولئك الذين شككوا في حياته الطويلة، وهو يستشهد بطول عمر الشيطان والخضر وغيرهما.ومع ذلك، هناك العديد من العبارات الملونة والمتقلبة في كلامه، ولم يعد هذا العمل ذنبا أو إثما.

نهاية أمر السيد محمد:

بعد وفاة المولى علي استأنف السيد محمد عمله، وحكم في الأحواز والجزائر وجزء من العراق.في نفس السنة ٨٦١هـ التي فيها قتل المولى علي.قصد الأمير ناصر، أحد أمراء العراق، محاربة المشعشعيين، وذهب إلى بغداد ومن هناك جهّز جيشاً كبيراً وذهب إلى واسط ليدخل من هناك إلى الأحواز.سمع السيد محمد

(١) يا علي، هلك فيك اثنان، محب غال ومبغض قالٍ، ويقصد به الحب إلى درجة عبادة الشخص بدلاً عن الله ﷻ والبغض هو الحقد الأسود الأعمى بدون مبرر.

(٢) نزلونا عن الربوبية.وقولوا فينا ما شئتم.

خبره واندفع إليه مع جيشه.وبالقرب من واسط التقى الجيشان وخاضا معركة شرسة.وانتصر فيها السيد محمد.كتب القاضي نور الله: «كل هؤلاء قتلوا في معركته ولم يبق منهم أحد».

بعد هذه الحادثة، لم يقصد أحد إلى حرب المشعشعيين.ولأن بير بوداغ، حاكم العراق وبلاد فارس، وكان على خلاف مع والده جهانشاه، وكان مشغولا بعمله، ومن ناحية أخرى، لم يعد المعركة مع المشعشعيين لصالحه بسبب تعاطفه مع الشيعة. هذا، وإن السيد محمد حكم بأمان، وعاش في سعادة وراحة حتى سنة ٨٧٠هـ.

في هذا الوقت من الراحة والفرح كتب إلى بير بوداغ رسائل.وقد أجرى معه المحادثات التي نقلناها.وأيضاً في هذا الوقت كتب العديد من مؤلفاته من كتب المناجاة والزيارة، وعن القرآن الكريم، ونحو ذلك في سنة ٨٧٠هـ ظهرت علامات الموت على وجه السيد محمد، وشيبه الأبيض، ولم يترك إلا سلسلة من البدع القبيحة ومجموعة من الأتباع الضالين المضللين[1].

٢- حكام الأحواز بعد السيد محسن بن محمد بن فلاح الواسطي من المشعشعين:

بعد السيد محمد، جاء دور ابنه السيد محسن ليحكم.يجب أن نقول إن السيد محمد والمولى علي تحملا المعاناة، وسفكوا دماء الأبرياء، وربح السيد محسن الذي حكم بسلام ٤١ سنة.

---

(١) ذكر في كتاب مجالس المؤمنين أن السيد محمد توفي سنة ٨٧٠.لكن السيد علي، حفيد السيد محمد، ذكر أن وفاته كانت سنة ٨٦٦. لأننا لا نؤمن كثيرا بأقوال السيد علي، فضلنا كتابات القاضي نور الله. يجب أن نقول هنا، أن القاضي نور الله كان مواليا لعائلة المشعشعيين، وكتم فسوق السيد محمد وأبنائه قدر استطاعته.وأشارت مراجع أخرى أن وفاته كانت سنة ٨٦٦هـ - ١٤٦١م، أعيان الشيعة: ١٩٤/٤٦.

كانت هناك أعمال شغب وحرب في إيران والعراق في ذلك الوقت.تحارب جهانشاه مع ابنه بير بوداغ.أخيرا، وفي سنة ٨٦٩هـ أرسل جهانشاه جيشا على بغداد لقتال بير بوداغ، وحاصر المدينة لمدة سنة.ولما توافقا على السلام، فتح بير بوداغ أبواب المدينة أمام الغرباء.أرسل جهانشاه، الذي كان مليئا بالاستياء تجاه ابنه، أرسل ابنه الآخر محمد إلى الداخل وقتل بير بوداغ بيده.٨٧٠ ثم في ٨٧٢ قُتل جهانشاه على يد حسن بيك بايندري (آق قويونلو).سقط حكم إيران في يد بايندريين.كان عصره مليئا بالحروب والصراعات وتجهيز الجيوش.في ستة وثلاثين سنة، جاء تسعة ملوك وذهبوا، وكانت هناك دائما حرب وحملات.نتيجة لضعف إيران هذا، اعتلى الشيخ آقلي، وهو صوفي يبلغ من العمر ١٥ سنة[١]، العرش مع مجموعة من الدراويش.في وقت قصير سيطر على جميع أنحاء هذه الأرض.

نعم، كانت أعمال الشغب هذه أرضية مناسبة كي يحكم السيد محسن المشعشعي بالسهولة لمدة أربعين سنة ونيفا.وبما أنه لم يصر على العدو نفسه، فقد زاد مجد وقوة المشعشعين أكثر من ذي قبل.في عصره، كانت كل الجزائر، والأحواز، والبصرة، وتلك المناطق حتى حدود بغداد، وبهبهان، وكهكيلويه، وموانئ الخليج العربي، وبختياري، ولورستان، وبشت كوه، ووفقا لقول السيد علي أيضا كرمانشاه، كانت جزء من مملكة المشعشعين.

يكتب السيد علي أنه في عهد السيد محسن، ظهر قبيلة المنتفق لأول مرة في مناطق البصرة.وكان شيخهم الشيخ يحيى بن محمد الأعمى.وسيطروا على البصرة. أرسل السيد محسن جيشا إلى هناك وقتل يحيى.وتصالح مع ابنه على أن يدفع يوميا مبلغا من المال[٢].

---

(١) كانوا يلقبون شاه إسماعيل في بداية أمر دعواه بلقب «شيخ أغلى».

(٢) ذكر الحادث في الرحلة المكية مع تفصيل عن سعة دولة المشعشعين أيام الملك المحسن، ص١١٤.

كما قلنا، كانت خلافات الشيعة والسنة ساخنة في ذاك الوقت.ولأن «المشعشعيين» كانوا من الشيعة، فقد لجأ فقهاء وكتاب الشيعة إليهم دون خوف من اجتهاداتهم وفتاواهم .كان السيد محسن أيضاً محباً للمعرفة ويكافأ المؤلفين.هذا هو سبب كتابة كتب باسمه.على سبيل المثال، إن صدر الدين الشيرازي كتب حاشية لكتاب شرح التجريد باسم السلطان بايزيد السني العثماني، كما كتب مولانا[١] جلال الدين الدواني أيضاً حاشية أخرى على هذا الكتاب باسم السلطان يعقوب بايندر (الذي كان أيضا سنيا)[٢].وكتب مولانا شمس الدين محمد أسترابادي حاشية ثالثة على شرح التجريد، وكتب مقدمة باسم السيد محسن المشعشع الشيعي.قبل السيد محسن عمله وأرسل له الكثير من المال هدية له[٣].

كتب السيد علي أنه سنة وفاة السيد محسن كانت سنة ٩٠٥هـ.كان من أشهر أبنيته هو قلعة مدينة الحويزة ومدينة أخرى تسمى المحسنية.

٣ - السيد علي وأخوه أيوب ولدا محسن:

بعد السيد محسن، خلفه ابناه السيدان علي وأيوب.كتب القاضي نور الله وآخرون اسمه مع شقيقه أيوب، لكن لا يُصدق أن يحكم شخصان معا في مكان واحد.ينبغي أن يقال أن أيوب كان وزيرا أو نائبا له.

في ذلك الوقت، كان إسماعيل الصفوي قد ثار للتو، وبدعم من الصوفيين، سيطر على مدن إيران واحدة تلو الأخرى. ونشر المذهب الشيعي بقوة السيف.من عجائب

(١) في ذلك الوقت، كان يطلق على الفقهاء اسم «مولانا» في إيران وما حولها، وهذه هي الكلمة التي أصبحت «الملا» اليوم.

(٢) كان بايندريون أو آق قويونلويون سنيا على عكس قره قويونلويين.

(٣) مجالس المؤمنين، ذكر البعض أن كتاب عمدة الطالب ألف أيضا بإسم السيد محسن (مسودات الجواهري)، لكن هذا القول غير صحيح.

التاريخ أن الشيخ صفي كان في بداية القرن الثامن رجلاً سنياً ويتحدث بالفارسية ولم يكن سيدا.لكن في بداية القرن العاشر، أصبح حفيده السادس إسماعيل حاكماً بمذهبه الشيعي واماراته التركية شمال إيران، وأصبح سيدا أيضا، وكان صارما بشأن التشيع لدرجة أن سلسلة من أوجه القصور نشأت عنه[1].

ومن أعمال الشاه إسماعيل قتل علي وأيوب واسقاط حكم المشعشعيين المستقل.ولكن في كيفية ذلك ذكرت أقوال مختلفة.يقول القاضي نور الله: أخبر بعض الحاقدين والمنتقدين شاه إسماعيل إنَّ عليًا وأيوب لهما نفس طريقة عمهما المولى علي، وأنه بما يدعي ادعاءات لا أساس لها من الصحة، لهذا السبب عندما اجتاح بغداد بتحريض من مير حاجي محمد والشيخ محمد رعناشي اللذان كانا معلمين لأبناء السيد محمد، قصد من هناك إلى الحويزة.ذهب السيد علي عنده بلا خوف وعلى اعتبار تشيعه وأظهر التواضع.لكن الملك، إيمانا منه بعدم صحة دينهم، أَمر بقتل الشقيقين وشيوخ المشعشعين الآخرين.

يكتب مؤلف تكملة الأخبار تقريبا المعنى نفسه.كتب السيد علي أنه عندما أرسل الشاه إسماعيل جيشه إلى الأحواز، كتب إليه علي وأيوب أننا من الشيعة، وأن ما يقوله المنتقدون والحاقدون عنا ليس إلا كذبا.قبل الملك إسماعيل هذه الكلمة منه وعاد وأرسل إليهما هدايا.ولكن بعد ذلك استقر علي وأيوب في شوش التي رممها السيد محسن وحصنها، دعاهما والي تستر وكان من الإيرانيين إلى حفلة والذهاب للصيد واعتقلهما وقتلهما.

ويقول في تذكرة تستر إن السيد علي وأيوب انضما باسم السيادة والمذهب الواحد إلى الشاه إسماعيل في غزو بغداد وأسرهما وقتلهما.ثم عندما هاجم الجيش الصفوي الحويزة، ذهب السيد فياض، ابن آخر للسيد محسن، إلى الحرب وقتل هو نفسه مع

---

(١) هناك كتاب آخر لمؤلف هذا الكتاب عن العرق والدين ولغة السلالة الصفوية سيتم نشره.

الجيش في تلك الحرب[1].

لكن كل هذا غير صحيح.والصحيح والمعقول كتابة المؤلف حبيب السير الذي كان معاصراً لشاه إسماعيل وكتب أعماله بالتفصيل.وفقا لهذا المؤلف، في سنة ٩١٤هـ أرسل الشاه إسماعيل جيشا إلى العراق العربي واستولى على بغداد.ثم عندما سمع كلمات عن فضائع المشعشعيين وامتداحهم للسيد الفياض (وكأنه كان على مذهب المولى علي بن محمد بن فلاح) كإله، قصد إلى الحويزة، وحاول الإطاحة بهم. علم السيد الفياض بذلك، حاول تجهيز الجيش، والتقى الجيشان خارج الحويزة وقاتلا بشدة.

وكما يقول إسكندر بيك التركمان:

أصبحت الأرض مليئة من دماء المشعشع في تلك السهول

ومن كثرة الدماء في تلك الأراضي، غرق الكون في الدم

ومن كثرة القتلى في ذلك الوادي، انسد مجرى الرياح[2]

يقول مير خواند: لقد أظهر المشعشعيون شجاعة لا تحصى، وقاتلوا بإصرار من طلوع الشمس إلى غروبها حينما اشتعلت نار الحرب والخصومة.لكن مع غروب الشمس، هاجمتهم قوات الشاه جميعا بالسهام المسلولة، وفي ذلك الهجوم المفاجئ هزم الفياض والعديد من الأمراء المشعشعيين.وبعد فترة فقد الأعراب شجاعتهم وتحملهم وتشتتوا واضطربوا[3].

---

(١) كما قلنا، فإن القاضي يريد دائما أن يكتم شرور المشعشعيين، ولهذا اعتبر أن الحرب مع الشاه إسماعيل وقتلهم في الحرب لا ينفعهم ويضرهم، تستر عنهم.تتكون أقوال السيد علي أيضا من أقوال القاضي وأساطير التي ينقلها الناس.ولكنه، بما أنه رأى مؤلف مذكرة تستر، اسم فياض وحربه مع الشاه في حبيب السير وتواريخ أخرى، ومن ناحية أخرى، يتذكر كتابة القاضي، ذكر حديثه من مجموع تلك الكتابات، بينما فياض لا يمكن أن يكون غير السيد علي.

(٢) عالم آرا، سيرة إسماعيل. يبدو أن الأشعار كانت لإسكندر بيك نفسه.

(٣) والعجيب أنه في روضة الصفا ومنتظم ناصري اللذان يكتبان خلاصة قصة هذه الحرب يكتبان عن

بعد هذا الانتصار جاء الملك إلى الحويزة وقتل من بقي من المشعشعين.وولى واحدا من أمراء قزلباش هناك.وهرع نفسه إلى دزفول مع الجيش.سلم حاكم دزفول المدينة لأفراد الشاه دون حرب.أيضا في تستر، على الرغم من أنه كان في قلعة سلاسل، عندما اقترب جيش الشاه من المدينة، أرسل له الهدايا.فخرج من الحصن واستقبل الملك.أقام شاه إسماعيل معسكرا خارج تستر لفترة طويلة.وعندما رتب شؤونه هناك، توجه إلى بلاد فارس عبر كهكيلويه.

لقد أراق الشاه إسماعيل الكثير من الدماء.وكما قلنا، فقد نشر سلسلة من الأعمال غير المناسبة التي ابتليت بها إيران لفترة طويلة.كما حاول حفيده إسماعيل الثاني القضاء على تلك الأعمال ولم يقدر فعل شيء بسبب الموت.ثم فكر نادر شاه إلى حل وحاول كثيرا، ولكن رغم كل هذا لم تسفر عن نتيجة.

في التواريخ الصفوية، لطالما غطوا الستار على أعمال الشاه إسماعيل القبيحة وسفكه للدماء.وهذا هو السبب في أنه يعد ملكا مخلصا.في حين قام بالعديد من الأعمال القبيحة، وإذا بحث المرء في التاريخ، فإن الغزو الأوزبكي لخراسان والدمار العثماني لأذربيجان كانت في الغالب ثمار ردود الأفعال والأعمال المؤسفة لهذا الملك.لكنه كان إطاحته بالمشعشعيين عملا حسنا جدا، لأن المشعشعيين، كما قلنا، أظهروا البدع القبيحة وكانوا أناسا غير طيبين.

كتب القاضي نور الله أن السيد محسن وأولاده تابوا عن بدعهم على يد أولاد مير نور الله ومرعشي، الذي كان فقيها مشهورا في تستر، واهتدوا إلى الصراط المستقيم.لكن الآخرين كتبوا عكس ذلك.وكما قلنا، فإن فقهاء وعلماء الشيعة غضوا النظر عن بدع المشعشعيين القبيحة بسبب تعصبهم الشيعي وبتقربهم منهم، كما أن المشعشعيين يكافئونهم، ولم يمنعوا بضائعهم ومطالبهم عنهم.وربما أخفوا أيضا بعض بدعهم

السيد فياض: أنه هرب ونجا، يبدو أنه هو هروب السيد فلاح الذي كتب بإسم فياض.

عنهم.وهذا هو سبب اشتهار مير نور الله وآخرين لتوبة وعودة تلك الجماعة[1].

نعم، هكذا مرت فترة استبداد المشعشعيين في الأحواز، والتي استمرت سبعين سنة (من ٨٤٥ إلى ٩١٤).خلال هذه الفترة، لم يحكم أكثر من ثلاثة أو أربعة أشخاص. لكن لم يمض وقت طويل وتعود تلك الأسرة إلى الحكم مرة أخرى، وتبدأ الفترة الثانية من تاريخهم.على الرغم من أنهم لم يحكموا إلا على الجزء الغربي من الأحواز، وكانوا أنفسهم تحت وصاية المملكة الصفوية.لكن فترة حكمهم أطول بكثير من الفترة الأولى ويمتد لأكثر من مائتين وستين سنة (حتى عهد نادر شاه وكريم خان) كما نذكر أيضا تاريخ تلك الفترة بشكل منفصل.

٤ - السيد فلاح بن محسن.

كان فلاح شقيقا لعلي وأيوب.لا يعرف كيف نجا من القتل.يقول السيد علي مؤلف الرحلة المكية إنه فر إلى الجزائر.نعم، لقد جاء إلى الحويزة بعد أن غادر الشاه إسماعيل إلى بلاد فارس، ووصل إلى هناك.لكن لأنه تعلم درسا من قصة إخوته، أرسل هدية إلى الملك وطالبه باستلام حكم الحويزة وضم المناطق إليه.قبل الشاه طلبه وترك له الحويزة والجزء الغربي من الأحواز، التي كان يسكنها العرب في الغالب.

---

(١) الحركات المتطرفة والمنحرفة رافقت انتشار الإسلام بعد عصر صدر الإسلام واستمرت بين الشدة والضعف حتى نهاية الحكم العباسي ودخول الأجانب في الوطن العربي والإسلامي، فكانت التوعية والثقافة الإسلامية، أصيبت بنكسة لعدم وجود الجهات الرسمية والشعبية التي ترعاها. فسادت فوضى الجهل والشعوذة إلى جانب الظلم والطغيان الذي يمارسه الأجانب المحتلون ضد المجتمع فوجد أصحاب الطموح السياسي والإصلاحي في الأسطورة والخرافة والشعوذة وسيلة لجمع المريدين والأصحاب والحلفاء للوقوف بوجه الأعداء ما دام المجتمع في تلك الحالة من الجهل والضياع، فكانت حركة المشعشعين واحدة من تلك الحركات السياسية والإجتماعية التي واجهت أنواعاً من الأعداء واستعانت بالأفكار الصوفية والشعوذة وتأليه الأشخاص والسحر والإعجاز، لجمع أكبر عدد من الأنصار والأتباع لمواجهة العدو..!! وقد أحيطت أخبار المشعشعين بعد انتصاراتهم وتأسيس دولتهم بأطر من التحريف والمبالغة والتعتيم من قبل خصومهم ومنافسيهم على الحكم والمال وغير ذلك.

لا بد من القول إن «فلاح» أعاد الحكومة المفقودة لعائلته، لأن الحكومة التي أعطاها إياه الشاه إسماعيل، ورثها في عائلته، وسيطر عليها أبناؤه وأبناء إخوته لمائتين وستين سنة وأكثر من هذا. ثم لم يتوقف عن العمل لمرة واحدة، وعائلته ما زالت قائمة حتى زمننا هذا. وكان لديهم القليل من السيادة في جميع الأوقات.

يبدو أنه كان في زمن الشاه إسماعيل أو في عهد ابنه شاه طهماسب أطلق على الجزء الغربي من الأحواز الذي كان في أيدي المشعشعيين اسم عربستان[١] ليتم التعرف عليه من الجزء الشرقي الذي كان يشمل تستر ورامهرمز اللتان كانتا تحت سيطرة الحكام الصفويين[٢].

وينبغي اعتبار ذلك من أخطاء الشاه إسماعيل الذي منح الفرصة لحكم المشعشعيين مرة أخرى بعد الإطاحة بهم. إذا كان يريد أن يتفضل على العرب، الذين استقروا في الأحواز في نطاق واسع، وأرادوا أن يكون لهم قائد خاص بهم، نعم، كان يجب أن يختار هذا القائد من العائلات الأخرى، وليس من المشعشعيين الذين تمتعوا بالاستقلال ولم يكن لديهم مطلقا علاقة جيدة مع الحكومة. في نفس الكتاب، سنرى أن السيد فلاح وخلفائه كانوا دائما مصدر متاعب للحكومة، وأن الأحواز أقل هدوءاً مما كانت عليه عندما تولت الحكومة الحالية مقاليد الأمور.

---

(١) نجد هذا الاسم أولا في كتاب قاضي نور الله الذي بدأ كتابته في عهد الشاه طهماسب وأكمل بعد وفاته. لكن كما ذكرنا في نص الكتاب، لم يذكر هذا الاسم في ذلك الوقت، باستثناء الجزء الغربي من الأقليم، وعلى حد علمنا، لم يُطلق على كل الأحواز اسم «عربستان» حتى نهاية الدولة الصفوية، وحتى زمن نادر شاه. وبعد عهد نادر نسيت كلمة الأحواز وسميت الأرض كلها باسم عربستان، واشتهر هذا الاسم حتى ألغتها الحكومة سنة ١٣٠٢ وشهر اسم الأحواز مرة أخرى.

(٢) تم أخذ هذا الجزء من الأقليم أحيانا كجزء من بيكر بيكي كهكيلويه، وبما أن كهكيلويه هي أيضا جزء من فارس، فمن هنا اعتبر الحاج لطف علي آذر وآخرون أن تستر جزءا من فارس.

٥ - السيد بدران بن فلاح:

ذكر السيد علي سنة وفاة فلاح ٩٢٠هـ من بعده جاء دور ابنه السيد بدران للحكم، وما عندنا معلومات كثيرة عنه.القاضي نور الله يشيد به على شجاعته وكرمه ويراه فذا في ذاك.«كان مطيعا ومنقادا لأوامر الديوان الملكي.لقد كتب السيد علي عن سيرته قصصاً لم نحضرها هنا لأننا لا نعرف الصواب أو الخطأ منها.يقول إنه كان أول من ركب على البغل في أسفاره من بين الناس والمشعشعيين.

مما قاله يتضح أن بدران كان لديه أيضا بعض الفسوق.ومنها الفسوق الذي يعاقبه دين الإسلام بالقتل والحرق، كما رأينا في عقوبات السيد محمد أنه يعتبر القتل عقوبة على هذا الفسوق[1].

في هذا الوقت ظهرت في الأحواز عائلة أخرى تسمى رعناشي، والتي كانت تحكم على الجزء الشرقي من جانب الملوك الصفويين (حيث سنقوم بذكر قصتهم بشكل منفصل).شارك أحدهم، خليل الله، في بعض الحروب مع السيد بدران.ثم لأن خليل الله لم يطع أمر الملك ولم يرسل الجزية.أرسل الشاه أمراء كهكيلويه مع السيد بدران ليقاتلوه وحاصروا دزفول.إلا أنهم في هذه الأثناء، وصلتهم أنباء وفاة الشاه إسماعيل واضطروا على مغادرة المدينة والعودة إلى مكانهم[2].

---

(١) يعتمد الكاتب في تدوين أخبار المشعشعين على كتاب الرحلة المكية لمؤلفه السيد علي بن عبد الله بن علي بن خلف (١٠٨٠ - ١١٣٥هـ/١٦٦٩ - ١٧٢٣م)، وهو من أمراء الأسرة المشعشعية الحاكمة وتولى حكم الأقليم عام (١١٢٧ - ١١٣٢هـ)، وقد تناول الكاتب سيرة السيد بدران بالثناء والمدح وذكر من سيرته أنه كان: يركب البغلة في أسفاره ويستخدم المرد من الشباب في مجلسه ويشرب النبيذ، ولم يزد على ذلك ولكن الكاتب أحمد كسروي حمل النص أكثر مما يحتمل ، الرحلة المكية، ص١٠٦.

(٢) كتاب تكملة الاخبار تاليف علي بن عبد المؤمن.يعتبر هذا الكتاب من أفضل الكتب التاريخية ولكنه لم ينشر بعد.توجد نسخة منه في مكتبة السيد الحاج حسين آغا ملك في طهران.

٦ - السيد سجاد بن بدران:

وفقا للسيد علي، توفي بدران سنة ٩٤٨.من بعده جاء دور ابنه السيد سجاد للحكم. في نفس السنة التي كانت بداية حكمه، عندما عبر علاء الدولة رعناشي، ابن خليل الله، عن عصيانه، أرسل شاه طهماسب جيشا إلى دزفول.سمع السيد سجاد ذلك وهرع إلى الملك وأظهر التواضع والخدمة.فاعتنى به الملك وأعاده لحكم الولاية[١].

ومع ذلك، فإن سجاد لم يكن صادقا مع شاه طهماسب ويحاول دائما التخريب. كتب مؤلف كتاب تكمله الأخبار الذي كان معاصرا له ولطهماسب ما يلي: «الآن تستر ودزفول داخل في الإقليم الملكي الذي هو محافظ على الدين.ولكن الحويزة وعربستان وتلك المناطق تحت سيطرته رغم خوفه من معارضة أوامر الشاه.«لكن أهالي تستر ودزفول ليسوا بأمان، وكثيرا ما ينهبونهم ويغزونهم».

وكتب السيد علي: «أن آل غزي إحدى عشائر بني لام ويعيشون في غرب الحويزة. حرضهم السيد سجاد على نهب تستر.وهذا جعل العرب يأتون إلى الأحواز بأعداد كبيرة وتشتتوا في كل مكان.«ولا تزد على السجاد إلا الخسارة».

القاضي نور الله، وهو معاصر للسيد سجاد[٢]، رغم أنه معجب بالمشعشعيين، وسجاد ووالده يعدان بدران مطيعا للملوك الصفويين.في مكان آخر، يكتب العديد من الشكاوى حول غزو وغارة الأعراب وضررهم في بعض مناطق الأحواز[٣].

(١) عالم آرا، مطبعة طهران، صفحة ٧٢.من الغريب أنه لم يذكر اسم هذا الرجل في الكتب صحيحا.في عالم آرا، في مكان واحد، بدلا من السيد سجاد بن بدران، كتب «السيد شجاع الدين» وفي مكان آخر، بدلا من السيد سجاد، كتب «السيد سحار».

(٢) توفي قاضي نور الله في الهند سنة ١٠٢٧، ولكن لأنه ذهب إلى مشهد من تستر سنة ٩٧٩ وسافر إلى الهند من هناك سنة ٩٩٢، فإن معرفته ب الأحواز ترجع إلى زمن شاه طهماسب، على الرغم من أنه كتب كتابه بعد ذلك بكثير.

(٣) ينظر، وصف ما كتبه عن تستر ومحنة عائلته.

يبدو من أقواله الأخرى أنه بعد وفاة الشاه إسماعيل الذي كان خليفته طهماسب الشاب وكانت إيران في صراع من الداخل والخارج، أتيحت الفرصة أيضاً لعرب الأحواز، واشعلوا نار النهب والغزو في ذلك.ودمروا القرى والحقول.أيضا، بعد وفاة طهماسب في عهد إسماعيل ميرزا والسلطان محمد الأعمى، يجعل الأعراب مرة أخرى الأحواز ساحة للنهب، ويضرمون نار الحرب والغزو على التوالي.ولهذا السبب كان الناس غير راضيين عنهم دائما.

ويبدو أنه في هذا الوقت الذي جاءت قبيلة آل سلطان - بنو لام - من عرب العراق إلى الأحواز وبدأت عداوة مع عائلة المشعشع، ومن هذا العداء سقطت الذريعة في أيدي المجموعتين وباسم الحرب والفتنة، أشعلوا النار في ممتلكات الناس.

يكتب القاضي نور الله عن مولى سجاد: «كان حاكم الحويزة وكل عربستان وكان خائفا جدا من معارضة أمر الشاه، لكن شعبه بذريعة عائلة السلاطين والتي كانت تابعة لوالي الأتراك العثمانيين.«لقد نهبوا المنطقة المحيطة بتستر ودزفول بالكامل، كما أن ضعف ما يرسلونه إلى المحكمة العليا يأخذونه من هناك».

عائلة رعناشي:

كانت رعناش قرية بالقرب من دزفول وربما لهذا السبب سميت «روناش» في معجم البلدان.كان ملا قوام الدين من أهل هذه القرية وكان معلما لأبناء السيد محمد.كبر ولديه: أحدهما الشيخ محمد والآخر الحاج محمد، وصارا قويين، وكما رأينا، فقد انضما إليه في غزو الشاه إسماعيل لبغداد.وحرضاه على أن يقصد إلى الحويزة ويحارب المشعشعيين.يبدو أنهم أصبحوا معتمدين على الصفويين منذ ذلك الوقت.

وكتب في تكملة الأخبار «الشيخ محمد حكم إمارة دزفول والحاج محمد حكم إمارة تستر».غير المعروف ما إذا كان تولوا هذه الحكومات منذ عهد المشعشعيين أو

بعد انضمامهم إلى الصفويين.

وكتب في تكلمة الأخبار أيضاً: «أخيرا قُتل الحاج محمد على يد ابن أخيه خليل الله.وصل خليل الله بن شيخ محمد إلى السلطة بعد اغتيال عمه.وتكرر الخلاف بينه وبين السيد بدران».هذه العبارة غامضة أيضا.ربما يعني أن خليل الله بعد وفاة والده الشيخ محمد حل محله في دزفزل.ثم قتل عمه ووصل إلى تستر.على أي حال، كان مقر إقامة خليل الله في دزفول.

النقطة التي يمكن ملاحظتها من هنا هي أن قوة وقدرة الشاه إسماعيل كان في محافظة الجيش له شخصيا، ولم يكن لديه جيش ليضعه في عربستان التي احتلوها.ولهذا وثق في رعناشيين وأوكل إليهم تستر ودزفول وعين حاكما في الحويزة.من هنا، وبعد مغادرته الأحواز ، عاد السيد فلاح إلى هناك وسيطر بسهولة على الحويزة. وهكذا، كان نصف الأحواز في أيدي رعناشيين والنصف الآخر في أيدي المشعشعيين.وفقا لقول كاتب التكلمة: أنه في زمن بدران وخليل الله، وقعت حروب عديدة بينهما دون أن يتمكن الشاه من أن يفعل شيئا.بمعنى آخر، لم يكن لشاه إسماعيل سوى اسم في الأحواز .وكان يُرسل إليه مبلغا صغيرا من المال سنويا كجزية.

ثم يرفض خليل الله إرسال الجزية إلى الشاه.وفي كل مرة ينهض وبشكل تعسفي. ولهذا حرض الشاه إسماعيل حكام كهكيلويه والسيد بدران على قتاله.وهذه الجيوش المزخرفة يقصدون إلى دزفول ويحاصرون تلك المدينة.لكن قبل أن يتمكنوا من فعل أي شيء، وصلت أخبار وفاة الشاه إسماعيل فجأة، ويضطرون إلى مغادرة المدينة وترك محاصرتها وأن يعودوا كل واحد منهم إلى مكانه.

ويتوفى خليل الله أيضا بعد فترة طويلة، ويحل محله نجله علاء الدولة.ولكن من الواضح أنه لم يكن لديه سوى دزفول لحكومته.لأنه في تذكرة تستر من سنة ٩٣٢ وما بعده، ذكر حكام تستر الذين أرسلهم الصفويون واحدا تلو الآخر.

كان ولي عهد الشاه إسماعيل، وهو ابنه طهماسب، متورطا في نزاع بين الأمراء وحرب العثمانيين والأوزبك لسنوات.ولم يكن لديه فرصة أن يقوم بأمر الأحواز .لهذا السبب حكم علاء الدولة والسيد بدران حكماً تعسفياً ودون أى حرج.هذا هو السبب في أنه في سنة ٩٤٨ (أو وفقا لتكملة الأخبار ٩٤٩)، عندما وعى طهماسب وإلى حد ما خلص من المتاعب، تذكر الأحواز وقصد مع جيش إلى هناك لقتال علاء الدولة. كما قلنا، هذه المرة كان قد مات بدران وكان ابنه سجاد حل محله في الحكم.وقلنا إنه ذهب إلى الملك وأظهر تواضعا وتلقى مكافأة من الملك، لكن علاء الدولة فر إلى بغداد وحرر نفسه.

يقول مؤلف التكلمة، وهو أحد رجال حاشية شاه طهماسب وكتب تاريخه باسم ابنته بري خان خانوم: سمع شاه طهماسب أن علاء الدولة كان له نفس معتقد أعدائنا في الدين والحكومة (العثمانيين)، ولهذا السبب كان الشاه نفسه قصد أن يقتله.ثم يكتب: «هرب علاء الدولة إلى بغداد ولم ير دزفول مرة أخرى».

إسماعيل ميرزا المزيف:

إنها إحدى عجائب التاريخ الإيراني أن أناسا خدعوا الناس أحيانا بدعوى أنه ملك أو أمير، وحاكم أيضامرة واحدة.هذا صعب ومخيف.إنه صعب لأن تشابه شخص ما بالآخرين نادر جدا لدرجة أنه يخدع الناس.ثم لابد أن يكون ذلك الملك أو الأمير ميتا ولا يعلم أحد بموته، أو يجب أن يكون هناك حادثة غريبة أخرى يمكن لذلك الشخص أن يحل محله.إنه أمر مخيف لأنه مع هفوة وقليل من الإهمال يكشف الستار، ويدرك الناس ما لم يدركوه.

ومع ذلك، فقد حدث هذا العمل الصعب والمخيف عدة مرات في تاريخ إيران. ومنها ما وقع في كهكيلويه الأحواز في هذا العصر، والذي نذكره هنا.

توفي شاه طهماسب، الملك الصفوي الثاني، سنة ٩٨٤ بعد أربعة وخمسين سنة

من الحكم.وحل محله ابنه إسماعيل ميرزا.هذا إسماعيل ميرزا ، لو لم يمت قريبا، ولو كان فترة حكمه مثل الآخرين.ربما سيصبح أشهر ملوك الصفويين ويترك خلفه العديد من الأعمال النافعة.على الرغم من أنه كان رجلا متعطشا للدماء، وفي هذا الصدد لم يكن أقل من سلفه الذي يحمل نفس الاسم، ولكنه مثل غيره من الملوك الصفويين، لم يلتزم بالبدع الدينية، بل يحاول القضاء على الأعمال البشعة التي نشرها أبوه وأجداده.وذلك أنه عُرف بين الناس بأنه سني.

نعم، كان رجلا مقتدرا، وفي وقت قصير، وقعت محبته في القلوب واسمه على الألسنة.ولأن موته كان بغتة، إذ تمَّ أو نام ثم ذات ليلة وفي الصباح وجدوه ميتا.ولا أحد يعرف سببه.ومن هنا شاعت أحاديث بين الناس، وظن البعض أنه قُتل وأن الأمراء قد قتلوه.وربما لم يؤمن بعض الناس بوفاته.أدت هذه الأحاديث إلى أن ظهر درويش أو بحسب المؤرخين في ذلك الوقت، «قلندر» في كهكيلويه في زمن حكومة الألوار، وادعى أنه إسماعيل ميرزا.

في عالم آرا الذي كتب هذه القصة بالتفصيل يقول: لم يكن له سنّين أمامين مثل إسماعيل ميرزا.وربما كان قد قلع عمدا هذين السنّين، ويقول للألوار: إنني إسماعيل ميرزا، وفي إحدى ليالي رمضان وحينما كنت نائما في سريري، رأيت أن مجموعة وهم يعادونني، جاءت إلي، وحاصروا غرفتي وأرادوا قتلي، فكسرت النافذة وألقيت بنفسي إلى الخارج.وارتديت زي الدراويش وقمت برحلة في إيران وبلاد العثمانيين.وحتى الآن احتفظت بهذا السر والآن اكتشفه لكم.

يقول إن الألوار التفوا حوله من جميع الجهات، وقدم كل شخص هدية، وأعطى بعض الناس بناتهم الجميلات إليه كالنذر.في وقت قصير، التف حوله عشرين ألف رجل.

كما سنقول في مكان آخر، في هذا الوقت كانت مجموعة كبيرة من قبيلة أفشار التركية تسكن في كهكيلويه الأحواز .ولأنه كان من عرف الصفويين أن تسكن كل

قبيلة في ولاية، لذلك أعطوا سلطة الحكم هناك لتلك القبيلة.فعلى هذا، كانت كهكيلويه الأحواز في أيدي الأفشاريين.لكن في غضون ذلك، ذهب خليل خان، كبير الأفشاريين إلى قزوين عند السلطان محمد.وحكم ابنه رستم في كهكيلويه، فجهز جيشا لقتال ذلك الدرويش الذي يدعي أنه الملك.وخاض معارك كثيرة معه، وانتصر الدرويش في جميعها.وقُتل رستم ومجموعة كبيرة من الأفشاريين.وسبى الألوار زوجاتهم.نتيجة هذه الانتصارات، انتشرت شهرة إسماعيل ميرزا في كل مكان. يسعى الناس في كل مكان لمرضاته.وهو في دهدشت، استولى على عرش كهكيلويه الذي اخذه من أيدي الأفشاريين، وسيطر على مقاليد الحكم.وفقا لإسكندر بيك المؤرخ، كانت هناك مساومات بينه وبين السيد سجاد وأهالي تستر ودزفول.ولهذا[١] حينما لا يرى من الألوار الاهتمام اللازم، يتجه نحو الأحواز ويستقر في تستر ودزفول، ويطلب من السيد سجاد المساعدة.لكن في هذا الأثناء، تقع حادثة أخرى تغنيه عن سجاد وغيره.وهكذا، عندما وصل نبأ ظهوره وقتل رستم والأفشاريين على أيدي الألوار إلى البلاط الصفوي، ذهب خليل خان بسرعة إلى كهكيلويه، ليجد حيلة لهذا الأمر. لكن قبل وصوله إلى كهكيلويه، يقتله الألوار.وعلى هذا، يعظم شأن إسماعيل ميرزا مرة أخرى، ويثور الألوار موالاة له؛ فلم يكن بحاجة إلى مساعدة السيد سجاد، ويذهب إلى دهدشت ويستقر هناك.

يبدو من كلام الإسكندر بيك المؤرخ ، أنه قد استمر حكمه وتنعمه لأكثر من ثلاث أو أربع سنوات.لحسن حظه، في هذا الوقت وصلت الحكومة للسلطان محمد خدابنده في إيران.وكان أعمى وما كان له عهد بالشجاعة، ولا يستطيع أن يفعل شيئا بنفسه وترك عهد الحكم لزوجته وابنه الشاب.من ناحية، وقعوا في الحرب العثمانية التي خسرت أذربيجان وتلك المناطق، وعادوا إلى قزوين.

ومن ناحية أخرى، وقعت تعددية الطائفة بين القبائل.وقامت مجموعة باختيار عباس ميرزا حاكما لهم في خراسان، و هو كان الابن الآخر للملك.وكان هذا مصدر

قلق للسلطان محمد وحاشيته.

لولا إصرار قبيلة أفشار، لربما لم يكن أحد من البلاط ليفكر في أمر ذلك الدرويش الذي يدعي أنه ملكا.لكن الأفشاريين، لأنهم فقدوا اثنين من قادتهم مع مجموعة من الشباب، لم يظلوا ساكنين وضغطوا على بلاط الشاه.في ظل هذا الجهد أرسل السلطان محمد إسكندر بك ابن أخ خليل خان من قزوين إلى كهكيلويه.كما أرسل قبيلة ذو القدر من بلاد فارس لمساعدته، فجهزوا جيشا كبيرا واتجهوا نحو دهدشت.

من ناحية أخرى، كما قلنا، أنه من أصعب الأمور أن شخصا يحتفظ بمثل هذه الكذبة إلى الأبد.سيكشف أيضا كذب إسماعيل ميرزا شيئا فشيئا، وتركه الألوار وتشتتوا.وعلى هذا، استطاع الأفشاريون وذو القدريين أن يسيطروا بسهولة إلى دهدشت، واعتقلوا اسماعيل ميرزا وقتلوه وأرسلوا رأسه إلى السلطان محمد.هكذا انتهت أيام هذا الملك المزيف.لكنه كتب في عالم آرا أنه بسبب انتشار شهرته وانتصاراته، ظهر أشخاص آخرون بإسم إسماعيل ميرزا في عدة أماكن أخرى، وكان لكل منهم أجل، حتى أطيح بهم.

٧ - السيد زنبور بن سجاد[(١)]:

وفقا لكلام السيد علي، توفي سجاد سنة ٩٩٢.من بعده، حل محله ابنه السيد زنبور. يكتب السيد علي: بعد سجاد قررت عشائر نيس وكربلاء الإطاحة بأسرة المهدي وأن يكون الحاكم من نفسهما.لكن بعد مدة قصيرة اختلفت القبائل وحصلت التعددية الطائفية.وذلك أن طلبت عشيرة النيس السيد زنبور، الذي كان في دزفول، وأحلوه محل سجاد.

(١) الرحلة المكية، ص١٢٠ - ١٢١.

حكم زنبور حتى سنة ٩٩٨، إلى أن أطاح به السيد مبارك في الحويزة، لكن لم يرد ذكر لأعماله في الكتب.

٨ - السيد مبارك بن مطلب[١]:

كان للسيد بدران أبناء آخرون إلى جانب السيد سجاد.أحدهم يدعى السيد مطلب[٢] الذي انزعج منه في عهد سجاد وذهب إلى دورق التي كانت من المدن القديمة في جنوب الأحواز واستقر هناك.وفي ذلك الوقت، كانت دورق في أيدي مجموعة من بني تميم الذين جاءوا، حسب السيد علي، إلى إقليم الأحواز في عهد السيد محسن واستقروا هناك بأمره.وقبل قائدهم أمير عبد العلي، السيد مطلب وكافأه ولطف معه.وتزوج السيد مطلب فتاة من بني تميم وعاش بينهم.

كما كان لمطلب أولاد وأتباع، وكان واحداً منهم السيد مبارك، بما أنه كان متورطا في القتل والسرقة منذ بداية شبابه، طرده مطلب، واتجه مع ابن عمه فرج الله إلى رامهرمز نحو السلطان علي الأفشار.

خاف السلطان علي من تهور مبارك وأراد قتله.لقد أدرك مبارك هذه النية، وتغدى به قبل يتعشى به؛ وذلك أن في أحد الأيام أثناء الصيد، وفي حين مروره على نهر، شهّر مبارك سيفه على حين غرة، وقطع رأسه.وما إن أدرك الأفشاريون حتى اجتمعوا حوله، فهرب مع فرج الله ونجا.

وهكذا اشتهر مبارك بقتله وسرقته، ولأن كان عينيه زرقاوين اشتهر عند العرب بالعين الزرقاء (الأزرق).لقد ذكر السيد علي منه قصصا طويلة لسنا بحاجة إلى إتيانها. ومنها، يقول: لقد اختار مكانا بالقرب من رامهرمز يسمى جغاشيران، وهو تل مرتفع،

---

(١) الرحلة المكية، ص١٢١ - ١٤٧.

(٢) السيد مطلب أو عبد المطلب هو ابن حيدر بن محسن الملك المحسن بن محمد بن فلاح ومبارك بن مطلب بن حيدر بن محسن.تاريخ المشعشعين، ص١٠٦.

وأحضر معه شقيقه، خلف، وآخرين، ويهاجم معهم ويغير وينهب[1].

كما قلنا، هذه المرة جاء دور السيد زنبور، ابن السيد سجاد، ليحكم في الحويزة. وقلنا ايضا إن قبيلة كربلاء التي كانت من قبائل الحويزة العظيمة كانت معادية له ويعصون أمره.ولأن والدة السيد مبارك كانت أخت الأمير بركة، شيخ تلك القبيلة، فقد كتبت إلى الأمير بركة رسالة إلى السيد مطلب ودعا مبارك، وجعله بمساعدة عشيرته حاكماً على الحويزة بدلا من الزنبور.السيد مطلب، مع كل الحقد الذي كان يحمله لمبارك وكان أبعده عن نفسه، ولكن هذه المرة دعاه.روى له قصة رسالة الأمير بركة، وأرسله إلى خاله.جاء الأمير بركة لمساعدته كما وعد.وقاتل مع السيد زنبور، وطرده من الحويزة.واستبدل مبارك العرش مكانه، ووقعت هذه الحادثة سنة ٩٩٨.

يكتب السيد علي قصة طويلة مفادها أن مبارك قتل خاله عندما ذهب إلى كربلاء وحل مكانه وصار كبير القوم.ثم دخل في حرب مع السيد زنبور وانتصر عليه.لكنه لا يعرف ما إذا كانت هذه القصة صحيحة أم خيالية؟

على أي حال بدأ مبارك بالحكم وفي السنة التالي (٩٩٩) أسر الزنبور وقتله وأراح قلبه من جانبه.

مبارك هو أشهر الحكام المشعشعيين، وله سلسلة من الأعمال التاريخية التي يجب إعادة نشرها واحدة تلو الأخرى.في هذا الوقت، جاء دور حكم إيران إلى الشاه عباس الأول، وكان لا يزال غير مستقر ووقع في صراعات داخلية وحروب خارجية.ولم تتح له الفرصة قط ليهتم بالأحواز والسيد مبارك.كذلك، كانت الحكومة العثمانية، التي كانت من جهة العراق مجاوراً للأحواز، منغمسة في ورطة كبيرة لدرجة أنها لم تتح لها الفرصة لتهتم بأمر العراق.خاصة البصرة والجزء الجنوبي من العراق حيث لم يرد ذكر للحكومة العثمانية.إلاّ الاسم فقط، وذلك أن السيد مبارك، لم يخف من الشاه

(١) مبارك بن مطلب بن حيدر بن محسن، الرحلة المكية، ص١٢١ - ١٤٧، وتاريخ المشعشعين، ص١٠٦، وأعيان الشيعة، ١١٨/٤٨.

أو السلطان، وكان يحكم بشكل تعسفي.ولأنه وصل إلى الحكم بالسيف، يحاول أيضا أن يمتد حكومته بقوة السيف[1].

كانت مهمته الأولى هو أن يستعيد الدورق من أيدي الأفشاريين، وولّى والده ليحكم هناك.ثم في سنة ١٠٠٣، أرسل جيشا إلى دزفول وتستر، والتي نذكر تلك القصة بشكل منفصل.ثم في سنة ١٠٠٤ وصل إلى نواحي الجزائر وسيطر إلى تلك الأراضي حتى قرب البصرة، وفرض جزية على مدينة البصرة كان يتقاضاها يوميا، وكانت هذه الجزية تدفع، حتى امتنع أفراسياب باشا الديري من دفع الجزية والتي سنذكر قصته بشكل منفصل.واستعاد أيضا الجزائر من مبارك[2].

ثورة الأفشاريين والسيد مبارك ضد الشاه عباس:

قبيلة أفشار التي أتت إلى إيران من زمن السلاجقة نجدهم في الأحواز في بداية القرن السادس الهجري.كان أحد الحكام في الأحواز لأكثر من عشرين سنة خلال العصر السلجوقي، ولا يزال اسمه في التاريخ.

---

(١) السيد مبارك بن عبد المطلب -مطلب - بن حيدر بن محسن (ت ١٠٢٥هـ - ١٦١٦م) تولى حكم الدولة المشعشعية عام (٩٩٨هـ - ١٥٨٩م) وكانت سطوته تمتد إلى القرنة وشط العرب من الغرب، وقد استولى على البصرة وجميع القرى المجاورة لها، ووصلت جيوشه إلى الإحساء غرب الخليج العربي، ولم تستطع الحكومتان الصفوية والعثمانية من رده حتى اضطرتا إلى عقد معاهدة بينهما دفعا له من هجماته المتتابعة وقد عظمت شوكته بتذبذبه الحاذق ما بين البرتغاليين والصفويين وغرب البصرة، وحافظ على سلطته بوعورة بلاده.ينظر: أربعة قرون من تاريخ العراق، ص٥.وبلغ مجموع جيشه في إحدى المعارك أربعين ألفاً، وقد خاض بهم غمار حروب عدة ضد الصفويين والعثمانيين، خرج منتصراً ومعترفاً به على بلاده من قبل الشاه الصفوي ووالي بغداد، وقد تبادلا معه الهدايا والرسائل التلطيفية.ينظر: تاريخ العراق بين احتلالين: ١٤١/٤.

(٢) مسودات الجواهري وزاد المسافر الكعبي.(كتب الشيخ فتح الله الكعبي، الذي عاش في الأحواز والبصرة في النصف الثاني من القرن الحادي عشر، وهو أحد الكعبيين الذين سنروي قصتهم، كتب كتاباً في قصة حسين باشا ديري وأطلق عليه اسم زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر، ونشر مخطوطة عام ١٠٨٩هـ).

كما قلنا، في العصر الصفوي، أيضاً كانت قبائل تركية في الأحواز وكهكيلويه وكأساس للمملكة الصفوية، وكانت قبيلة أفشار من إحدى هذه القبائل.كانت هذه القبائل أيضا القوة المطلقة للمملكة حيث كانت كل قبيلة تسكن في مكان تسيطر عليه من وقت لآخر؛ كما امتلك الأفشاريون كهكيلويه في الأحواز.

بعد شاه طهماسب وابنه إسماعيل ميرزا، استولى السلطان محمد على العرش. وكما قلنا، كان رجلا أعمى وعاجزا.في عصره، أخذت معظم القبائل في العصيان، وعاش كل منهم مكانه عنيدا ومتمردا.وعندما جاء دور حكومة الشاه عباس الأول، تمردوا عليه أيضاً لسنوات، حتى جعلهم واحدا تلو الآخر مذعنين ومطيعين له.

من بين الأفشاريين، وفقا لإسكندر بيك، على الرغم من أنهم عادوا قليلا إلى بلاط الشاه، إلا أنهم لم يطيعوه بشكل لائق.

في سنة ١٠٠٣، أرسل الشاه عباس مراد آغا جلودار باشي إلى الأحواز ، وعندما وصل إلى تستر، استقبله شاه وردي خان أفشار، الذي كان حاكما هناك، واستقبله في حصن سلاسل، مع كل هذا، قبض عليه مراد أغا وقتله.

لم يقبل الأفشاريون هذه المظلمة، وثاروا، وحاصروا مراد آغا في حصن سلاسل. وأرسلوا شخص ما إلى السيد مبارك وطلبوا منه المساعدة.

لكن السيد مبارك، كما قلنا، تصرف بشكل تعسفي، وما كان خائفا من الشاه، رغم أنه أرسل ابنه السيد ناصر إلى الشاه عن بصيرة، ومهما أظهر رغبة في الحكم والطاعة، لكنه لم يكن يفكر إلا في العنجهية.ووفقا لعالم آرا، «يظهر الفضاضة وإساءة الأدب منه».

وبمجرد أن وصل إليه المبعوث الأفشاري، غادر على الفور الحويزة بجيش من العرب.أولا، سيطر على دزفول، وولى عشيرته هناك، ثم جاء إلى تستر، وبنى معسكرا خارج حصن سلاسل.

وصل هذا الخبر إلى شاه عباس في قزوين، وأراد إحضار الجيش بنفسه إلى الأحواز، لم يعجبهم الأمراء ذلك القرار.قصد خاتم خان اعتماد الدولة، الوزير المرافق

لفرهاد خان سردار، إلى الأحواز بجيش كبير ووصل إلى هناك عبر لورستان.وعندما اقتربوا من دزفول، غادرت عشيرة السيد مبارك من هناك وخرجوا، وعندما وصلوا إلى تستر، قام مبارك بنفسه من حول سلاسل، واتجه نحو الحويزة.

وهكذا هدأت الثورة من دون حرب.جعل حاتم خان الأفشار منقادين في كل من تستر وكهكيلويه، وولى مهدي قلي خان من قبيلة شاملو على تستر.كما اعتذر السيد مبارك عن مخالفاته الماضية وأقسم أنه لن يعصي في المستقبل[1].

ثورة الأفشاريين والسيد مبارك للمرة الثانية:

بعد هذه الترتيبات في أمر الأحواز، عاد حاتم خان وفرهاد خان إلى قزوين.لكن في سنة ١٠٠٥، ثار الأفشاريون مرة أخرى وتجمعوا في رامهرمز، وتعاونوا مع السيد مبارك.بل القول أن السيد مبارك حرضهم على هذه الثورة.

عند سماع ذلك، قصد مهدي قلي خان على الفور المتمردين وحاربهم خارج رامهرمز وفرّقهم.لكن عندما كان عائدا في الطريق، التقى فجأة بالسيد مبارك والأعراب الذين خرجوا من الحويزة بمساعدة الأفشاريين.اندلعت حرب صغيرة، لأن مهدي قلي خان رأى جيشه صغيرا، لجأ إلى قلعة قريبة.

وفقاً لعالم آراء، كتب السيد مبارك شكاوى للشاه بشأن إساءة مهدي قولي خان، وكان يبحث دائما عن فرصة ليؤدبه، حتى قصد حربا في هذا الوقت بحجة دعم الأفشاريين له، وجهز جيشا لقتله.ولما رجع من رامهرمز أوقفه في الطريق.لكن لأنه كان خائفا جدا من الشاه عباس، وعندما لجأ مهدي قلي خان إلى حصن، تكلم عن المصالحة، وقبل السيد مبارك أيضا على المصالحة، ووافقوا أن مبارك سينتقل إلى الحويزة.ثم خرج مهدي قلي خان من الحصن وقصد إلى تستر، وهكذا انتهت الثورة.

(١) عالم آرا، أحداث سنة ١٠٠٣ و ١٠٠٥ (ينظر مقالات الكاتب عن قبيلة أفشار في السنتين الأولى والثانية من مجلة المستقبل).

والعجيب أن الشاه عباس لم يستجوب السيد مبارك هذه المرة وسامحه.يكتب الإسكندر بيك: «لم يقصد صاحب الجلالة أن يخيب أمل السيد مبارك من هذه الحكومة».يبدو أن الشاه عباس كان يخشى أنه إذا كان قاسيا على السيد مبارك، فهو يميل إلى الحكومة العثمانية، التي كانت العدو الأكبر لإيران في ذلك الوقت، فيسلم الأحواز للعثمانيين.يجب القول أن فكرة الملك هذه لم تكن خطأ.لأن المشعشعيين لم يلتزموا إلا بالإمارة، وكان السنة والشيعة عندهم واحدا، ولا سيما السيد مبارك الذي لم يكن إلا رجلا شجاعا جريئاً، ولم يخش من أحد أو من أي شيء في عمله.

إذا صدقنا قول السيد علي، في بداية عهد الشاه عباس، عندما وصلت أخبار قوته إلى السيد مبارك كل يوم، كتب رسالة إلى عبد المؤمن خان، وهو عدو كبير آخر لإيران، وكان مشغولا بقتل ونهب المدن في خراسان في ذلك الوقت، وطلب منه المساعدة والتعاون معه في عداوة الشاه عباس للقضاء عليه[1].

فما كان من الصعب لمثل هذا الشخص أن يتحالف مع العثمانيين ويأخذهم إلى الأحواز.خاصة وأن والي بغداد كان يحلم دائما أن يسيطر على الأحواز.كما يكتب السيد علي قصة حربه مع مبارك[2].

كان على الشاه عباس ألا يتعامل مع مبارك بقسوة حتى لا ينتهي الأمر بتدخل العثمانيين.كما أن تهدئة الأعراب في الأحواز كان مستحيلاً إلا على المشعشعيين.في هذا الصدد أيضا، كان على الشاه أن يتجاهل أخطاء السيد مبارك.

لكن الشاه لم يكن متسامحاً مع الأفشاريين قدر ما سمح للسيد مبارك.أمر الله وردي خان، بيكلر بيكي، الفارسي بالذهاب إلى كهكيلويه لقمع ومعاقبة الأفشاريين. ذهب الله وردي خان إلى كهكيلويه بجيش، ولم يقتل الأفشاريين فحسب، بل قتل أيضا مجموعة كبيرة من الألوار.

(١) إن الخارجي الذي بيننا واجب علينا أن نرفعه.

(٢) الرحلة المكية، ص١٣٦ - ١٣٩، ٧٠٣ - ٧٠٦.

يكتب الإسكندر بيك: «عاقبوا حكام الأفشار المخلوعين والمتمردين البائسين والألوار إلى حد، أنه ما فكر أحد منهم بالظلم والفساد من بعد ذلك اليوم»[1].

إلغاء مذهب المشعشعيين بيد السيد مبارك:

كما قلنا، كان مبارك رجلاً شجاعاً وجريئاً وقاسياً، وقد فعل الكثير من الأعمال القبيحة.فضلاً عن إلى قطع الطريق الذي قام به، وقصة جغاشيران، ومن تجاوزه ومخالفته للشرع أيضاً هو أنه سمل عيني أخيه، خلف، وأعماه.وهو الابن الآخر للسيد مطلب وكانت أمه من بني تميم.في الأوقات التي كان فيها مبارك مشغولا بقطع الطريق في جغاشيران، ذهب إليه خلف باسم الأخوة وكان شجاعا جدا في الحروب.ثم، عندما تولى مبارك السلطة، كان خلف مساعده الأكبر وكان شجاعا جدا في الحروب.

لكن مبارك الأحمق أعماه.يكتب السيد علي أنه عندما تأخر خلف عن الذهاب إلى مبارك، اشتكى مبارك لوالده وطلب الإذن منه أن يؤدبه.وبما أن والـده، كان غافلا عن نية ذلك الأحمق، سمح له بالتأديب، ومبارك، بحجة ذلك، سمل عين أخيه الوفي.

ومع كل هذه الأعمال القبيحة لمبارك بقيت منه حسنة واحدة، وهي إلغاء عقيدة المشعشعيين.والبدع القبيحة التي أسسها السيد محمد بن فلاح المشعشع مؤسس الدولة كانت شائعة بين أتباعه حتى الآن.كما كتب السيد علي خان ابن خلف[2]، فإن أول من تبرأ من تلك البدع كان سلفه السيد مطلب الذي ترك عقيدة آبائه و إخوانه منذ بداية شبابه، لكنه لم يستطع التحدث عنه خوفا من أخيه وأبناء عمومته، وكتم تلك الكراهية حتى وصل ابنه مبارك إلى السلطة، وحاول استئصال أساس تلك

(١) عالم آرا، أحداث السنة، وكتاب السيد علي.

(٢) ليس هذا السيد علي الذي ذكرناه، سنذكر قصة كلاهما.

البدع على يديه.

كان السيد مطلب رجلا عالما ومحبا للعلم، كما أنه كتب مولانا كمال الدين محمد بن حسن الأسترآبادي شرح فصول خواجه نصير باسمه.لذلك ليس من المستغرب أنه تبرأ من البدع القبيحة لعائلته، وأجبر المبارك على إلغائها والتخلص منها.

واستدعى السيد مبارك نفرا من علماء الشيعة، ومنهم الشيخ عبد اللطيف آل أبي جامع العاملي، أن يأتوا إلي الحويزة، بمساعدتهم قضوا على تلك البدع، وبدلا منها، أسس الدين على أصوله الصحيحة بين المشعشعيين.

وفاة السيد مبارك وخليفته السيد ناصر:

السيد مبارك هو أول شخص من الشيعة في الأقليم والذي أطلق عليه اسم خان. وفقا لقول السيد علي، لم يدفع شيئا للشاه من مدفوعات الحويزة والأحواز.يقول: «في كل سنة كان الملك يرسل له هدايا ثمينة وثيابا نبيلة، وفي كل سنة كان يرسل للملك خمسة عشر حصانا».«كانت هذه العادة قائمة حتى عهد السيد منصور، الذي نزل عدد الحصن إلى تسعة، كما نزلت هدية الملك إلى ثوب واحد».

كان للسيد مبارك سبعة أبناء، وأرسل أحدهم، وهو السيد ناصر، إلى بلاط الشاه عباس.من بين أمور أخرى، يذكر الإسكندر بك البدر، الذي جاء ذات مرة إلى بلاط الشاه، ويحكي قصة هروبه من البلاط والقبض عليه في لورستان.عاش السيد ناصر في بلاط الشاه، وكان الشاه أعطى أخته كزوجة له ويدفع لها أربعمائة تومان سنويا[1] ثم نجده حاكما لساوه.

وكذلك، مات قبله اثنان من أبناء مبارك وهما: بدر وبركة.طلب مبارك من الشاه أن يرسل ناصر إليه، وفي سنة ١٠٢٥ أرسل الشاه عباس السيد ناصر إلى الحويزة.

---

(١) حسب معرفتنا، كان تومان زمن الشاه عباس عشرة أضعاف تومان اليوم.

بالمناسبة، توفي مبارك في نفس السنة[1] وجاء ناصر من بعده ليحل محله.لكن لم يمض وقت طويل حتى توفي ناصر.

وقد كتب البعض أن حكمه بعد مبارك لم يدم أكثر من سبعة أيام وأن وفاته كانت بسبب السم الذي أطعمه له السيد راشد[2].

وبعده يكتب الإسكندر بيك: «مات حتف أنفه».ويكتب الإسكندر بيك مرة أخرى: «وظن البعض أنه إحدى السيدات في الخدر من تلك السلالة والتي أنجبت طفلا من السيد مبارك، وبسبب قلة العقل والجهل وإغراء مشاغبي العرب سمته». وفقا للإسكندر بيك، كان ناصر عاجزا جدا ورجلا ضعيفا، وحتى لو لم يمت، فلن يكون مستحقا للحكم.

٩ - السيد راشد بن سالم بن مطلب[3]:

بعد السيد ناصر، جاء ابن عمه السيد راشد بن سالم بن مطلب إلى السلطة بأمر من الشاه عباس.ذكر السيد علي قصصا عنه وعن عصيان القبائل، التي لا نأتي بها هاهنا لأنه لا يعرف مدى صحتها وزيفها.ومع ذلك، كانت فترة حكمه قصيرة وقتل سنة ١٠٢٩.كما هو مكتوب في عالم آرا وفي كتاب السيد علي، فإن آل غزي[4] (بنو لام)، الذين كانوا معجبين بالمشعشعيين، ذهب بعد وفاة السيد مبارك، مجموعة منهم إلى البصرة واستقروا هناك.قصد السيد راشد إليهم بجيش صغير ليرجعهم إلى الأحواز، فقاوموا وقاموا بالحرب، وقتل السيد راشد في الحرب.

---

(١) يكتب السيد علي سنة وفاة مبارك سنة ١٠٢٦.ونحن رجحنا قول الإسكندر بيك.

(٢) مسودات الجواهري، وعالم آرا، وكتاب السيد علي.

(٣) الرحلة المكية، ص٢٠٥.

(٤) كتب الإسكندر بيك أنه من آل فضيل التي تعد هي الأصل الذي تفرعت عنه عشيرة آل غزي وكلاًّ ترجع في أصلها الأول إلى القبيلة الأم (بنو لام).

بعد هذه الحادثة انقسم المشعشعيون وعرب الحويزة إلى عدة أقسام، وانتخب كل قسم منهم حاكماً منفصلاً لأنفسهم، ومن بينهم السيد سلامة، الذي جاء إلى دورق وقام بتثبيت الحصن هناك، ورفع علم التمرد والعصيان.في السنة نفسها، أرسل الإمام قلي خان، بيكلر بيكي، الفارسي، بأمر من الشاه، جيشا لقتاله، وطرده من دورق، وحرر هذه المدينة التي كانت في أيدي المشعشعيين من بداية حكم مبارك.

١٠ - السيد منصور خان بن مطلب[١]:

كان السيد منصور شقيق السيد مبارك، وبعد وفاته جاء إلى بلاط الشاه عباس، وعلى ما يبدو كان يحلم بأن يصبح حاكماً، لكن الشاه نفاه إلى أستر آباد وأبقاه هناك ما دام راشد على قيد الحياة.لكن حينما قُتل راشد، وكما قلنا، كان هناك انقسام بين المشعشعيين وعشائر الحويزة، واختارت مجموعة السيد طهماسب قائدا لها، وتجمعت مجموعة أخرى حول الشيخ عبد الله لقمان، والذي كان مواليا للصفويين. وإذا أيدنا أقوال السيد علي، في مدينة الحويزة أيضا، فإن السيد محمد، ابن السيد مبارك، يدعي أيضا أنه الوالي.في هذا الوقت طلب الشاه عباس السيد منصور من أستراباد وولّاه على الأحواز وأعطاه لقب الخان.وعندما وصل إلى الأحواز سنة ١٠٣٠، رافقه حاكم لورستان وحاكم تستر مع قواته وأرسله إلى الحويزة، وعيّنوه واليا عليها، وخضع المشعشعيين لحكمه طوعا أو كرها.

ولكن، لم يبق السيد منصور في طاعة الشاه وموالاته.وفي سنة ١٠٣٢، عندما كان الشاه قاصداً إلى العراق وبغداد ليغزوهما، أرسل أمرا إلى السيد منصور أن ينضم مع جيش الأعراب إلى المعسكر، ولكنه تمرد وعصى هذا.

---

(١) الرحلة المكية، ص٢١٠ - ٢١٤.

١١ - السيد محمد خان بن مبارك:

وفي السنة التالي (١٠٣٣) ولّى الشاه عباس السيد محمد خان، ابن السيد مبارك، الذي جاء منذ فترة طويلة إلى بلاط الشاه، ممثلاً لحكومة الأحواز، وأرسله مع الشيخ عبد الله لقمان إلى الحويزة بدلاً عن السيد منصور، وكتب إلى الإمام قلي خان، بيكلر بيكي، الفارسي أنه يدخل الأحواز بدعمه.

وفقا لقول السيد علي، جهز السيد محمد جيشا مرة أخرى، قبل أن يذهب إلى بلاط الشاه، وقاتل عمه منصور.وبما أنه لم يفعل شيئا، فقد اضطر إلى اللجوء إلى بلاط الشاه.لكن هذه المرة، وكان أمر الشاه وجيش الإمام قلي خان يدعمانه، كان قادرا على المضي قدما بسهولة.عندما وصل إلى الحويزة، لجأ السيد منصور ومجموعة من أتباعه إلى حصن المدينة، وحاصر الإمام قلي خان ذلك الحصن. وفي نهاية المطاف، هرب منصور من الحصن وذهب إلى قبيلة الفضول، إذ أقام حصنا واستقر هناك[١].

كتب البعض أن الإمام قلي خان قد أقام صداقة واتحاد قويين مع السيد محمد؛ فأعطى الإمام قلي خان ابنته كزوجة للسيد محمد خان وأخذ ابنة السيد مبارك كزوجته لنفسه، وأقام جيشه طويلا في الحويزة لحراسة السيد محمد خان.ويبدو أنه منذ ذلك الوقت كان من المعتاد أن يتمركز جيش من قزلباش دائما هناك من قبل ولاة الحويزة[٢].

(١) يقول الإسكندر بيك، الذي كتب هذه القصة: «عاش في تلك القلعة حتى سنة ثلاث وثلاثين وألف، وسيجازي عن قريب ذلك نعمتي الكافر.»

(٢) يرى السيد علي أن هذه العادة كانت موجودة في عهد الولاية الثانية للسيد منصور، لكن تصريحاته ليست ذات مصداقية كبيرة.

الديريون في البصرة[1]:

في الوقت الذي كان الشاه عباس الأول ملكا لإيران، وكان السيد مبارك وخلفاؤه حكّام الحويزة، تحكم عائلة تُدعى الديريون آل افراسياب في البصرة وجنوب العراق، وكانت مستقلة بحكومتها.ولأن قصته مرتبطة بهذا التاريخ سنذكرها بإيجاز هنا.

أسس هذه العائلة أفراسياب باشا، وكما كتب الكعبي، كان من أهالي الدير، وهو اسم قرية شمال البصرة على شاطئ نهاية نهر الفرات قبل التقاءه قليلاً بنهر دجلة، ومن هنا أطلقوا عليه لقب الديري.وبحسب قوله، كان من الباقين من السلاجقة الأتراك، ولا يُعرف متى أتوا إلى البصرة واستقروا فيها.كما قلنا، في هذا الوقت في العراق، لم يكن للحكومة العثمانية سوى اسم.السلاطين العثمانيين، الذين كانوا مستقرين في اسطنبول، كانوا في حالة حرب مع الحكومات الأوروبية وملوك إيران، وما كانت لديهم فرصة لغزو العراق.ولم يعودوا يريدون انضمام تلك الأرض بالأراضي العثمانية.وذلك أنهم يرسلون واليا إلى بغداد، ويسلمون السلطة إليه في كل الأمور، وكثيرا ما يكون هذا الوالي مستبدا، ويظهر جانبا لإيران وجانبا آخرا للعثمانيين، مما جعله مطمئنا بين الحكومتين العدويتين.وربما أولئك الذين قاموا بشكل تعسفي في البصرة وغيرها من المدن، هم أيضا يتصرفون مع والي بغداد بالطريقة التي يتصرف بها الوالي مع السلطان العثماني، خاصة البصرة والجزء الجنوبي من العراق الذي كانت في أيدي المتمردين في معظم الأوقات، وكما قلنا، كان المشعشعون يهاجمون هناك في بعض الأحيان أيضاً.

في سنة ١٠٠٥، كانت البصرة تحت سيطرة علي باشا من العثمانيين، وشغل أفراسياب الديري منصب سكرتير الجيش هناك.لم يقم علي باشا هناك بعمل خاص، وكان عاجزا عن دفع رواتب الجنود شهريا، وبموافقته سلم الحكم لأفراسياب وبعد

(١) الرحلة المكية، ص١٧٤ - ٢٠٠.

استلامه المال منه، اتجه نحو اسطنبول.والشرط الوحيد الذي أخذه من أفراسياب هو عدم حذف اسم السلطان العثماني من الخطبة.

وهكذا سيطر أفراسياب على مقاليد الحكم، ولأنه كان رجلا خبيرا، فقد سار بالناس سيرة حسنة، وفي وقت قصير رفع ذكره وأحبه الناس.وكما قلنا فهو من قطع الجزية التي يتلقاها السيد مبارك يوميا من البصرة.وبعد فترة، أخذ الجزائر من مبارك، وسيطر على قبان، وهو مكان في جنوب غرب الاحواز، واستقر فيه الكعبيون حلفاء آل افراسياب.كما سنروي هذه القصة في مكان آخر.

توفي أفراسياب بعد سبع سنوات من الحكم، وخلفه ابنه علي باشا، وكان رجلا صالحا وحكيما، وفي زمانه ازدهرت البصرة ومحيطها، وشعر أهلها بالراحة والسعادة. كما يعد الكعبي أن عصره من حيث راحة الناس وتطوير المدن مثل زمن هارون الرشيد العباسي.

توفي علي باشا أيضا بعد خمسة وأربعين سنة من الحكم، أما مدة ابنه حسين باشا فكانت إحدى وعشرون سنة، والذي سنذكر قصته في مكان آخر[1].

محاصرة إمام قلي خان للبصرة وعودته:

كما نعلم، فإن أحد أعمال عهد الشاه عباس هو فتح إيران لبغداد ومدن شمال العراق الأخرى، وهو ما حدث سنة ١٠٣٢ وما بعده.بعد هذه الانتصارات، قصد الشاه عباس أن يأخذ البصرة من علي باشا افراسياب.ويصير العراق كله للإيرانيين، ولهذا، أرسل الإمام قلي خان، بيكلر بيكي، الفارسي مع جيوش من فارس ولورستان وكردستان إلى هناك.حاصر الإمام قلي خان علي باشا في البصرة سنة ١٠٣٧.وكان السيد محمد خان، والي الحويزة، معه أيضا في هذه الحملة.يكتب الكعبي أنه صعبت الأمور على

(١) زادالمسافر للكعبي.

علي باشا، لكن بما أن الناس أحبوه وكانوا موالين له، لم يحدث خلل[1].

فخلال هذا الحصار والتضييق، وصل فجأة نبأ وفاة الشاه عباس وخلفة الشاه صفي.ورفع الإمام قلي خان الحصار وعاد إلى فارس.كتب البعض أن الشاه صفي أرسل أمرا بالعودة واستدعى الإمام قلي إلى العاصمة وأمر بقتله.وقصة مقتل الإمام قلي وأبنائه بأمر الشاه صفي معروفة في التاريخ[2].

السيد محمد خان كان والي الحويزة حتى سنة ١٠٤٤.وفي تلك السنة، ذهب السيد منصور، الذي ربما كان يعيش من بين قبيلة الفضول حتى ذلك الحين[3]، إلى أصفهان ودخل بلاط الشاه صفي، وكافأه الملك وعينه حاكماً في ولاية عربستان، وارسله إلى الحويزة.على ما يبدو، بسبب القرابة التي كانت تربط السيد محمد خان بالإمام قلي خان، أراد الشاه صفي قتله.على أي حال، عندما وصل منصور إلى الحويزة، ألقى القبض على السيد محمد خان وأعماه، وأصبح نفسه واليا.

حكم السيد منصور تسع سنوات أخرى حتى سنة ١٠٥٣، حتى جاءت مدة الشاه عباس الثاني ملك إيران.وقع شجار وصراع بينه وبين ابنه السيد بركة، ولمنع هذا الصراع، استدعى الشاه منصور إلى أصفهان وأرسله إلى مشهد، وأعطى الحكم لابنه السيد بركة[4].

---

(١) يكتب الكعبي تاريخ هذه الحادثة سنة ١٠٣٦ ويقول: إن الشيخ عبد العلي الحويزي في قصيدة مدح بها علي باشا يكتب تاريخ تلك الحادثة في نصف بيت على النحو التالي: «على دمر خان».لكنه يقينا إن وفاة الشاه عباس وعودة الإمام قلي خان كانت في سنة ١٠٣٧.لذلك يجب أن يقال أن نصف البيت التاريخي للشيخ الحويزي كان «على دمر الخانا»، وأن الكعبي، لأنه كان مخطئا في سنة الحادثة، وغير الكلمات وترك الألف في آخرها.

(٢) كتب تاورينه حول عداوة الشاه صفي مع الإمام قلي خان وأبنائه قصة طويلة، وهي أفضل شرح للقصة إذا اعتمدنا عليها.

(٣) يتذكر السيد علي أنه أرسله إلى مازندران، لكن لأن كلماته مبعثرة ومشتتة، لا يُعرف متى حدث ذلك الأمر.

(٤) مسودات الجوهراي، كتاب السيد علي.الرحلة المكية، ص٢١٠، ٢١٥.

١٢- السيد بركة خان بن منصور

يكتب السيد علي، أنه كان رجلا شجاعا جدا وكان جيدا جدا في ركوب الخيل، فانه حينما يركض حصانان، كان يثب على آخر وهو راكب حصانا آخر، ولكن عندما وصل إلى السلطة، عمل بجد أخذ يترف ويلهو، ولا يقوم بإصلاح الأمور.وفي عصره، تعرض الناس للمشقات والاضطهاد كثيرا.ويبدو أنه نتيجة لذلك، في سنة ١٠٦٠، أقاله الملك من منصبه.كتب السيد علي خان أن سياوش خان جاء إلى رامهرمز نيابة عن الشاه وكتب رسالة إلى السيد بركة واستدعاه.وطلب منه أن يعطيه بنته.فرح بركة بهذه الدعوة وتوجه على الفور إلى رامهرمز، واستقبله سياوش خان، أخذه معه إلى أصفهان، ومنها أرسله إلى مشهد عند والده منصور الذي كان لا يزال على قيد الحياة[١].

١٣- السيد علي خان بن خلف [٢].

قلنا إن «مولى خلف» ابن السيد مطلب وشقيق السيد مبارك.حينما أعماه مبارك، لم يمكث في الحويزة، وذهب مع عائلته وأقاربه إلى كهكيلويه.وهناك أخذ منطقة جيزان ومحيطها من الإمام قلي خان، بيكلر بيكي، الذي كان مستقرا في كهكيلويه وفارس، وسعى إلى تنميتها وعمرانها، وأجرى فيها ماء يسمى خلف آباد[٣].

(١) مسودات الجوهراي، كتاب السيد علي، روضة الصفا.

(٢) الرحلة المكية، ص٢١٦ - ٢١٧.

(٣) أيضا مدينة تسمى خلف آباد مكتوبة باسمه، لكننا لا نعرف ما إذا كانت إحدى المستوطنات السابقة التي أصبحت أكثر ازدهارا وغيرت اسمها، أو ما إذا كان هو نفسه قد أسس مستوطنة جديدة.

يعد مولى خلف من علماء الشيعة، ويذكر أنه ألف الكثير من الكتب، كما درس ابنه السيد علي في أصفهان، ويعد من العلماء والمؤلفين، وقدم الكثير من الأشعار[1].

عاش السيد علي مع والده في خلف آباد، حتى سنة ١٠٦٠، كما قلنا، جاء سيافاش خان من البلاط إلى رامهرمز، ودعا السيد بركة هناك، وألقى قبض عليه.في الوقت نفسه، ذهب إليه السيد علي ووالده خلف.وكشف مرسوم الوالي باسم السيد علي الذي أحضره من البلاط وكان يخفيه، فأعطه إلى السيد علي.

ذهب السيد علي خان إلى الحويزة ليصبح واليها، وكان رجلا لينا طيبا، لكنه لم يكن لديه القدرة الكافية للحكم.وعلى هذا، خرجت الأمور الإدارية عن السيطرة وبدأ الناس في الشكوى.ومن أفعاله أنه بعد سنوات قليلة من حكمه عارضه أخوه مولى جود الله، الذي عاش معه في الحويزة، غضب منه وذهب إلى قبيلة الفضول وجهز جيشا بمساعدتهم وجاء إلى الحويزة.كتب السيد علي خان عن الوضع لوالده خلف، فجاء خلف إلى قرب الحويزة وأرسل رسالة إلى السيد علي، وأمره بأن يخرج لقتال أخيه ويكون شجاعا، فسيكون النصر له.من هذه الرسالة، زاد السيد علي خان شجاعة وخرج إلى قتال جود الله، وفي المعركة التي وقعت فجأة أصاب سهمٌ جود الله فتسبب في قتله، وهزمت قواته وتفرقوا.ولكن عندما وصل هذا الخبر إلى مولى خلف، ورغم أنه هو نفسه حرض السيد علي على الحرب، فقد غضب منه بشدة، فركب حصانه وذهب إلى خلف آباد، وبقي هناك حتى مات.

لكن السيد علي خان، كانت أموره لا تزال دون انتظام وبلا ترتيب.وكان أبناؤه وأهله يضايقون الناس، إلى حد أنه بعد سنوات عدة انزعج العرب وبمساعدة ابنه السيد

---

(١) كان فاضلاً شاعراً جليل القدر له مؤلفات في الأصول والإمامة والأدب وقد أكثر من التصانيف العالية في أنواع العلوم، الرحلة المكية، ص٢١٦ - ٢٥٤، أعيان الشيعة: ٣٠/ ٢١، له ديوان شعر مطبوع بعنوان (خير أنيس لخير جليس) ودخل في صراع سياسي مع ملوك الدولة الصفوية وبعض مشايخ الاعراب، تاريخ المشعشعين، ص١٣٩.

حسين ثاروا عليه وطردوه من الحويزة، وبعده استقر السيد حسين مكانه.ولأنه قبل ذلك قد وصل خبر تفاقم أمور الأحواز إلى مسمع الشاه، وكان قد كلف منوتشهر خان، والي لرستان، بالمجيء إلى الحويزة، وإرسال السيد علي خان إلى أصفهان والعناية بشؤون الأحواز بدلا منه.في هذا الوقت، ثار الأعراب على السيد علي خان، وفي حين وصل منوتشهر خان إلى الأحواز.في البداية، عصاه الأعراب وخاضوا ضده الحرب، لكن بعد ذلك أجبروا على الطاعة، وجاء إلى الحويزة للحكم، واتجه السيد علي خان مع أبنائه وأقاربه نحو أصفهان.

لكن، لم يمكث منوتشهر خان لأكثر من سنتين، وعاد إلى لرستان.يكتب السيد علي أنه بسبب جشعه للخيول العربية، أينما وجد خيولا ثمينة، أخذها بالقوة من مالكها.وتركب ابنته ماه باره علانية على ظهر حصان ويصطحبها معه للصيد.كان العرب مستعدين للثورة بذريعة أفعاله، وقد فهم الموقف، وكتب للشاه أن حكم الحويزة لا يمكن أن يتحقق إلا على يد السادات المشعشعيين، وطلب منه أن يعود إلى لرستان.بعده ولمدة سنتين، عيّن الشاه شخصا ليهتم بأمور الحويزة، إلى أن عاد السيد علي خان مرة أخرى بأمر من الشاه إلى الحويزة بعد تأخير دام أربع سنوات في أصفهان.

هذه المرة أيضا، لم يكن عند السيد علي خان قدرة تذكر [1]، وأبنائه الكثر يسيطرون على الناس.كتب حفيده السيد علي مجموعة من القصص عنه وعن أبنائه، ولكن لا نذكرها هنا.

في هذا الوقت، كانت المملكة الصفوية على وشك السقوط والانهيار.ويوما بعد يوم ينقص مجدهم وقدرتهم.كما أنه يتضاءل حكم المشعشعيين ويقلل من بهائه،

---

(1) هناك رأي أخر يذكر أن الأمير علي بن خلف استطاع أن يسيطر على الأوضاع بكفاءة وبحكم الولاية من تاريخ ١٠٦٠ - ١٠٨٨هـ حتى وفاته وتسليم حكم الولاية لأولاده وقضى على حركات المعارضة القبلية لحكمه، الرحلة المكية، ص٢٣٥، ٢٣٩.

وتدهور أوضاعهم يوما بعد يوم.في هذا الوقت، كان جيشا من قزلباش يحرس حصن الحويزة على الدوام، لكن الولاة لم يسيطروا على العرب ولم يكن لديهم القدرة على منع تمردهم وغزوهم.إذا لم تفقد المملكة الصفوية مجدها، لكان بإمكانها استئصال المشعشعيين بسهولة من الأقليم في ذلك الوقت، لكن حال الصفويين أنفسهم كان كالمشعشعيين في ذلك الوقت، وسيطر على مقاليد الحكم أشخاص في عهد شاه سليمان والشاه سلطان حسين، ولم يبق من الشاه والحكومة شيء سوى الاسم.

وقعت في زمن السيد علي خان حادثة أخرى وهي: الغزو العثماني للبصرة وتفريق شمل أهل البصرة والجزائر وهروب حسين باشا الديري إلى إيران، سنذكر هذه القصة في مكان آخر.

وفي هذه الحادثة أيضا انتقل السيد نعمة الله الجزائري، مؤلف كتاب زهر الربيع وغيرها من الكتب، وهو سلف سادات جزائر جنوب العراق والأقليم، خرج من الجزائر، وذهب إلى الحويزة، ومن هناك توجه إلى تستر واستقر هناك[1].

عائلة واختشو خان في تستر:

هنا يجب أن نتحدث قليلا عن الجزء الشرقي من الأقليم.كما قلنا، منذ عهد الشاه إسماعيل، تم تقسيم الأقليم إلى قسمين: القسم الغربي والحويزة واللذان يسميان عربستان، تم تسليمه مرة أخرى إلى عائلة المشعشعيين.والقسم الشرقي وهو يشمل مدن تستر ودزفول رامهرمز ويسمى باسم الأحواز واستولى عليه الصفويون أنفسهم، فيرسلون الحاكم من البلاط إلى هناك.

في سنة ١٠٤٢، استولى فاختشو خان من بلاط شاه صفي على الأحواز (الجزء الشرقي)، وثبت في حكمه سبعة وثلاثين سنة متتالية، وعندما توفي سنة ١٠٧٨، خلفه

---

(١) كتاب السيد علي، وتذكرة تستر، ومسودات الجواهري.

ابنه، وبعده، بقي حكم الأحواز في عائلتهم لسنوات طويلة.

كما هو مكتوب في تذكرة تستر، كان واختشو رجلا ماهرا وحسن التصرف وخلال فترة حكمه حاول دائما تطوير تستر وتلك الأراضي.

بعده، كان ابنه فتح علي خان أيضا رجلا فاضلا وقادرا، ومن أعماله بناء جسر چهل و چهار چشمه (أربعة وأربعون عينا) في تستر، والذي لا يزال بقاياه قائما، ويعد واحدا من أعظم الأبنية التاريخية.هذا العمل الذي قام به فتح علي خان هو سبب جهوده العمرانية المتميزة، ولكن تم ارتكاب خطأ من قبله وهو أن هذا الخطأ تسبب في تدمير تستر ومحيطها، وعانى الناس من أجله لسنوات عديدة.سنذكر هذه القصة بشكل منفصل، لكن يجب أولا أن نناقش كيفية مجرى نهر كارون في القرون التي سبقت تاريخ نشأته، حتى تكون الأرضية جاهزة للتحدث عن عمل فتح علي خان وباق الأحاديث.

كارون وأسسه:

إذا سافرنا إلى الأقليم ونظرنا بامعان على الجانب الشمالي من تستر إذ يصل نهر كارون مقابل تلك المدينة، سنرى كارون، وهو أكبر نهر في الأقليم وأيضا أكبر نهر في إيران اليوم، ينبع من جبال بختياري ويصب في سهل الأقليم، فإنه يصل في بداية السهل إلى مدينة تستر وفي أعلى تلك المدينة ينقسم إلى فرعين، يتدفق رافد أصغر يسمى نهر كركر و دو دانكه في خط مستقيم من الجانب الشرقي من المدينة إلى الجنوب.والرافد الأكبر، المسمى نهر الشطيط وچهار دانكه، يتدفق غربا من شمال المدينة.بعد مسافة، استدار جنوبا مرة أخرى.إنه يمشي حوالي فرسخين من الفرع الآخر، إذا اتبعنا مسار أحد النهرين، فسنرى أخيرا أنه في بند قير، والتي تبعد سبعة أو ثمانية فرسخ عن تستر، يلتقي الفرعان مرة أخرى ويصبحان نهرا واحدا.والأراضي التي يتم وضعها بين فرعي النهر من تستر إلى بند قير ولها سلسلة قرى تسمى «مياناب» أو

بلغة أهالي تستر تسمى «ميناو».

إذا عدنا إلى أعالي تستر مرة أخرى، ووقفنا بين حائل الفرعين ونظرنا يمينا وشمالا، على جانب واحد وعلى فوهة الشطيط، على مسافة مائتين أو ثلاثمائة خطوة، سنرى جسرا ذا أربعة وأربعين ينبوعا كبيرا وثلاثة وأربعين ينبوعا صغيرا، وسقط الكثير منها الآن ولا يمكن العبور فوقه، لكنه يعد واحدة من أعظم الأسس، لأنه هو أساس، الجسر الشهير لتستر، والذي اعتبره علماء التاريخ والآثار القدامى من عجائب الدنيا.

من ناحية أخرى، على مصب نهر الكركر، سنرى «سدا»، وهو أيضا واحد من أكبر الأسس وتسمى «سد ميزان» أو «سد محمد علي ميرزا» أو «سد خاقان».

وكذلك سنرى من ذلك الحائل جدولا شكل من النهر إلى داخل المدينة، لكنه باستثناء الشتاء والربيع الذي عندما تزداد مياه النهر، لا يتدفق الماء من هذا الجدول، ويسمى هذا الجدول داريان أو دستوا.قديما كانت المياه تتدفق من هناك إلى أراضي مياناب وكانت مصدر عمران تلك الأراضي، أما الآن فلا يصل الماء إلى مياناب إلا في الشتاء والربيع.

هذا هو مشهد كارون وأسسه فوق تستر في هذا اليوم، ونحن بيناه مجملا.الآن دعونا نكتب تاريخ تلك الأسس ولكي نصفه ونذكره بشكل صحيح، نعود إلى الزمن الذي لم يكن هناك أي علامة على هذه الأسس وكان النهر يتدفق من تلقاء نفسه.

أولا، يجب أن نعلم أن مدينة تستر بنيت على صخرة، وكل أراضيها ليست سوى مجموعة من الصخور، لكن سطحها من الحصى الناعم الذي يعمل فيه الفأس، ولهذا أنه يحفر في كل منزل ويصنعوا قبوا على عمق عشرة أمتار ونيف، وهذه الأقبية هي مأوى الناس للتخلص من حرارة الصيف الحارقة.

مقابل هذه الصخرة ينقسم كارون إلى فرعين.كما قلنا، يمتد فرع غربا من شمال المدينة وبعد مسافة يتحول جنوبا مرة أخرى.وفرع آخر يتدفق من الشرق.

يجب أن يعلم أن مبدأ معبر النهر هو نفسه معبر فرع شطيط في هذا اليوم.ثم

حفروا باليد ونشأ الفرع الشرقي.وسبب ذكر هذا الكلام ما سوى كتابات المؤرخين الذين نسبوا حفره إلى أردشير بابكان، هو أن ذلك الفرع انفلق صخرة على مسافة ربع فرسخ ويعبر من داخلها، ومن الواضح أن مثل هذا الشيء لا يمكن القيام به إلا باستخدام الفأس وأيدي الناس.

يجب أن يقال أنه كان في زمن، كانت فيه كل مياه النهر تتدفق من نفس الممر وتتدفق إلى البحر من نفس الممر، ولأنه نظرا لعمقه، لم يتم استخدام سوى كمية صغيرة جدا منه لري الأراضي، فكر البعض أن يفصل منه جدولا ويستخدم كمية كبيرة من المياه للري.ولهذا رأوا أن أعالي تستر، حيث صادف النهر الصخرة ويتحول إلى الغرب، هو أفضل لذاك الأمر.وذلك أنهم مزقوا الصخور حول الجزء العلوي من النهر وأنشأوا الجدول الذي أرادوه.ولكي يدخل الماء على ذلك الجدول، بنوا سد شادروان أمام مصب الجدول الجديد، في الممر القديم للنهر.وهكذا، فإنهم بلّطوا مجرى النهر ميلا بميل بأحجار كبيرة جدا.وقد قاموا برفع تلك الصخور وتثبيتها لدرجة أنها صمدت أمام الفيضانات المدمرة لعدة قرون.إذا أيدنا قول المؤلفين السابقين، فإنه علاوة على الحجر والصاروج، فقد تم أيضا استخدام الحديد في هذا الأساس، التي أوصلوها بالصخور معا بقضبان أو حلقات حديدية.

نسب هؤلاء المؤلفون أساس شادروان إلى شاهبور الأول، ابن أردشير.خلق البعض أيضا أسطورة وهي أن شاهبور، مثل فاليريان، الذي أسر الإمبراطور الروماني في الحرب، دفعه إلى بناء هذا الأساس.وطلب العديد من العمال من روما وبنى ذلك الأساس. ربما نشأت هذه الأسطورة من حقيقة أن شاهبور أجبر الأسرى الرومان، الذين حصل على الكثير منهم، على بناء شادروفان.ربما كان البنّاء والمهندس من الرومان أيضا. على أي حال، من المؤكد أنه لم يبنِ ذلك إلا ملكا.كما أنه لا يمتنع من أن نقبل أقوال المؤرخين ونعد شاهبور مؤسسه، لا سيما بالنظر إلى أن الملوك الساسانيين كانوا يهتمون بالاقليم وأن أسسهم الأخرى موجودة في تلك الأرض.

والصحيح أن بناء هذا الشادروان وحفر نهر المسرقان والذي هو اسم قديم لنهر كركر هو عمل واحد، ولا شك أنه ما بنوا شادروان إلا لأجل نهر المسرقان، لأنه ليس شادروان إلا سدا واحدا، ولا يفيد سد واحد إلا لنهر واحد، من هنا، يمكن ملاحظة أن حافر نهر المسرقان مع عامل شادروان كان شخصا واحدا.لذلك لا يمكن أن يكون صحيحا أن المؤرخين والجغرافيين القدماء كتبوا ذلك باسم أردشير وهذا باسم شاهبور.إلا إذا قلنا أن أردشير بدأ في حفر المسرقان، ولكن لأنه لم يتم في حياته، فقد تم تأجيل بناء شادروفان، الذي يجب أن يبدأ بعد حفر النهر، إلى عهد شاهبور، وقد أتم ذلك الأمر.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أنه في زمن الساسانيين وفي القرون الأولى للإسلام، كان الفرع الشرقي لكارون، الذي قلنا أنه في ذلك الوقت يسمى «مسرقان»، كما تم فصله عن فرع آخر بالقرب من تستر وصب في البحر بشكل منفصل حتى نهاية الأقليم، إذ يمر من الجانب الشرقي لتستر ومياناب، ويصب بعد سبعة أو ثمانية فراسخ، إلى مدينة عسكر مكرم المعروفة[1] ومرت عبر تلك المدينة وصب في قرية تسمى «قرية مسرقان» على مسمى ذلك النهر، وكانت عامرة جدا[2]، فيمر من هناك وتصب في الأحواز، من الجانب الشرقي منها يجري تحت جسر «إربك» الشهير، الذي وضع في الطريق من الأحواز إلى رامهرمز، وكان جسرا مشهورا جدا، فيعبر من هناك ويصب أخيرا في البحر في فتحة منفصلة.

كما قلنا، فإن فرع كركر (أو مسرقان) هو الآن أصغر من فرع شطيط (أو الدجيل كما كان يسمى في الماضي) وهذا هو سبب تسميته بجهار دانكه.وكما قلنا، أن في

(١) كان عسكر مكرم الذي يسميه الإيرانيون أنفسهم «لشكر مكرم»، يقع هناك، وبني سد قير سد هناك، وعلى مسافة سبعة أو ثمانية فراسخ من تستر.من الخطأ ذكرها في التذكرة على بعد فرسخ من تستر.

(٢) إذا اعتبرنا كتابات مستوفي في نزهة القلوب صحيحة، فقد كان هناك حي تسمى المسرقان في تلك القرية.

القرون الماضية نهر «مسرقان» يصب في البحر على حدة.كان هذا النهر أكبر من الدجيل وكان فيه ماء أكثر من ذلك، وكان يستخدم معظم مياهه للزراعة، وكان أطرافه مخضرا من تستر إلى البحر، لكن الدجيل لم يستخدم في ري الأراضي إلى هذا الحد، وعلى هذا كان اسمه أشهر من الدجيل(١).

كتب «الإصطخري»، الذي شهد الاقليم في بداية القرن الرابع ويقول: «الأحواز، بعمرانها، ليست فيها قرية أكثر ازدهارا وتقدما من قرية مسرقان».

إذا أيدنا قول بعض المؤلفين، وافترضنا بناء سد الأحواز من أردشير بابكان(٢) كما عددنا أن حفر «مسرقان» كان بيده.يجب أن يقال أن طريقة أخرى لحفر المسرقان كانت المحافظة على سد الأحواز من قوة وضغط السيول المدمرة.وهكذا، أرادوا أن يتدفق جزء كبير من المياه من نهر المسرقان، ويجب أن يكون هناك القليل من المياه في القناة الأولى للنهر التي تصل إلى سد الأحواز، كي لا يكون القوة والضغط على السد أكثر من اللازم خلال الربيع والخريف، عندما ترتفع السيول الغزيرة.

على كل حال، علينا أن نكشف متى غيّر المسرقان مجراه، وغير مساره، بحيث يصب اليوم قرب بند قير في فرع شطيط؟ وتجدر الإشارة إلى أن هذه القضية لم يذكرها أحد في أي مكان.

لكننا سنحصل على تاريخه من عمليات البحث التي أجريناها:

كما كتبوا، في ذلك الوقت، عندما كان «مسرقان» يتدفق في البحر بالقرب من عسكر مكرم.في المكان الذي يلتقي فيه النهران الآن، حفروا جدولا بين مسرقان و

(١) يذكر في بندهش البهلوي، الذي يسمي أنهار إيران، دجيل أو كارون باسم المسرقان.

(٢) في مكان آخر سنتحدث عن مدينة الأحواز وتاريخها، واستيطان تلك المدينة كان يعتمد على وجود السد، حيث تم تدميرها بعد انكسار السد، لذلك لا يُصدق أن يكون السد قد أسسه أردشير، إلا إذا قلنا إن عمران المدينة بدأ أيضا من عصره، بينما يذكرون أن المدينة كانت معمورة من العصور القديمة، فربما جعل أردشير السد أكثر ازدهارا واستقراراً.

دجيل. ويبدو أنه أوجدوا هذا الجدول كي يسهل التنقل للسفن من نهر إلى آخر، ولكن من ليونة أرض الأحواز، سيكبر الجدول تدريجيا، وكان الماء يصب من النهر إلى هذا الجدول، وفي مجراه السابق ما كان يتدفق إلى البحر إلا قليل من الماء.

وهنا نص من الإصطخري وابن حوقل الذي يوضح الموضوع. يكتب الاصطخري، الذي ذهب إلى الأقليم في بداية القرن الرابع: انطلق مسرقان من تستر على العكس من مكرم ثم يصل إلى الأحواز ونهايته هي الأحواز والذي لا يمر من هناك[1]. في عسكر مكرم جسر كبير يضم أكثر من عشرين سفينة. تبحر السفن الكبيرة على هذا النهر. سافرت من عسكر مكرم إلى الأحواز عبر الماء. المسافة بين المدينتين فرسخان، طفت ستة فراسخ على الماء ثم نزلت من السفينة، مشيت بقية الطريق عبر شاطئ النهر، لأن هذه البقايا كلها جافة. كرر ابن الحوقل العبارة نفسها بشكل أو بآخر[2].

يتضح من هذه الكتابة أنه في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، كان مسرقان في حالة كان يتم فيها تصريف جزء كبير من المياه من النهر وينضم إلى فرع الدجيل بالقرب من عسكر مكرم، ولا يتدفق إلا جزء صغير من الجدول القديم. وبلغ هذا المقدار استهلاكاً لري البساتين بحدود ستة فراسخ من عسكر مكرم[3] ولم يتجاوز ستة فراسخ، وذلك أن الجدول جف من الفرسخين المتبقيين لمدينة

---

(١) ليست العبارات دون خطأ، فإنها ترجمت معنوياً.

(٢) والعجب أن ابن حوقل الذي قام برحلة بعد مدة قصيرة من الإصطخري، ينقل نفس كلمات الإصطخري في كثير من مقالاته، ومن هنا لا نعد كلام ابن الحوقل صحيحا إلى حد كبير، ويمكن القول إنه لم يذهب إلى الأقليم، واكتفى بانتحال كتابات الإصطخري.

(٣) كتب كل من الإصطخري وابن الحوقل أنه مهما كانت المياه في النهر القديم، سيتم استخدامها لري الحدائق. وهذا، أنه بعد ستة فراسخ يؤدي إلى اليابسة، ومن المستغرب أن ابن حوقل حينما يكتب عن قلة الماء في هذا النهر وجفافه، فيقول: لأن هذا كان آخر الشهر وكان القمر ينقص، قلل الماء بسبب الجزر والمد، ولم يملأ النهر كاملا، لأن كثرة الجزر والمد يؤثر في نسبة الماء. وهذا هراء منه ولا معنى له، وإنه دليل على أن ابن حوقل لم ير الأقليم وسرق عبارات الإصطخري.

الأحواز حتى نهايته.

كان هذا حال مسرقان في النصف الأول من القرن الرابع، ومن قياسه، يجب أن نقول أن الماء أصبح أقل فأقل تدريجيا من التيار القديم، وأخيرا، جف ذاك الجدول تماما.

وأما بعد قرون، يصف ابن أثير نهر مسرقان بالقرب من الأحواز وجسر أربك مليئا بالماء.لأنه في أحداث سنة ٤٤٣ عندما ذكر حرب «بهاء الدولة الديلمي» مع ابن واصل، يقول: إن بهاء الدولة كسر جسر أربك، وسد الماء بينه وبين ابن واصل.

كما قلنا، كان جسر أربك في جنوب الأحواز على الطريق الذي ينطلق من تلك المدينة إلى رامهرمز ويمر من تحتها نهر مسرقان، لذلك في منتصف القرن الخامس ما يزال المسرقان يتدفق تحت ذلك الجسر وهناك كان الكثير من المياه التي كان العبور منها صعبا إلا من الجسر.

يجب أن يقال أنه بعد أن فقد هذا النهر مجراه القديم وحُفر الكثير من مياهه، ينضم بالقرب من عسكر مكرم إلى الدجيل (كما ذكر الإصطخري وابن الحوقل)، أعيد إلى النهر القديم مرة أخرى، وفي منتصف القرن الخامس، كان يمتلأ بالمياه.

يمكن الاعتقاد أنه في النصف الثاني من القرن الرابع أو في بداية القرن الخامس، تم بناء سد على منحدرات ذلك الامتداد بالقرب من عسكر مكرم، وبواسطته، عاد المسرقان إلى مجراه القديم.

ربما كان هذا هو السد الذي استخدم فيه القير وبقي اسم «سد القير» منذ ذلك الحين.

على أية حال، افترضنا من الحفريات التي رأيناها أنه في بداية القرن السادس، أو قبل ذلك بقليل أو بعده، عادت مياه مسرقان مرة أخرى، من جدوله القديم، وصب كلها في الجدول الذي حفر باليد، وكل ذلك صب في فرع آخر كما هو حاله اليوم،

ونضب ذاك الجدول القديم تماما، وجفت القرى المجاورة لها كلها[1] هذا الحادث فضلاً عن هذا حرمان الأقليم من قرية المسرقان العامرة إذ يتم زرع قصب السكر هناك أكثر من أي مكان آخر، كان ضرره الآخر هو تدمير مدينة الأحواز.فإن السبب الرئيس لتدميرها كان تحطيم سد الأحواز، ويبدو أن السبب الأكبر في تحطيم السد كان قصة عودة مسرقان إلى مجراه القديم، ونتيجة لذلك تجمع كل الماء في فرع واحد وتضاعف ضغطه ثلاث مرات.خاصة أثناء فيضانات الربيع، ومن هنا لم يستطع السد الصمود، وتحطم، ومن تحطمه سقطت المياه المتدفقة إلى المدينة من الأنهار جملة واحدة، وأصيبت المدينة بالجفاف، وأخيرا، تحولت إلى خرائب بسبب انهيار السد وتشتت الماء[2].

سد الميزان - فتحة المسرقان:

مما قلناه حتى الآن معروف أن مسرقان الذي يسمى اليوم كركر أو دودانكه، هو نهر تم حفره باليد، وكان قصدهم استخدام مياه النهر من تستر إلى البحر لري الحقول. كما أن شادروان هو سد تم بناؤه أمام هذا النهر، وكان قصدهم رفع المياه بمساعدته ومن ثم إعادته إلى مسرقان.

لكن كما قلنا، حتى الآن هناك سد في فوهة مسرقان يسمى سد ميزان.وعلى الرغم من أن هذا المبنى من آثار محمد علي ميرزا دولة شاه، ابن فتح علي شاه، إلا أننا نعلم أن هناك سد أقيم هناك منذ قرون، وعندما تحطم أعاد دولة الشاه بناءه،كما سنذكر

---

(١) عندما يحصي مستوفي في نزهة القلوب، مدن الأقليم، يسمي أيضا مدينة تسمى المسرقان هناك. لكن كتاباته عن هذا لا يمكن أن تكون موثوقة، ولا يمكن تصديق أن عمران قرية مسرقان كانت مستقرة حتى وقته.

(٢) كتب الإصطخري، وابن الحوقل، وتاريخ ابن الأثير، وأسباب السمعاني، ونزهة القلوب للمستوفي، ومعجم البلدان.

تاريخ هذه القصة بالتفصيل.

الهدف هو معرفة ما أنه متى تأسس هذا السد، وما هو الغرض من ذلك؟ وتجدر الإشارة إلى أنه لا توجد أخبار من الكتب في هذا الشأن.ومن المؤكد أن هذا السد تم إنشاؤه بعد وقت طويل من حفر مسرقان وإغلاق سد شادروان.لأنه لم تكن هناك حاجة لمثل هذا السد في ذلك الوقت.

يبدو أنه بعد حفر نهر مسرقان بسبب نعومة تربة الأقليم، أصبح النهر هنا أعمق تدريجيا وتدفقت المياه هناك أكثر.وهذا له عيبان: أحدهما أنه قلل في فرعي الدجيل أو الشطيط كما يطلق عليه اليوم، ولم يصب منفصلا من الجداول التي تم فصلها عن تلك الفروع القريبة من مدينة الأحواز وأماكن أخرى.والآخر هو أن جدول داريان أو دستوا الذي ذكرناه من قبل، وقلنا أنه تم وضعه في نقطة منفصلة من شطيط وكركر حتى يمكن نقل المياه إلى وسط المدينة وإلى أراضي ميناو، وعلى هذا، يخلو من الماء.

لهذا السبب، اضطروا إلى أن يصنعوا سدا في فوهة المسرقان كما يوجد سد في فتحة دجيل، حتى يتدفق الماء إلى كل فرع حسب حجمه.يبدو أن هذا هو سبب تسمية فرع منه بجهار دانكه، وفرع آخر بدو دانكه، لأن ماء ذاك يكاد يكون ضعفي ماء هذا، بينما قبل ذلك الوقت كان ماء هذا الآخر أكثر من ذاك، كما ذكرناه آنفا.

على أي حال، فإن وقت إنشاء هذا السد وكذلك اسم صانعه غير معروف.إلا أن علي يزدي في ظفر نامه، الذي كتب رحلة تيمور لنك إلى الأقليم، يذكر فرعي كارون باسمي جهار دانكه ودودانكه، ويتضح من هذا أن سد الميزان قد بني قبل ذلك.

حتى الآن ذكرنا ما أردنا معرفته عن نهر كارون بالقرب من تستر وأسسه التاريخية العظيمة، وكتبنا هذه الكلمات لأنها لم تكتب في مكان آخر، وكنا بحاجة إلى معرفتها كي نتحدث عن قصة بناء جسر فتح علي خان وغيرها من القصص التي هي جزء من هذا التاريخ.والآن نرجع إلى ما كنا بصدده.

إنشاء جسر تستر على يد فتح علي خان

علمنا مما ذكرناه أن تستر محاطة بالمياه من ثلاث جهات: شمال وشرق وغرب، وكما يظهر في الخريطة، من يدخل الأقليم عبر بختياري، إذا أرادوا دخول تستر، لازم أن يعبروا نهر شطيط.أيضا، أولئك الذين يذهبون إلى بختياري أو دزفول ولرستان من تستر عليهم عبور ذلك النهر.

وما يتضح من التواريخ أنه في العصور القديمة وفي القرون الأولى للإسلام لم يكن هناك جسر فوق هذا النهر وكانت القوافل تعبر النهر بالقارب أو البلم أو بأي وسيلة أخرى[1].وأحيانا كان فوقه جسر والذي كان ممر القوافل[2].

في زمن فتح علي خان، لم تكن هناك جسور أو سفن، وكما هو الحال الآن، تعبر القوافل عبر جهار دانكه بالقارب، ويموت عدد كثير منهم بسبب غرق وخلل تلك السفينة، وفي ذلك الوقت مجموعة من شيوخ الفيلية الذين يذهبون إلى الأحواز بأمر من الشاه، وكانوا جالسين على القارب ويريدون أن يعبروا النهر ويدخلوا تستر، وفجأة، في منتصف الطريق انقلب القارب، غمر جميع الناس في الماء وهلكوا[3].وقد شعر فتح علي خان بحزن عميق جراء هذا الحادث، وأراد بناء جسر فوق ذلك النهر، ولكي لا تؤدي وفرة المياه وقوتها إلى إعاقة العمل ويتمكن المهندسون المعماريون من بناء عمود الجسر على شادروان شابور، أمرهم بخلق حفرة في سد الميزان، وهو ما قلناه

(١) لقد روى السيد الجزائري في زهر الربيع وحفيده في مذكرة تستر قصة: أنه في العصور القديمة في تستر كان جسر وأن هذا الجسر بناه الإمبراطور الروماني واليران، وذات ليلة سقط شبيب الخارجي في الماء من فوق تلك القنطرة وغرق، ووصل الحجاج إلى تستر، دمر تلك القنطرة.هذه القصة لا أساس لها من الصحة إطلاقا، وكان شبيب غرق في مدينة الأحواز وليس في تستر، وسقط في الماء من على الجسر وليس من القنطرة.

(٢) عبر ابن بطوطة ذلك الجسر.

(٣) عندما وصلت إلى الأقليم سنة ١٣٠٢ش، ١٩٢٢م، انقلب في نفس المكان قارب وغرق ستة أو سبعة أشخاص، وبعضهم كان من الجنود.

بأنه السد عند فتحة دودانكه، ليعود ضغط ووفرة الماء إليه.كان هذا خطأ فتح علي خان الذي قلنا أنه كان سببا في مصائب لأهالي تستر ومحيطها لسنوات عديدة. وسنرى مقدار الضرر الذي ألحقه هذا الانقسام في سد ميزان بقرية تستر.يقول مؤلف كتاب التذكره: منعه مجموعة من المعمرين والشيوخ والأذكياء من فتح سد الميزان، ولكنه أصر على عمله.

نعم، شيّد فتح علي خان الجسر الذي أراده في اثني عشر سنة.يحتوي الجسر على ٤٤ ينبوعا كبيرا و ٤٣ ينبوعا صغيرا، والتي يجب اعتبارها في حد ذاتها واحدة من أروع الأسس التاريخية.وكان هذا الجسر قائما وكان ممر القوافل إلى أنه وفي ربيع سنة ١١٠٣ ق اقتلعت السيول جزءا من شادروان شابور، وهو قاعدة الجسر، وهدم بعض ينابيع الجسر أيضا.لكن تسرب سد الميزان: قبل أن يقوم فتح علي خان بحل مشكلة التسريب وإغلاق السد، سنة ١١٠٦ ذهب إلى أصفهان بأمر من الشاه حسين، حصل على منصب قوللر آقاسي.في نفس السنة، جاء فيضان رهيب وجعل ذلك الخرق أوسع فأوسع، وتساقط الماء من جدول داريان.وبقيت قرية ميناو، التي كانت أرضا لزراعة أهالي تستر والتي شهدت الكثير من العمران والتنمية، بلا ماء، ودمرت الأراضي العامرة.أيضا أسفل سد الميزان، بجانب المدينة، كان هناك سد يسمى «سد مقام»، وقد تم بناء هذا السد ليرفع المياه بضع أذرع حتى يتمكن الناس[1] من سحب المياه بدولاب ويوصلونه إلى المدينة أو يحدثوا حدائق.وبجانب هذا السد، حول النهر، تم استخدام العديد من الدواليب لسحب المياه إلى المدينة، وعمروا حدائق قرب تلك النواحي.بعد كسر سد الميزان، إذ تراكمت المياه في دودانكه، لم يصمد هذا السد وانكسر، والذي آثاره ظاهرة إلى حد الآن.ومن انهياره، عطلت الدواليب وجفت الحدائق وأصيبت المدينة بالجفاف.يقول مؤلف التذكرة: كانت هذه بداية

(١) يبلغ عمق نهر دودانكه أكثر من عشرين ذراعا من المدينة، وإذا لم يكن هناك سد، يصعب عملية رفع المياه بالدولاب.

تدمير تستر.سنروي بقية قصة تستر وكارون في مكانها المناسب.لنعد الآن إلى قصة المشعشعيين[1](*).

١٤ - حكم السيد حيدر بن علي بن خلف ١٠٨٩ - ١٠٩٢هـ[2]:

توفي السيد علي خان بن خلف بن مطلب بعد أن تولى الحكم بين عامي ١٠٦٠ - ١٠٨٨هـ.كما قلنا، كان لديه العديد من الأبناء، وتوفي الابن الأكبر السيد حسين في حياة والده، ومن بين الآخرين، ذهب السيد حيدر إلى أصفهان وطلب من الشاه أمر الوالي، وبعد فترة استلم هذا الأمر وعاد إلى الحويزة.لكن إخوته كانوا معادين له.ذهب أحدهم، وهو السيد عبد الله ، والد المؤرخ السيد علي [3]، إلى أصفهان ويحاول أن يسلموه أمر الوالي.لكن بناء على طلب السيد حيدر، اعتقلوه وأرسلوه إلى مشهد بعد فترة.

كما قلنا، في عهد السيد علي خان اندلعت حرب بينه وبين شقيقه جود الله.قُتل جود الله ولهذا السبب كان أبناؤه على عداوة السيد علي خان وعائلته، لكن مولى حيدر دعا السيد محفوظ، الابن الأكبر لجود الله، وعزاه واخوته وعيّنهم في بعض الأمور.

لكن أخوي حيدر عبد الله وفرج الله استمرا في معاداتهما له وحرضا عليه أعراب الفضول قبيلة أخرى حتى اندلعت حرب شرسة بينه وبين هؤلاء الإخوة سنة ١٠٩٠. طلب مولى حيدر من محفوظ وإخوته المساعدة.عندما اندلعت الحرب هرب جيش حيدر، لكن محفوظ والآخرين قاوموا، وقتل مولى محفوظ وعمه مولى عبد

---

(١) (*) كتب الكاتب عشر صفحات عن نهر كارون والجسور والقناطر والسدود على بنيت عليه وعلى فروعه وروافده.

(٢) الرحلة المكية، ص٢٥٨، تاريخ المشعشعين، ص١٥٢.

(٣) علي بن عبد الله بن علي مؤلف كتاب الرحلة المكية الذي اعتمد عليه أحمد كسروي مؤلف هذا الكتاب في تدوين تاريخه الذي بين أيدينا.

الحي ومجموعة أخرى.

الشيخ فتح الله الكعبي، الذي ذكرناه في موضع آخر، كان على صداقة وتقرب مع مولى محفوظ.

ويقول إنه لما وصلني خبر وفاته ضاقت علي الأرض بما رحبت، وصارت حياتي مرة.ثم أنشد الكعبي مراثيا في هذا الحداد، وهكذا ينشد في وصف كيفية الحرب في إحدى مراثيه[1]:

يوما تجمعت القبائل كلها	فيه وأمر ضلالهم مبروم
إن تسألن عنه فربة مخبر	يخبرك أن الجيش كان عظيم
قد اقبلوا زمرا كان سيوفهم	برق ومشتبك الرياح غيوم
لم أنس محفوظا غداة لقاهموا	فروا وجيش عداته مركوم
من بعد اخوته الذين تقدموا	في الحرب وهو مؤجج مضروم
فسطوا على الجمع الكثيف كما هوت	شهب على جمع الغواة رجوم
عرفوا المنية ثم خاضوا قعرها	إن الفرار مع البقاء ذميم
ركعوا الأَسنة خوف قوله قائل	هذا ابن جود الله وهو هزيم
ساقوا العدو بما يساقى مثله	لو أن حربهم السجال تدوم
حتى هوى وهوى فكان فقيدهم	كبر المصاب إذا لفقيد زعيم
ويل ابن أم أبي كثير ماروى	من ذا الذي هو بينهم مزعوم

(١) زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر، ص٤، ٦، ٧.

لم ترد أنباء عن مولي حيدر بعد هذه الحادثة، إلا أنه يرى السيد علي أن وفاته كان في سنة ١٠٩٢[١].

١٥- حكم السيد عبدالله بن علي بن خلف ١٠٩٧- ١٠٩٧ هـ[٢]:

قلنا أنه أُرسل السيد عبد الله أثناء ولاية أخيه حيدر إلى مشهد وألقي القبض عليه، بعد وفاة حيدر، تم استدعاؤه إلى أصفهان، ومن هذا الجانب، هرع العديد من الإخوة والأبناء الآخرين إلى أصفهان وأراد كل منهم أن يصبح حاكما.لمدة خمس سنوات، كان الخلاف والحوار بينهم يدور حول الحاكم، ومن هنا يمكن أن نفهم عجز الدولة الصفوية، والتي لم تستطع إرسال أحدهم إلى الحويزة باختيارها.بعد خمس سنوات، اتفق المشعشعيون وخضعوا لحكم السيد عبد الله، وأخذوا من البلاط الصفوي أمر ولايته، وذهبوا إلى الحويزة.

لكن زمن السيد عبد الله كان قصيرا جدا، وبعد سبعة أشهر وعشرين يوما من الحكم توفي سنة ١٠٩٧هـ[٣].

(١) كتاب السيد علي، ومسودات الجواهري، وكتاب الكعبي.وأسند تلك الأعمال والنشاطات إلى أمراء وحكام غير عرب وهناك دراسات أكدت على كثير من عناصر العمران والبناء قام بها الأمراء العرب في عهد المشعشعين والكعبيين خاصة في عهد الملك المحسن بن محمد بن فلاح والشيخ سلمان الكعبي في أنهار الكرخة والدويرق والجراحي والسيب معروف في اسلوب الكاتب هو الغض من مكانة العرب في الاقليم، وتجاهل دورهم.تماماً في نشر الثقافة والعلوم وبناء المدارس والمساجد والمكتبات وحفظ أمراء المشعشعين والكعبيين رعوا فضيلة العلم والثقافة ومنهم السيد خلف بن مطلب وأحفاده وأسرة آل أبي جامع.

(٢) الرحلة المكية، ص٢٦١- ٢٦٧، تاريخ المشعشعين، ١٥٤- ١٦٣.

(٣) كتاب السيد علي.

١٦ - حكم السيد فرج الله بن علي بن خلف - ١٠٩٧ - ١١١١هـ[١]:

بعد وفاة السيد عبد الله، ذهب شقيقه السيد فرج الله إلى أصفهان وتسلم قرار تعيين الوالي من الشاه، وعاد إلى الحويزة، وهو من مشاهير ولاة الحويزة.وسنرى أن البصرة أُختلفَ فتحها على يده.

السيد علي الذي لدينا كتابه هو ابن السيد عبد الله وابن أخ السيد فرج الله. جاء إلى أصفهان عدة مرات وكان نائبا لحكومة فرج الله وولاية الحويزة لدى البلاط الصفوي، وأمضى سنوات عديدة في أصفهان.لكن في المرات الأخيرة التي عاد فيها إلى الحويزة، نشأ خلاف وعداء بينه وبين فرج الله ووقع قتال بينهما.من الحوادث التي كتب عنها السيد علي منذ فترة وجوده في أصفهان قيام السيد فرج الله بضرب العملة في الحويزة بإسم "محمدي".يقول: وأنه مرة أرسل خمسمائة تومان ومرة أخرى ألف وخمسمائة تومان من العملة إلى أصفهان، حتى تصبح شائعة هناك.محمد بن عبد الحسين، خادم السيد، الذي جلب المال وصرف بعضه، كان لا يزال كان عنده بعضا منه، وعلم باقر سلطان الذي كان يضرب العملة للحكومة الصفوية.لأن السيد لم يسمح له من قبل بلاط الشاه، أخذ ضراب باشي محمدا وأمر بإغلاق غرفته.هرع إلى شخص ما لإخراج باقي الأموال من الغرفة، ولما وصل الخبر إلى الملك أمر بقتل محمد.وعزل السيد فرج الله من منصب الوالي.بذلت محاولة جاهدة التوسط مع أصلان خان[٢]، الذي كان في ذلك الوقت بمنصب قوللر أغاسي، وأفرجوا عن محمد، وظلت ولاية السيد فرج الله مستقرة.

أما بالنسبة لضرب عملة المشعشعيين، فيجب أن نعلم أنه لم يتم رؤية أي عملة من أسلافهم، وإن قاموا بضربها، فلم نر ذلك الأمر، لكن شوهدت العملات المعدنية قبل فرج الله.ولدي عملات معدنية مضروبة في سنة ١٠٨٥، والتي تقرأ من جانب واحد

(١) الرحلة المكية، ص٢٦٨ - ٢٧١.

(٢) من عائلة واخشتوخان.

بوضوح بجوارها عبارة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفي منتصفها عبارة علي ولي الله، ويقرأ بوضوح على الجانب الآخر منها عبارة ضرب الحويزة ورقم ١٠٨٥[1] بعد أن قال السيد علي إن فرج الله لم يُسمح له بضرب العملات المعدنية، يبدو أنه لا يعني أنه لا يمكنه أبدا ضرب العملات المعدنية، وعليه أن يأخذ الإذن بذاك الأمر وبعده يبادر بالفعل[2].

فتح البصرة من قبل السيد فرج الله حاكم الإقليم:

ذكرنا آنفا قصة عائلة آل افراسياب الديري وحكم ولاية البصرة منذ عام ١٠٠٥ - ١٠٧٨هـ الديري وأنهم أقاموا الحكم في البصرة.كما سنأتي لاحقا، وفي سنة ١٠٧٧، كان يحيى آغا وهو زوج أخت حسين باشا الديري الذي تآمر مع العثمانيين على حكومة حسين باشا في ولاية البصرة وجنوب العراق وأتوا بجيش جرار على حسين باشا.وطردوه من البصرة، وبعد ذلك طردوا يحيى آغا من هناك وسقطت البصرة في أيدي العثمانيين مرة أخرى [3].

لكن كما قلنا، كانت الحكومة العثمانية في وضع صعب في ذلك الوقت ولم تكن قادرة على رعاية المناطق البعيدة من أراضيها.هذا، وإنه لم يكن هناك أي علامة أخرى للحكومة العثمانية غير الاسم في البصرة وما حولها ، ولم يمض وقت طويل حتى استولى مانع وهو شيخ قبيلة المنتفق على البصرة وحكمها بحرية.يكتب السيد علي: «لأن وباء شديدا للطاعون انتشر في تلك المنطقة وهلك المئات من الناس ولم يُترك أحداً من كبار السن هناك، لذلك انتهز المانع الفرصة وسيطر على

(١) والملاحظ أن الرقم على هيئة (١٨٥).لكن من المؤكد أن الغرض هو ١٠٨٥، وفي ذلك الوقت، كان هناك العديد من الأخطاء حول الأشكال الهندسية ووضع الصفر في الأرقام.

(٢) كتاب السيد علي.

(٣) الرحلة المكية، ص١٧٤ - ١٧٧، ١٨٠ - ٢٠٠.زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر، ص١٨ - ٢٠.

كل تلك النواحي».

كان السيد فرج الله على عداوة مع مانع.لأنه يدعم ويوالي لابن أخيه السيد علي. وأرسل مع السيد علي، جيشا إلى قتال السيد فرج الله.من هنا قصد السيد فرج الله إلى البصرة.يبدو أنه بناء على طلبه واقتراحه، قصد البلاط الصفوي أيضا إلى البصرة.في سنة ١١٠٩أرسل الشاه سلطان حسين مرسوما إلى البصرة إلى السيد فرج الله مبنيا على إرسال الجيش لاحتلال البصرة وأرسل معه حاكم تستر وآخرين من منطقة الأقليم وتلك المناطق.

احتل فرج الله البصرة بسهولة، ومن هناك سيطر على القرنة واشتهر اسمه.ومع ذلك، لم يمض وقت طويل وأرسلوا من البلاط الصفوي إبراهيم خان والياً ليستقر في البصرة، وسمع فرج الله ذلك وعاد إلى الحويزة[1].

١٧- حكم السيد هيبة الله بن خلف ١١١١ - ١١١٢هـ[2]:

في هذا الوقت، اختلف السيد علي مع عمه وتمنى أن يكون واليا، وتعاونوا مع إبراهيم خان لعودة فرج الله، وكان فرج الله قلقا عليهم ولا يهتم بالبلاط الصفوي.في غضون ذلك، في سنة ١١١١، أحضر محمد علي بك من البلاط حكم عزل فرج الله وكان مأمورا سرا باعتقاله، سمع فرج الله قبل وصوله الحويزة وكشف عن عصيانه.في الوقت نفسه، عينّ السيد هيبة، ولد خلف، وهو عم فرج الله وكان رجلا عجوزا بلا قدرة، من أصفهان إلى ولاية الحويزة.ولما جاء، خرج فرج الله من الحويزة مع أتباعه، وأرسى أساس الغزو والنهب، ولم يمتنع عن الظلم والاضطهاد، وهزت هذه الثورة الأقليم كله، وغزا الأعراب كل مكان.

(١) كتاب السيد علي، تذكرة تستر، ملخص تاريخ العراق للأب انستاس الكرملي.

(٢) الرحلة المكية، ٣٧٦ - ٣٨١.

بعد فترة طويلة تصالح فرج الله ومانع شيخ المنتفق وقاموا بتجهيز الجيش وتوجهوا نحو الحويزة.وحاصروا تلك المدينة، وطلب السيد هيبة المساعدة من قبائل بني الكثير والخميس والفضول، وخرج لقتالهم، ولكنه هزم في المعركة وتفرق أتباعه وهرب نفسه من ساحة الحرب ونجا[1].

١٨ - حكم السيد علي بن عبد الله بن علي بن خلف ١١١٢ - ١١١٢هـ[2]:

وسط أعمال الشغب والصراعات هذه، انسحب السيد علي وسط الخلاف بين السيد هيبة وفرج الله خان، واستقر مع إبراهيم خان في البصرة.عندما وصلت أخبار أعمال الشغب في الأقليم إلى أصفهان سنة ١١١٢، جاء مرسوم الوالي باسم السيد علي بن عبد الله وأرسلت له خلع ورموز الولاية.وأتى من البصرة إلى الحويزة ليحكم.ويكتب نفسه: «لذلك أتيت إلى الحويزة وجعلت كل من أقاربي وأبناء عمومتي راضين»[3].

ومن أعمال السيد علي التي تدل على حكمته وطيبته وحبه للخير واصلاح الناس في مدة حكمه في الحويزة، ولكن السيد فرج الله تحالف.وثار بمساعدة الشيخ مانع زعيم الأعراب، وأخذ يضايق السيد علي، وعندما أصيب بخيبة الأمل ذهب

---

(١) كتاب السيد علي، وتذكرة تستر.

(٢) الرحلة المكية، ص٣٩٢ - ٣٢١، ٦٤٠ (مؤلف كتاب الرحلة المكية)، تاريخ المشعشعين، ص١٦٣، ١٦٥.

(٣) بعد نشر بعض من هذا التاريخ، أرسل السيد الحاج ميرزا أبو عبد الله، مجتهد وعالم من زنجان، كتابا من زنجان، والذي كان ترجمة لكتاب السيد علي.نسخة كتاب السيد علي في مكتبة مسجد سبهسلار هي نسخة المؤلف نفسه، لكن النسخة الوحيدة التي ذكرناها غير متوفرة.وكانت نسخة منه في الحويزة عند المشعشعيين، التي أخذها إلى ابنه، محمد علي ميرزا والي كرمانشاه والأحواز في عهد فتح علي شاه، ترجمها أحد سادات الجزائريين في تستر، ولخص الكتاب كثيرا، وهذه الترجمة التي أرسلوها إلى السيد الحاج ميرزا أبي عبد الله.من قصة السيد مبارك حتى الآن، أينما ذكرنا كتاب السنيد علي، نقصد به هذه النسخة المترجمة بالفارسية.ولكن نظرا لأن هذه النسخة تنتهي هنا وهناك بعض المحتوى في النسخة الأصلية وغير موجود في النسخة الفارسية، من الآن فصاعدا، نقصد من كتاب السيد علي نسخته العربية.

إلى العراق وعاش فرج الله عند مانع.كتب السيد علي رسالة إلى بلاط الصفوية أنه ليس من الحكمة أن يبقي فرج الله مع مانع في مكان واحد.وطالب الشاه أن يغفر له ويسمح له بالمجيء إلى الأقليم.ويسهل له الطريق.قبل الشاه طلبه، وعفى عن السيد فرج الله، وحدد له راتبا سنويا.

على الرغم من كل فضائل السيد علي إلا أن ولايته لم تكن أكثر من ثمانية أشهر وفي نهاية السنة نفسه١١١٢ قام عبد الله خان، من أصفهان، باعتقاله وسجنه في حصن الحويزة ومنح حكم الولاية لفرج الله مرة أخرى[١](*).

١٩- حكم السيد عبد الله بن فرج الله بن علي ١١١٤ - ١١٢٥هـ[٢]:

عندما تم تعيين السيد فرج الله حاكما للمرة الثانية، بعد فترة طويلة، أرسل ابنه السيد عبد الله إلى أصفهان وطلب من البلاط تسليم الولاية لابنه.قبل الشاه طلبه وفي سنة ١١١٤ كتب مرسوما بولاية السيد عبد الله.ولكن لما خرج من اصفهان ذهب إلى الحويزة، وبلغ الخبر إلى فرج الله أصبح نادما على ما فعل، ولم يرض بتنحيه أمر الولاية.هذا، وإنه عندما وصل السيد عبد الله إلى الحويزة كان فرج الله غاضباً عليه. وأخيرا، أدى هذا العمل إلى الفتنة والحرب بين الأب والابن، أصيب فرج الله في هذه الحرب بجروح.

وهكذا تفرق جيشه، لكن اجتمع مرة أخرى الجيش وهاجم، فاندلعت الحرب، وهذه المرة أيضا هزم فرج الله وأصيب بجروح وعلى أثرها توفي.

---

(١) (*) كلف السيد علي بن عبد الله صاحب كتاب الرحلة المكية بالحكم ثانية بعد أن ساءت الأوضاع في الولاية واستمر يحكم حتى نهاية الحكم الصفوي واستلام نادرشاه الحكم في ظروف صعبة جداً انظر، ص١٠٠، فيها توضيح أكثر...

(٢) الرحلة المكية، ص٤٢٨، ٨٣٥.تاريخ المشعشعين، ص١٦٣.

وهكذا استقر السيد عبد الله في ولاية الأمر.لكن هذه المرة، أصبح الأقليم، ولا سيما الجزء الغربي منه الذي يسكن فيه العرب، حقلاً للفتن.باستثناء القبائل العربية التي عاشت هناك واعدت تابعة للأقليم ولم يعتادوا على التمرد والغزو. قامت قبائل أخرى من العرب الذين كانوا خاضعين للعثمانيين بغزو وقتل ونهب أراضي للأقليم وهم كانوا من قبائل الفضول والباوي والمنتفق.وأنه أي شخص من المشعشعيين الذي ينزعج من الوالي في عصره أو يحلم بأن يصبح واليا، ذهب بين أحدى العشائر وجرّهم إلى أرض الأقليم.من ناحية أخرى، كانت قبائل الأقليم نفسها تبحث دائما عن ذريعة للغزو أو تثور على الوالي ويحاصروا الحويزة ومدن أخرى. عندما نقرأ تاريخ السيد علي وهو ينقل قصص عن انتفاضات وغزوات الأعراب هناك لدرجة أننا نشعر بالسآمة والكآبة من قراءتها.بما أنه وفي القرون الأولى للإسلام، كان الأقليم واحداً من أكثر المناطق ازدهارا في الخلافة الإسلامية والآن نجده في خراب ودمار، والسبب هو الحروب والغزوات المتتالية لقرون في عصر المشعشعيين، الذين نتحدث عنهم الآن.

الأسوأ من ذلك كله، في هذا الوقت جاء ضعف الدولة الصفوية عهد الشاه سلطان حسين، وكما نعلم، كان هذا الرجل من أقل الناس كفاءة، في عصره أصبحت إيران في حالة بؤس وازدراء وأخيرا وقع الغزو الأفغاني المدمر.

نقرأ في كتاب تاريخ السيد علي وغيره من الكتب أن الجيش أرسل من كهكيلويه ولرستان لقمع عرب الأقليم، لكننا لم نجد أي نتيجة لهذه الحملات ودائما ما نرى الأعراب في غزو ونهب وصراع.

في الوقت نفسه، حكم السيد عبد الله البصرة، التي افتتحها السيد فرج الله، سقطت في أيدي العثمانيين مرة أخرى دون قتال.في كتاب السيد علي الذي أحضر رسائل من أوامر الملوك الصفويين عن نفسه ووالده، وفي مرسوم موجه للسيد علي من البلاط، يكتب: نحتفظ بالبصرة والتي أخذناها من يد مانع كالأمانة، كي نسلمها إلى

الحكومة العثمانية في الوقت المناسب.يبدو أن مدة هذه الأمانة لم تكن أكثر من بضع سنوات، وسلموا المدينة للعثمانيين مرة أخرى.

لنعد إلى كلامنا: كما قلنا، منذ سنة ١١١٢، سُجن السيد علي في الحويزة، وفي سنة ١١٢٠، ونتيجة لرسالة كتبها إلى البلاط، وتضرع فيها، أطلق سراحه، شريطه أنه لا يمكث في الأقليم ويذهب إلى مشهد.لكنه طلب الحج وفي سنة ١١٢٢ اتجه إلى مكة والمدينة.وبعد عودته من تلك الرحلة، عاش في العراق والبصرة، إلى أن وقعت أعمال شغب كثيرة في الأقليم سنة ١١٢٤ إلي سنة ١١٢٥، ووصل الأمر إلى الحرب والقتل. وكان هو متورطا في أعمال الشغب هذه، ونتيجة لذلك، اعتقل السيد عبد الله خان وسجن.وسقطت السلطة في يد السيد علي، ولكن عندما وصل هذا الخبر إلى البلاط الصفوي، أرسل عوض خان إلى عربستان وسلم تصليح هذه الأمور إليه.وعندما وصل إلى الأقليم، عين السيد عبد الله واليا مرة أخرى.ويسكن السيد علي مع السيد عبد الله في الحويزة، ولأنه متفهم لأوضاع الأقليم يوما بعد يوم، ولم يستطع السيد عبد الله مواجهتها، لم يكن عند البلاط الصفوي أي خيار سوى استبدال شخص مكانه، هذا، وإنه مرة أخرى في سنة ١١٢٧ تم إرسال مرسوم بولاية السيد علي، وأصبح السيد علي واليا على الاقليم.

ولاية السيد علي بن عبد الله الثانية للأقليم في تاريخ (٧ج٢/ ١١٢٧هـ)[١]:

هذه المرة حرض السيد عبد الله على الفتنة ويثور الأعراب ضده.وصل الأمر إلى النقطة التي كان فيها السيد علي عاجزا عن إخماد أعمال الشغب، وأرسل رسائل إلى البلاط الصفوي ويطلب فيها إرسال الجيش من أصفهان ولورستان لمساعدته، ولكن كما قلنا، هذه المرة كانت المملكة الصفوية عاجزة للغاية ودون قوة، ترسلها إلى

(١) الرحلة المكية، ص٦٣٦ - ٦٤٠.

جانب الأقليم، اندلعت الفتن في بختياري وأماكن أخرى كان البلاط الصفوي عاجزاً عن إخمادها.وفي كتاب السيد علي، نجد العديد من الرسائل التي كتبها للبلاط وطلب جيشا، ووافق البلاط بإرسال الجيش.لكن من الواضح أنه لم يف بتلك الوعود لأنه يتضح من نفس الكتاب أن الفتنة والثورات حدثت في جميع أنحاء الأقليم إلى سنة ١١٢٨.وضيقت فتنة السيد عبد الله الساحة على السيد علي لدرجة أن الحويزة نفسها كانت محاصرة من قبل الأعراب، ولأن السيد علي شعر بخيبة أمل من إرسال جيش من البلاط الصفوي، فقد مد يده إلى العثمانيين وسأل باشا بغداد للمساعدة، وفي نهاية كتابه يمكن رؤية رسائل من الملك حول إرسال قوات إلى الأقليم لمساعدة شعب الأقليم.

وبما أن كتاب السيد علي ينتهي هنا، فإن نهاية هذه المصاعب والثورات غير معروفة.هنا مرة أخرى، نجد تشتتا وتفرقا في تاريخ الأقليم، وبقدر ما بحثنا، لا تعرف نهاية قصة مشاكل السيد علي هذه وتورط العثمانيين في أعمال الأقليم.

والذي هو واضح أنه سنة ١١٣٢، يعد مؤلف تذكرة تستر السيد محمد، بن السيد عبد الله خان، والي حويزة.ويتضح من أقواله أن ظهر مرة أخرى نشاطا في أمور الحويزة بأيدي القادة الإيرانيين، وأنه استقر عبد الله خان وهو كان من سلالة واخشتوخان من قبل البلاط الصفوي مع جيش في حصن الحويزة، وكان من أنصار السيد محمد خان والي الحويزة، وبما أنه في تلك السنة وقعت في تستر فتنة، جاء عبد الله خان إلى تستر من الحويزة لبضعة أيام، وأوقف تلك الفتنة وعاد إلى الحويزة مرة أخرى.

ربما في أعمال الشغب تلك، بين السيد عبد الله خان والسيد علي خان، تطوع السيد محمد ابن السيد عبد الله لقمع الفتنة.وتسلم من الملك الصفوي مرسوم الوالي. وذهب مع الأمراء الإيرانيين إلى الحويزة ، وأخمد تلك الفتن، وجلس على عرش الوالي بنفسه.

إحتلال الأفغان لإيران:

هنا علينا أن نترك الاقليم ونتكلم عن أصفهان، عاصمة الصفويين.الآن، نمضي قدما، ونصل إلى السنة ١١٣٥ الدموية، ونواجه قصة الأفغان المفجعة.ولأن حاكم الحويزة متورط في هذه القصة، وكما كتبوا، كان نتيجة لخيانته أن سقطت عاصمة إيران بسهولة في يد الأفغان، من هنا علينا أن نكتب تلك القصة(١)(*).

(١) (*) عن الغزو الأفغاني لايران: في هذه النبذة التاريخية المتعلقة بالغزو الأفغاني للدولة الصفوية وعاصمتها أصفهان في ايران عام ١١٣٥ - ١١٤١هـ في هذا الحدث يذكرنا الكاتب بقول لأحد العقلاء: ذكرت شيئاً وغابت عنك أشياء، ويذكرنا أيضاً بأسباب سقوط بغداد بأيدي التتر وقائدهم هولاكو، عام ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م وتحميل ابن العلقمي الوزير كل المسؤولية عن هذا السقوط، وزوال الحكم العباسي والكيان العربي الإسلامي في ذلك العصر ةإلى الآن وما شهدته البلاد العربية الإسلامية من تمزق وشتات وحروب خارجية ومحلية منذ ذلك الوقت ولحد الآن.ونسوا إنّ الذين اشتركوا في التقصير في الدفاع عن بغداد عاصمة الخلافةالعباسية والعراق مركز الخلافة الإسلامية هم كل هيأة الحكم في الخلافة العباسية الأخيرة، تبدأ بالخليفة المستعصم بالله والوزير بن العلقمي وقائد القوات، وكافة القيادات العسكرية والأمنية والحاشية المحيطين لهؤلاء والعلماء والوجهاء، وحتى الرأي العام الاجتماعي المعاصر لتلك الخسارة النكراء! لأن هولاكو تقدم لاحتلال البلاد الإسلامية قبل (٣٠) سنة من سقوط بغداد فاحتل امارة خوارزم أولى الولايات الإسلامية الشرقية المجاورة - إلى بلاد (التتر والمغول في أواسط آسيا - جمهورية منغوليا حالياً)، وولاية خوارزم تشمل افغانستان وطاجيك حالياً، وقد أغرى سحر بغداد واخبارها الحضارية وترفها ونعيمها القائد المنغولي فأخذ يتقدم نحوها بالتدريج، وكانت الركبان تأتي بالأخبار إلى الخليفة وإلى الوزير ابن العلقمي، والقائد العام للجيوش وغيرهم، وكأنهم لم يسمعوا بما يحصل في الولايات الشرقية من قتل وتدمير وسلب ونهب...الخ.وكانت امكانيات الدفاع ومواجهة العدوان والغزو متوفرة! ولكن لم توجه بل لم تستعمل وقد ذكر بعض المؤرخين أن ثروة الخليفة من الذهب والمعادن الثمينة كانت تكفي لتجهيز جيش قوامه (١٠٠) ألف لمدة ثلاث سنوات لصد العدوان.ويأتي بعد ذلك مؤرخ غير دقيق وغير منصف فيعلق ما حصل بتقصر شخص واحد... وقد أُولفت حول الموضوع عدة مؤلفات..وكان ثبات المقاتلين الفرسان في معركة (عين جالوت) في فلسطين وضع حداً لتقدم قوات المغول نحو الغرب، ومن ثم تشتت قوتهم وذابت ولو بعد عدة عقود. والحالة في الدولة الصفوية لا تختلف كثيراً عن سقوط الدولة العباسية فقد كانت الدولة الصفوية مترامية الأطراف من آسيا، وأوربا وقد انهكتها الحروب الخارجية والفتن الداخلية، وتولي الحكم شاهات وسلاطين بعد عباس الأول تنقصهم التجربة والجدة والجرأة والمتابعة، فتسرب الضعف إلى معظم مؤسسات الامبراطورية وكانت الولايات غير الفارسية تطمح في التخلص من الحكم الصفوي الفارسي

وتجدر الإشارة إلى أن وثيقتنا في هذا الصدد هي كتابات سرجان ملكم ذلك السائح الأوروبي الذي عاش في إيران ستة وعشرين سنة، وكان في أصفهان في السنة نفسها ١١٣٥ورأى تلك القصة الحزينة بأم عينيه(١) وهؤلاء يروون خيانات كثيرة عن "خان الحويزة" أو "والي الحويزة" ويذكرون اسمه طوال القصة، ويبدو أن الشاه سلطان حسين وثق به كثيرا ولم يفعل شيئا سوى ما قاله، وهو أيضا لم يقصد شيئا إلا الإطاحة بالشاه.لكنهم لم يكتبوا اسم الوالي ليعرف أن المقصود هو السيد محمد خان نفسه أو شخص آخر، ولكن لأنه تذكرة تستر سنة ١١٣٢، أطلق على السيد محمد خان والي الحويزة، ينبغي اعتبار ذلك أنه كان واليا سنتي ١١٣٤ و١١٣٥.ولم تحدث

إلى جانب ذلك أتى أخر ملوك هذه الدولة هو سلطان حسين كان ضعيفاً في ادارته ومتابعاته ومنصرف إلى ملذاته ونزواته..هذه الأمور وغيرها شجعت عدداً من الطامعين الأفغان على غزو اصفهان، ووضع نهاية للحكم الصفوي الذي دام حوالي قرن ونصف والحق اضراراً وحروباً في بلاد الافغان...أما دوروالي الحويزة في سقوط الامبراطورية السيد محمد بن عبد الله بن فرج الله المشعشعي فلا يفكر فيه مؤرخ منصف، لأن حكومة ولاية الحويوزة أو عربستان بعد عهد السيد مبارك كانت ضعيفة، بل العوبة بيد البلاط الصفوي وحاشيته، وكانت هذه الولاية في أخر عهد الدولة الصفوية تتنازعها الفتن والاضطرابات ودور أميرها والحالة هذه لا يرقي إلى مهمة كهذه في سقوط الدولة الصفوية، وقد رتبت هذه التهمة في بعض كتابات السائح الأوروبي المدعو (سرجون ملكهم) الذي أقام في ايران مدة (٢٦) سنة وذكر أن= =والي الحويزة في ذلك التاريخ الذي حصل فيه الغزو الأفغاني لاصفهان هو (محمد خان من قبيلة (واخشتوخان) التسترية فحصل لبس بين الاسمين محمد خان بن عبد الله المشعشعي ومحمد خان من قبيلة (واخشتوخان)..ويبدو لي أن الكاتب (أحمد كسروي) متحامل على اقليم الاحواز أو عربستان وعلى الأسر العربية من قبيل المشعشعين والكعبيين وبعض المشايخ الأعلام! بدوافع لا تخفى على المطلع على تاريخ الحكومات الايرانية المتعاقبة وكان الكاتب ينحو نحو الخط الرسمي في الدولة الايرانية أيام الشاه البهلوي...

(١) كتب كتابا باللغة اللاتينية ونشره في أوروبا، ترجمه أحد أتراك اسطنبول إلى اللغة التركية وأطلق عليه اسم «عبرت نامه» ونشره.ثم ترجمه عبد الرزاق دنبلي إلى الفارسية، ونسخة منه موجودة في مكتبة مدرسة سبهسالار.وقد ذكر صنيع الدولة نفس الكتاب أيضا في المجلد الثاني من كتاب منتظم ناصري.

تلك الخيانات في قصة الأفغاني إلا منه[1].

نعم، كانت الخيانة الأولى لوالي الحويزة أنه في سنة ١١٣٤، عندما كان الأفغان لا يحتلون في كرمان، استدعاه الشاه من الحويزة وأرسله إلى كرمان مع خمسة آلاف من الفرسان، وفي الطريق، علم بنية الأفغان للذهاب إلى أصفهان ولذلك عاد مع جيشه.

بعد ذلك، عندما جمع الملك شيوخ البلاط في اجتماع، وشاورهم في طرد الأفغان.كان وزير الشاه محمد قلي خان على رأي عدم مواجهة إيران الأفغان في الحرب مع ذلك الجيش القليل والضعيف.ويقول إنه من الأفضل البقاء في وسط المدينة ونهاجم خلف الجدار.لم يحبذ والي الحويزة هذا الرأي، والذي صدر من حزم وشفقة، وأجبر الشاه بشدة وثرثرة على تشكيل معسكر قوامه خمسين ألفاً جندي، وتحت قيادته وأمر محمد قلي خان، وأرساله إلي كلناباد والتي تبعد أربعة أميال من أصفهان ليستقبلوا الأفغان.يكتب السائح أنه يقول خان الحويزة: "سأمسك بمحمود حيا وسأجره إلى الشاه، إذا أراد الفرار إلى قندهار، فلن يتمكن من ذلك.و إذا أراد الفرار إلى روما، فسوف يلاحقه فرساننا العرب ويقبضون عليه".ومع كل هذه الشدة، عندما اندلعت الحرب وسفك الدماء، نهب خان الحويزة وفرسانه من العرب قبل كل شيء المعسكر الأفغاني الذي كان قد انسحب في بداية الحرب، ثم هربوا لأنهم وجدوا الجيش الإيراني مختلفا.

لأنه بعد هزيمة الشاه هذه، شكل الشاه لجنة مرة أخرى وطلب من شيوخ البلاط أن يعبروا عن رأيهم، عبر محمد قلي خان عن رأيه وقال: بأنه يجب أن يغادر الشاه أصفهان ويجمع جيشا في أجزاء أخرى من إيران.وكما في ذلك الحين، منع والي عربستان الشاه تصلفا من قبول ذلك الرأي والذي كان في ذلك الوقت لصالح المملكة وقال:

---

(١) ورد في بعض الكتب اسم «السيد عبد الله» ولكن يبدو أنه غير صحيح.

"إن ترك ملك أصفهان ما هو إلا هروب من العدو".

بعد ذلك، عندما وصل الأفغان إلى جانب أصفهان، وحاصروا المدينة.فالسيد محمد خان، الذي أوكل إليه الشاه قيادة الجيش بالكامل، لم يمتنع عن أي تمرد وتسلل، وكلما رأى تقدما طفيفا في أمور الإيرانيين، كان يحول دون ذلك التقدم بالمكر والخداع.والغريب أن أمر تمرده وخيانته كان على أفواه الناس وأدرك الجميع، ومع كل هذا، يعتمد الملك الساذج أكثر فأكثر عليه يوما بعد يوم.وكأن الشاه كان راعيا وخان الحويزة كان وسيطا، وكلاهما كانا يحاولان بيع الشعب الإيراني البائس إلى الجزارين الأفغان المتعطشين للدماء.

كانت الخيانة الكبرى الأخرى لوالي الحويزة هي أنه بسبب استمرار حصار أصفهان ولم يتمكن الأفغان من تحقيقه بسهولة، فقد خافوا وأرادو السلام بوساطة أرمن جلفا.وبعث الوالي لهم رسالة مفادها: أنني سني كما أنتم، وسيتحقق الهدف قريبا وستفتح أصفهان، ولا تخافوا ولا تحزنوا.ولما صعب الحصول على الطعام في المدينة، وسد طريق الأمل أمام الناس من جميع الجهات، أرسل الشاه الشقي والي الحويزة لقرار السلام مع الأفغان.يكتب السائح الأوروبي: أنه كان على صداقة مع الأفغان، ولم يبذل جهدا للسلام قط.

كلمة قصيرة: لم يتردد والي الحويزة في فعل ما هو تخلي عن الواجب، وكما نعلم أنه سقطت عاصمة إيران في يد محمود الأفغان وأتباعه المتعطشين للدماء، ووقع ما لا داعي للكتابة عنه هاهنا.لكن الوالي لم يستفد من كل فسوق، ولم يبق له إلا العار والسمعة السيئة.ويكتب السائح الأوروبي: أن محمود جاء إلى أصفهان بعد أن أخذ العرش الملكي من السلطان حسين، رغم أن والي الحويزة يدعي أنه صديق الأفغان، ولكن محمود ألقى القبض عليه وسجنه، وعين ابن عمه[1] الذي التحق بالأفغان وكان

(١) إذا كان الخان الخائن هو السيد محمد خان نفسه، نفترض أن هذا هو ابن عمه، السيد علي المؤرخ، الذي قلنا أنه كان أصبح واليا مرتين، وكان بلا شك منافسا للسيد محمد خان، حيث سيأتي اسمه

في معسكرهم واليا في الأحواز.

الشاه المزيف صفي ميرزا:

سيطر الأفغان على كرمان وفارس والعراق لست سنوات وعدة أشهر.واستولى العثمانيون على جزء كبير من المدن الغربية.وفي منتصف سنة ١١٤٠، أبرم معاهدة مع أشرف الأفغان التي قسمت إيران إلى قسمين.وفقا لهذه المعاهدة، سقط الأقليم في يد العثمانيين، لكن لم يأتِ أي منهم إلى الأقليم، فهذه الأرض كانت آمنة من الأفغان والعثمانيين.

خلال هذه السنوات لم ترد معلومات عن أحداث الحويزة ومحيطها وأفعال الوالي الجديد الذي أرسله محمود الأفغان.لكن وصف مؤلف التذكرة أحداث تستر والجزء الشرقي من الأقليم والتي عاشها هو نفسه في ذلك الوقت.

في سنة ١١٣٥، عندما سقطت أصفهان في أيدي الأفغان، اعتلى الشاه طهماسب الثاني العرش في قزوين.ثم اختير بيجن خان من عائلة فتح علي خان، مؤسس جسر تستر، من قبل الشاه طهماسب، حاكم لكهكيلويه، وابنه أبو الفتح خان، حاكم لتستر.

وحتى سنة ١١٣٧، ظهر شخص مجهول في جبل بختياري ويسمى نفسه ابن شاه سلطان حسين، ويقول: إنه فر من أصفهان من قتال أفغان.

وتجدر الإشارة إلى أن وقت الشغب هذا في إيران هو أحد الفترات التي تم فيها العثور على عدد من الأمراء المزيفين في هذه الزاوية وغيرها، وواحد منهم هو الشخص الذي نروي قصته.

لاحقا.يكتب سرجان ملكم بدلا من ابن عم، الأخ الأصغر.

يكتب ميرزا مهدي خان: أنه كان من أهل كرايي[1] لكنه ادعى أنه أمير.يقول: كان اسمي بالأول أبا المعصوم ميرزا ثم ناديت نفسي صفي ميرزا.واضاف «ادعى انه شاهده كان امرأة من شهود اصفهان، وبهذه الدعوى عينها في احدى الكتل في اصفهان».

أحاط البختياريون، بسبب سذاجتهم أو بسبب اللباقة والمهارة، بالأمير الكاذب وابتهجوا.وهو قد هيأ عرش الأمير، ومن ثم الملك والحكومة، وأرسل عددا من الخدام ليأتوا بأخته بالتبني كي يأتوا بها إليه في المجد والجاه.ودعا في المساجد والمنابر بأنه شاه طهماسب الثاني.وأرسل الحكام إلى المدن وبين القبائل.

دعا حاكم بختياري، الذي أصبح خادما لصفي ميرزا، أبو الفتح خان، حاكم تستر، ومشاهير تلك المدينة إلى خليل آباد، التي كانت مقر الإقامة لصفي ميرزا.وأطاعوا وهرعوا إليه، وأظهروا خضوعهم وطاعتهم للأمير الكاذب.ولكن في هذه الأثناء،، صدر أمر من الشاه طهماسب، الذي كان في أذربيجان، مما أدى إلى قلب دعوى صفي ميرزا.ألقى البختياريون القبض عليه وسجنوه.عاد أبو الفتح خان وأهالي تستر أيضا إلى مدينتهم.لكن لم يمض وقت طويل حتى أطلق البختياريون سراح الأمير الكاذب مرة أخرى، وهيأوا له جهاز الحكم.واتجه مع مجموعة من أتباعه إلى تستر. وكان أبوالفتح خان مضطرا إلى أن يستقبله مع جيشه وشيوخ تستر.أتى به إلى المدينة في جلال وعظمة، واستقره في حصن السلاسل.وبعد أيام قليلة أتيحت له الفرصة وأمسك به ووضعه في السجن وتبدد حكمه.

لكن أهالي تستر ودزفول كانوا من المعجبين بصفي ميرزا وكانوا منزعجين من عمل أبي الفضل خان هذا.ثم ثاروا، وأستدعوا شيخ فارس شيخ آل الكثير إلى المدينة، وسلم الأمور إليه.

---

(١) إنه مكان ما بالقرب من تستر.

آل الكثير من العرب الذين جاءوا إلى الأقليم من العراق في زمن المشعشعيين. أولا، عاشوا هناك في الجزء الغربي وشاركوا في الفتن التي تنشأ في ذلك الجزء بين الحكام المشعشعيين وأعدائهم.كما نرى اسمهم في معظم تلك الفتن.ويبدو أنهم وصلوا في نهاية العهد الصفوي إلى الجزء الشرقي من الأقليم واستقروا بين دزفول وتستر والأحواز [1].ومن بعد هذا، كلما تقع فتنة في تستر ودزفول نجد اسم آل الكثير فيها دائما.وحتى زمن الشيخ خزعل والذي أطاح بعشيرتهم وعشائر أخرى في الأقليم، لقد شاركوا دائما في أعمال تستر ودزفول، ولاسيما في أعمال تستر التي من الآن فصاعدا هي عش الفتنة والفوضى، وكانت يد شيوخ آل كثير دائما واحدة مع ثوار تلك المدينة.

لعل قصة صفي ميرزا هذه هي أول فتنة واضطراب علمت أهل تستر درس الفتنة. وفقا لمؤلف التذكرة، حينما دخل الشيخ فارس المدينة، أصبحت الفتنة أكثر صعوبة حتى أُجبر أبو الفتح خان على الإطاحة بصفي ميرزا.وعندما خرج من الحصن، أصبح المتمردون أكثر شجاعة وزادوا من تمردهم وهرب أبو الفتح خان من الحصن، وسلم أمر المدينة للمتمردين.

وهكذا سيطر صفي ميرزا مرة أخرى على مقاليد الحكم، ولم يمض وقت طويل إلى أن أتى إليه شيوخ كهكيلويه في تستر وأظهروا له التواضع والطاعة.يقول كاتب التذكرة: «كثر ما، كانت تنشأ منه الفتن وقتل أناس أبرياء وسيطر على المدينة الأوغاد والأوباش».

بعد ثمانية أشهر عندما كان صفي ميرزا في تستر، ذهب إلى منطقة كهكيلويه، حيث كان إسماعيل ميرزا الأمير المزيف هناك، واستولى على الحكم بين الألوار، وعاش أميرا متنعما ومترفا، وعاش لسنتين أخرى على هذا النحو حتى قُتل سنة ١١٤٠

(١) تذكر مصادر أخرى أن آل كثير عشيرة من قبيلة الفضول الكبرى استقروا في تستر وأطرافها منذ مطلع القرن العاشر الهجري.

في دهدشت بأمر من طهماسب قلي خان (نادر شاه) الذي أرسل أمر قتله من مشهد، ولم يبق هناك أثر منه.

كان في زمن صفي ميرزا، يحكم تستر شيخ فارس من عائلة آل الكثير، وعين شخصا يدعى اسفنديار بيك، وسلم إليه مقاليد الأمر بالنيابة عنه.يكتب مؤلف التذكرة: كان إسفنديار بيك رجلا ذكيا وخيرا وعفيفا ويعامل الناس معاملة حسنة. وحتى سنة ١١٤٢، عندما جاء نادر شاه إلى الأقليم، كان إسفنديار بك مسؤولا عن الحكومة نيابة عن الشيخ فارس.

نادرشاه في الأقليم:

كي لا نجدد الضغائن القديمة ولا نرش الملح على جروح القلب، لم نذكر في أي مكان قصة الهيمنة الأفغانية المفجعة.نحن لا نقول إن كل اللوم كان على الأفغان ولن نغض الطرف أبدا عن فسوق ومظالم الشاه إسماعيل في بداية المملكة الصفوية وعن أعمال حكام إيران البشعة في عهد الشاه سلطان حسين الذي كان سبباً لتلك الضغائن.لكننا لا ننسى أن الأفغان، حينما سيطروا على أصفهان، وكذلك العثمانيون، الذين انتهزوا الفرصة، وتغلبوا على أذربيجان والمقاطعات الغربية لإيران، كلا الطرفين بظلمهم سودوا وجوه الإسلام والانسانية.وبغض النظر عن قصة المغول المفجعة، لا يمكن العثور على مثل هذا الوقت المظلم في تاريخ إيران بأكمله.ومن هنا كان ظهور نادر شاه، الذي حرر الإيرانيين من البؤس والهوان، كان من أعظم الأحداث التاريخية.

بعد الهزائم التي أعطاها نادر شاه للأفغان وطردهم من أصفهان وغزاهم حتى فارس، اتجه نحو الاقليم عبر فارس وكهكيلويه في ربيع سنة ١١٤٢.وفي ذلك الوقت كانت شهرة شجاعته وانتصاراته قد وصلت إلى الاقليم، فوقعت رعشة في قلوب جميع المتمردين والمشاغبين.وعندما وصل إلى رامهرمز، سارع والي الحويزة، الذي

يبدو أنه هو نفسه، مؤرخنا السيد علي[1]، لاستقباله مع شيوخ وقادة عرب آخرين، وأظهروا جميعا الطاعة والخضوع.

بعد أيام قليلة من مكوث نادر في رامهرمز، ذهب إلى دورق[2] ومنها ذهب إلى تستر.وهناك جاءه ناصر بن حميدان وهو من الزعماء العرب ويسكن الأحواز مع بعض المشايخ الآخرين، ولأنهم عُرفوا بغزوهم ونهبهم، اعتقلهم نادر وأرسلهم إلى خراسان.

إغلاق سد الميزان بأمر من نادر:

كتبنا قصة سد ميزان، والذي حفره فتح علي خان أثناء تأسيس الجسر، وبعد ذلك لم يكن لديه وقت لإغلاقه، ومن هنا تساقط الماء من مياناب، بعد انكسار السد المقام على النهر، وتسبب هذه الأعمال في خراب مدينة تستر وحقولها.

منذ ذلك الحين، ظل السد منكسرا ولم يقم أحد بإغلاقه.علم نادر بالوضع وأمر إسفنديار بيك، الذي كان لا يزال مسؤولا عن أعمال تستر، بتقدير تكلفة بنائه، ويستلم الأموال لبنائه من دائرة ضرائب كاشان، ويهتم بأمر إعماره.ولما فرغ من هذه الأمور، أرسل والي الحويزة الذي أتى به من رامهرمز إلى الحويزة، واتجه نفسه نحو دزفول مع الجيش.ومن هناك، عبر خرم آباد، هرع إلى نهاوند وهمذان لمحاربة العثمانيين.

وأما سد ميزان، يكتب في التذكرة: قدرت تكاليف بنائه بألف وأربعمائة وسبعين تومان[3] وبعد أن غادر نادر شاه تستر، أرسل إسفنديار بيك شخصا إلى كاشان وتلقى ذلك المبلغ.وفي السنة التالي، بدأ في العمل، وبالتالي تدفقت المياه في جدول داريان وصبت في مياناب.وكانت وفرة الزراعة في تلك السنة لدرجة أن الناس لم

---

(١) لا يكتب ميرزا مهدي خان اسمه هنا، ولكن في قصة رحلة نادر الثانية إلى إقليم الأحواز سنة ١١٤٥، يذكره باسم السيد علي خان.

(٢) في نسخة جهان شاه المطبوعة في تبريز، كتب «ديزفول» لكن ذلك بسبب هفوة المستنسخين.

(٣) كما ذكرنا في مكان آخر، كان تومان في العصر الصفوي ما يقرب من عشرة أضعاف تومان اليوم.

يكونوا عارفين كيف يشكرون.لكن في هذا الوقت، توفي إسفنديار بيك، وفي نفس السنة حدث فيضان رهيب وأحدث خرقا في السد مرة أخرى.ولأن أحدا لم يكن قادرا على بنائه ولم يجرؤ أحد على إبلاغ نادر، بقي الانكسار على حاله، وتسبب في خراب تستر وتدميرها.

هذه المرة استغرق انكسار سد ميزان قرابة ثمانين سنة، إلى أن بناه محمد علي ميرزا في عهد فتح علي شاه، كما سنذكره لاحقا.

ثورة محمد خان البلوش وتواطؤ أهل الأقليم معه:

عيّن نادر قبل مغادرته الأقليم، حاكما لكل مدينة هناك، وعين أبا الفتح خان ليحكم تستر.

حتى سنة ١١٤٤، كان أبو الفتح خان حاكم تستر، في هذه السنة، عندما أطاح نادر شاه بطهماسب، واتجه إلى العراق لمحاربة العثمانيين وفتح بغداد.أرسل عباس قلي بيك ليحكم تستر بدلا من أبي الفتح خان.وذلك، حتى بعد أشهر قليلة ظهرت فتنة محمد خان البلوش، ووصلت مداها إلى تستر.

كان محمد خان هذا من ملازمي محمود الأفغان، وجاء معه من قندهار.وبما أنه بعد محمود، اعتلى أشرف الملك، فقد أرسل محمد خان مبعوثا خاصا إلى السلطان العثماني.لكن سنة ١١٤٢، عندما عاد المبعوث، غادر الأفغان، ولم يبق أي منهم في إيران.وانتهز محمد خان الفرصة، واتجه نحو دزفول حاملا رسالة من السلطان العثماني والعروض التي أحضرها من عنده لأشرف، وقابل نادرا وأخبره عن الوضع، وأظهر الخضوع والطاعة.تفاجأ نادر بهذا الأمر وكافأه مكافأة حسنة، وسلمه أمر كهكيلويه.

ثم في سنة ١١٤٤، بعد أن هزم نادر من العثمانيين بالقرب من كركوك، عاد إلى همذان.وأرسل محمد خان الذي كان معه إلى كهكيلويه، أن يقوم عوض بتجهيز

وتقوية جيشه، وسينضم إلى المعسكر في غضون شهرين.عبر محمد خان من تستر عند.ذهابه إلى كهكيلويه وعودته، وكان أبوالفتح خان معه، وفي عودته هذه، فكر في التمرد والعصيان في لرستان.عاد إلى الأقليم مع أبي الفتح خان والجيش الذي رافقهم وخدع الطليعة بالتقدم، كي يسعى في كل مكان إلى نشر إشاعة هزيمة نادر الأخرى من العثمانيين، وبأن جيوشه تفرق بالكامل واختفى هو نفسه، وحرض الناس على العصيان والثورة.

يقول كاتب التذكرة: تلك الطليعة كانت من دزفول وعندما وصل إليها قال الحقيقة. وثار الناس على محمد خان وأغلقوا الأبواب أمامه وعلى جيشه.واقتربوا من تستر، وبما أن أهالي تستر آمنوا بخبر هزيمة نادر واختفائهم، ولم يكونوا على دراية بحقيقة الأمر. هرعوا لتحية محمد خان وأبي الفتح خان وأخذوهما إلى المدينة.

أُجبر عباس قلي بيك على مغادرة تستر والذهاب إلى دزفول.في اليوم التالي، شكل محمد خان وأبو الفتح خان جمعية، وتبادلوا أفكارهم مع شيوخ تستر والشيخ فارس وقادة عرب آخرين.وشاركهم الرأي مثيري الفتنة في تستر والشيخ فارس وغيرهم من القادة العرب الذين اعتادوا لسنوات على الثورة والفتنة، ودائما يصطادون في الماء العكر.كما قام عرب الحويزة بمساعدتهم.عزل السيد علي خان، والي الحويزة، الذي عينه نادر شاه وكان من مؤيديه.

كتب ميرزا مهدي خان أن قبيلتي كعب وبني تميم ثارتا أيضا في ذلك الوقت، ويغزوان في مناطق دورق[1].وهذه هي المرة الأولى التي يظهر فيها اسم قبيلة كعب في تاريخ إيران[2](*).وكما سنقول، في ذلك الوقت، كانت تلك القبيلة تعيش في منطقة

(١) في نسخة جهان شاه المطبوعة في تبريز، كتب «نواحي ديزفول» ولكن هذا خطأ، وهذه هي المرة الثانية التي يتم فيها كتابة «دزفول» في هذا الكتاب بدلا من دورق.

(٢) (*) ولكنها وقفت مع والي البصرة علي أفراسياب في فشل الحصار الذي فرضه الايرانيون على البصرة عام ١٠٣٧هـ من حكم عباس الأول وقياده إمام قلي خان واستمر تحالف كعب مع آل افراسياب حتى

قبان جنوب الأقليم.

كان محمد خان في تستر لمدة يومين أو ثلاثة أيام، وجعل أبا الفتح خان حاكما لتلك المدينة والشيخ فارس حاكما على كهكيلويه، والسيد رضا شقيق السيد علي خان والي الحويزة.واتجه نفسه مع الجيش نحو فارس، وهناك حارب حاكم فارس، وكسر جيشه، وفتح شيراز بالحصار.أذعن أهل فارس وعرب تلك الموانئ بموالاته.

وهكذا ازداد قوة محمد خان.يكتب ميرزا مهدي خان أنه: «بلغ عدد قواته عشرة آلاف».ويقول «بارون ديبود»، الذي سنذكر اسمه بعد ذلك، أن محمد خان اختلق من موالاة الصفويين ذريعة لنفسه، وقال أنه ينبغي أن يتولى شاه طهماسب العرش مرة أخرى[1].

مجيء نادر شاه إلى الأحواز للمرة الثانية:

وصلت أنباء تمرد محمد خان وملازميه إلى نادر شاه عندما إتجه الأخير إلى العراق مع الجيش مرة أخرى، وبنى معسكرا بجانب مياه ديالى.وكان قد انتصر في الحرب ضد العثمانيين.وعندما سمع هذا الخبر، انزعج كثيرا، وكان هذا بعيدا عن المروءة أنه في مثل هذا الوقت الذي تم فيه تحرير إيران من الأعداء على يد رجل شجاع وغيور، يثور بعض الناس.إذا كان شخص غير نادر وهو يتعرض لمثل هزيمته على يد العثمانيين قرب كركوك، فسيصاب بخيبة أمل ويغادر الميدان.ولكن ما استسلم نادر قط، وقام بتجهيز الجيش مرة أخرى.وهذه الحروب التي كان

نهاية حكمهم عام ١٠٧٨هـ ثم أخذت القبيلة تفرض وجودها في جنوب وجنوب غرب إقليم الأحواز لتكون امارة كعب من الفلاحية والمحمرة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ليحتلها بعد ذلك رضا شاه بيهلوي عام ١٩٢٥ وينهي الوجود السياسي والحكم العربي لأقليم الأحواز أو عربستان بالقوة.

(١) جهان كشا لنادري، نُشر في تبريز، صص ٧٢ و ٧٦ و ٧٧، وتذكرة تستر، مطبوع في الهند، ص ٩٠ - ٩٣، وكتاب رحلة البارون دبود، الجزء الأول، ص ٢٣٩.

يخوضها مع العثمانيين كان مصير الجزء الغربي من إيران مرهونا بنتيجة تلك الحروب.في مثل هذا الوقت، كانت ثورة الإيرانيين ضده أبشع شيء، خاصة وأن هذه الثورة والتمرد تم بمساعدة بلوشي أجنبي سيء الأصل والطبع.ومهما، كان الخطأ الأول وقع من نادر الذي انخدع من تملق البلوش غير المعروف عديم الخبرة، وجعله حاكما للإيرانيين، ومع أنه، وفقا لقول ميرزا مهدي خان، وأنه صدر منه الخبث والخيانة في معركة إيروان، أبقاه في الحكم.ومع ذلك، بعد أن ظهر عصيانه، لا ينبغي أن يكون الناس شركاء له.

نعم، محمد خان وشركاؤه كانوا متمتعين لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر.حتى فرق نادر شاه الجيوش التركية.وقتل طوبال عثمان باشا الذي كان قائدا (سبهسالار) لتلك الجيوش.ولم يكن حصار بغداد قد اكتمل بعد، عندما أرسل نادر محمد حسين خان قاجار إلى قيادة الحويزة، كي يعاقب الأعراب المتمردين، ويبقى السيد علي خان في منصب الوالي.ويرشح حكاما لكل من كهكيلويه وفارس.ورافقه اثنا عشر الف جندي.كما أرسل أمرا إلى طهماسب قلي خان، أحد القادة العظماء، أن يذهب مع الجيش إلى بلاد فارس من أصفهان، ويجد بمساعدة حكام كهكيلويه وفارس، حلا لأمر محمد خان.

بعد فترة طويلة، في الخامس عشر من رجب (١١٤٥)، انطلق نادر نفسه إلى الأقليم مع جيش من خارج بغداد.وفي أرض الفيلية وفي قلعة بيات أرسل جيشا بقيادة النجف سلطان إلى تستر.واتجه نفسه مع بقية الجيش نحو الحويزة.وهناك، بحسب ميرزا مهدي خان: «كسر شوكة محمد حسين خان، ويهاجم في الحصن الأعراب غير المطيعين» أرسل آل كثير والأعراب المثيرين للفتنة لقمع الشيخ فارس، ومكث نفسه في الحويزة لمدة تسعة أيام، حتى خرج من هناك وهو يقصد الذهاب إلى تستر.

قام أبو الفتح خان وأهالي تستر بتحصين برج المدينة وجداره، وكانوا يستعدون بحماسة للحرب والمقاومة.ولهذا السبب لم يجدوا النجف سلطان في المدينة.

وبنى معسكرا في جلكان وحواليها بالقرب من المدينة، حتى وصل إسلام بيك والذي أرسله نادر لهداية الناس وارشادهم، إلى تستر.وأخضع بالرسالة والنصيحة، أبا الفتح خان وأهالي تستر إلى الطاعة.وأرسل شخصاً ما ودعا النجف سلطان إلى المدينة.في غضون ذلك، وصل نادر أيضا من الحويزة، ودخل في تستر ليلا.قام في اليوم التالي مع المحقق والمفتش، وأدرك الموقع.وفصل أولئك الذين لم تكن لهم يد في الفتنة، وأرسل الشرطة إلى بيوتهم، ثم أمر القوات بنهب البيوت ولكن لا يسفكوا دما.

يقول كاتب التذكرة: «في وقت الطوفان اندلعت كارثة لم يصلها طوفان نوح، وافتضح النساء المخدرات والمحجبات.وكانت حرائر الأبكار يتاجر بهن في الشوارع والأسواق مثل الأسرى اليهود والمسيحيين، وهدير هذه الكارثة طوت سمعة فتنة جنكيز خان للنسيان.وكان هذا الحدث المخزي في اليوم الرابع من شهر شعبان.

يتضح من هذه العبارة أن الغضب طغى على نادر وعصب عينيه، مما رضي بسلسلة من الفسوق عن العائلات الإسلامية.وهذا واحد من أعماله المنكرة.

والعجيب أنه منع القتل، وسمح بهذا الفسوق الذي هو أسوأ من القتل.

نعم، حكم نادر النجف سلطان في تستر ليومين آخرين.واتجه نفسه نحو فارس، وأخذ معه أبا الفتح خان وعدد من قادة المتمردين الآخرين في تستر.ولما بلغ رامهرمز قتل أبا الفتح خان مع خواجه حسين.وأفرج عن البعض وسجن بعضا آخر. وعندما وصل إلى أراضي فارس، انضمت جيوش طهماسب قلي خان وحكام فارس وكهكيلويه.كما غادر محمد خان البلوش شيراز من أجلهم وقصد إليهم، وكان قد بنى معسكرا في سد شولستان[1]، وعندما بدأت الحرب، لم يستطع محمد خان الوقوف والهرب وقتل العديد من جنوده.من هناك، فر نادر إلى شيراز، وطلب أفراد محمد خان الأمان وسلموا المدينة[2].وفي الأيام نفسها وصلت رسالة من محمد حسين خان

(١) يشير البارون دبود إلى تل على بعد فرسخ من فهليان ويقول: إن خندق محمد خان كان هناك.

(٢) كان محمد خان نفسه قد فر إلى المناطق الاستوائية من فارس.ولم يمكث هناك أيضا، وذهب إلى

والي الحويزة والتي طلب فيها متمردو الكعبي من شيخ فارس من آل الكثير الأمان[1] حيث سنورد قصة الكعبيين هذه في مكانها.

الإطاحة بولاة المشعشعيين من قبل نادر شاه:

كما قلنا، في نهاية الصفويين، يتمزق وعينا عن المشعشعيين.لأنه، كما قلنا، بعد ١١٢٨، كان السيد علي خان المؤرخ واليا، وازداد أمر ولايته صعوبة.ليس لدينا معلومات أخرى عنه وعن كيفية أمره في ذلك الجزء من الأقليم.إلا أنه في سنة ١١٣٢ نجد السيد علي خان، ابن السيد عبد الله خان، واليا.ونقول ظنا أنه نجد ابن السيد عبد الله خان نفسه واليا، وأيضا نقول عن ظن أن ابن السيد عبد الله خان نفسه كان عدوا ومنافسا للسيد علي.ثم نجد في قصة الأفغان اسم «خان الحويزة»، ونزعم أن المقصود منه السيد محمد خان هذا.بعد ذلك، في قصة مجيء نادر شاه إلى الأحواز وعصيان محمد خان البلوش، نجد اسم السيد علي خان.ونرى أن المقصود منه هو السيد محمد خان المؤرخ.بعد ذلك، في قصة مجيء نادر شاه إلى الإقليم وعصيان محمد خان البلوش، نجد اسم السيد علي خان.ونعتقد أن السيد علي خان كان هو المؤرخ نفسه[2](*).

جزيرة قيس.ألقى شيخ تلك الجزيرة القبض عليه وأرسله إلى شيراز عند طهماسب، قلي خان، وأرسله هو أيضا إلى أصفهان إلى نادر، وفقأ نادر عينيه ومات بعد ثلاثة أيام.

(١) جهان كشا وتذكرة تستر.

(٢) (*) تساءل الكاتب عن مصير السيد علي بن عبد الله المؤرخ تساءل مشروع بعدما عرفنا أن معظم الأخبار والمعلومات عن الأسرة المشعشعية التي يتحدث عنها الكاتب اخذها من كتاب السيد علي الموسوم (الرحلة المكية) وفجأة تنتهي صفحات الكتاب بأحداث عام ١٠٢٨هـ وسط خضم أحداث سقوط الدولة الصفوية واشتداد الصراعات داخل الاقليم وتختفي اخبار المؤرخ والوالي السيد علي بن عبد الله الذي كان مصدر رئيس لمعلومات أحمد كسروي عن دولة المشعشعين وغيرهم لذلك نحس أن كسروي يفتش عن بصيص خبر عن مصير المؤرخ والوالي السيد علي الذي انتهت أخباره بنهاية صفحات كتابه (الرحلة المكية) يفتش عن أخباره بمصادر أخرى حتى حصل أخيراً على نتف يسيرة

على أي حال، فإنه تنتهي قصة تقسيم الاقليم إلى جزئين وحكم المشعشعيين في الجزء الغربي المسمى بعربستان في عهد نادر.وكان نادر واعيا بأمر المشعشعيين في تلك الزاوية في الحدود.ولاسيما بعد المخالفات التي حدثت من قبل المشعشعيين على التوالي، وكانت طريقة تعامل هذه العشيرة مع الحكومة الإيرانية من البداية إلى النهاية هي أنهم كلما وجدوا القوة، أصبحوا هم أنفسهم مصدر قلق للحكومة، وكلما أصبحوا عاجزين، تصبح حملة وهجوم العشائر من حولهم عليهم مصدر إزعاج للحكومة.

كانت الإطاحة بهذه العائلة مهمة بالنسبة لنادر، خاصة مع القوة والقدرة اللتين وجدهما في عهده، ورفع موقع إيران إلى أعلى درجة بعد تلك الفوضى.في حين أنه كان يرسل القوات إلى الهند، فلا يعني شيئا أن يخاف من سطوة عشيرة المشعشعيين، ويستقيم أمرهم.

نعم، يبدو أنه في سنة ١١٥٠ أو نحو ذلك، جعل نادر الحويزة، التي كانت من كبريات مدن الاقليم في ذلك الوقت، بل أكبر مدينة هناك، مكانا للحكومة في الاقليم بأكمله وطرد المشعشعيين من الحكم هناك، وعين بيكلر بيكي من عشيرته حاكما هناك.ومناطق تستر ودزفول ورامهرمز التي أصبحت جزءا منفصلا ومكان قول بيكي من كهكيلويه منذ عهد الشاه إسماعيل ومنذ بداية تأسيس ولاية الأحواز، جعل في عهده الحويزة مكانا لقول بيكي[1].

من أخباره بعد دخول نادر شاه إلى اقليم الأحواز وإقليم فارس...

(١) في العصر الصفوي، كان يُطلق على الحكام الأعلى منزلة، بيكر بيكي، وعلى حكام تحت أمرهم، قول بيكي.

وأما عائلة المشعشع، يبدو أنه توفي السيد علي خان في هذا العهد[١](*)، ونجد اسم السيد فرج الله خان منهم، وأن نادر شاه جعله حاكماً لمقاطعة.ولا يُعرف ما إذا كان ابن السيد علي خان أو ابن شخص آخر من تلك العائلة.

كان عمل نادر هذا، مثل أعماله الأخرى، مفيدا جدا.لولا فسوقه وظلمه الذي وقع في نهاية حياته، ولو لم يقتل، لكان قد أزال أساس ثورة الأعراب والآخرين من تلك الأرض في وقت قصير مع الطريقة التي انتهجها في الاقليم، بحيث يعيش أهل الإقليم في سلام منذ سنة ١١٤٥، بعد أن عاقب متمردي تستر والأعراب.في هذا الوقت أصبحت «قبان»، والتي كانت مقرَّ الكعبيين، جزءا من إيران.قبل الكعبيون طاعته، وبما أن خواجه خان، بيكلر بيكي، من الحويزة كان على وشك احتلال البصرة سنة ١١٦٥، كان الشيخ سليمان شيخ الكعبيين معه، وفتح «كوقردلان» من مياه العراق تحت اسم نادر شاه[٢].

لكن للأسف أنهى نادر السنوات الأخيرة من حياته بسلسلة من الأعمال المهينة والفسوق.ووصلت قسوته و إراقة دمائه إلى درجة أن الناس يدعون عليه ويريدون موته. وربما كان نتيجة لهذه الصلوات أنه قتل سنة ١١٦٠ في قوجان.

في نفس السنة قبل مقتل نادر، اندلعت أعمال شغب هنا وهناك.وعندما وقع هذا الحادث، قطع خيط السلام فجأة في كل مكان.وصار الأمر يتطلب كتابا منفصلا لذكر تلك الأحداث.

---

(١) (*) يقصد والي الاقليم السيد علي بن عبد الله بن علي بن خلف الذي تم تعيينته من قبل آخر ملوك الدولة الصفوية سلطان حسين بتاريخ ١١٢٧هـ وخلال هذه المدة شهد الاقليم والدولة صراعات وحروب دامية أشار إلى بعضها الكاتب.

(٢) تذكرة تستر وتاريخ الكعب (كتب شخص من الكعبيين كتيبا باللغة العربية عن الأحواز يذكر أسماء مشايخ كعب مع بعض الأعمال لكل واحد منهم، بحيث ننقل من بعد هذا عن هذا الكتيب، ونسميه تاريخ الكعب).

كان هناك الكثير من أعمال الشغب في الاقليم بحيث لم يسبق رؤيتها من قبل. ولسنوات على تلك الحدود، كانت نار الفتنة مشتعلة من كل زاوية.

في هذا الوقت تعود عائلة المشعشعيين إلى الحويزة مرة أخرى، ويسيطروا على ولايتها.وعلى الرغم من أنه كان لفترة قصيرة، ولكن يظهر الازدهار والمجد في أمرهم مرة أخرى.من ناحية أخرى، سيطر الكعبيون على مقاطعة أخرى والتي هي الآن تدعى الفلاحية، وهم يثبتون قاعدة عملهم في تلك الأرض أكثر من ذي قبل.كما سنروي هذه القصص واحدة تلو الأخرى.

موقف المشعشعيين ...

... وحال الاقليم بعد مقتل نادر شاه

عندما قُتل نادر شاه في خراسان سنة ١١٦٠هـ اضطربت الأوضاع بالمرة جميع أنحاء إيران، واندلعت ثورات شرسة في كل مكان.أولا، تقدم اثنان من أبناء الأخ لنادر وهما علي قلي خان وإبراهيم ميرزا، لدعوى الملك، وقاتلا معا.لكن لم يمض وقت طويل حتى اختفى أثرهما.وظهر شاهرخ ميرزا في خراسان وأحمد خان ابدالي في أفغانستان ومحمد حسن خان قاجار في أستراآباد ومازندران وعلي مردان خان بختياري وكريم خان زند في العراق وفارس وآزاد خان الأفغاني في أذربيجان.كريم خان ومحمد حسن خان وآزاد خان من ١١٦٤هـ إلى ١١٧١ جعلوا إيران (باستثناء خراسان) ميدانا للنصيب والمقامرة بينهم.كانت هناك جيوش تتحرك من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الجنوب متتالية، وتخرب الأراضي المعمورة وتشتت الناس، ولم يكن لأي منهم الهيمنة والقوة لتدمير الآخرين ويريح الناس من ويلات الحملات العسكرية والحروب.

إذا أراد شخص أن يؤلف فقط قصة تلك السنوات السبع أو الثماني ويصف المصاعب التي عانى منها الأشخاص المحرجون في هذه السنوات القليلة، فسيكون كتابا منفصلا ضخما.

كما قلنا، في هذا الوقت في الاقليم، كان المتمردون موجودين في كل زاوية، ورحل الأمن والراحة بالكامل من هناك؛ وكانت نار الفتنة والاضطراب مشتعلة في تلك الأرض، إلى أن قاد كريم خان جيشا سنة ١١٧٨.

من ناحية، ثار المولى مطلب المشعشعي، ويحاول دائما توسيع جهاز إدارة عائلته مرة أخرى.ومن ناحية أخرى، في نفس السنة الذي قتل فيها نادر، جاء الكعبيون من قبان إلى مناطق دورق، وكانوا بصدد تهيئة مكانة لائقة لأنفسهم.وتارة يتشاجرون مع والي بغداد وتارة أخرى مع المولى مطلب.من ناحية أخرى، أصبحت عشيرة آل الكثير أقوى ووصلت إلى الجزء الشرقي من الاقليم، وكانت دائما في حالة صراع مع المولى مطلب وآخرين.بصرف النظر عن هذا، وقعت سلسلة من الفتن المفاجئة داخل مدينتي تستر ودزفول التي لم تشهدها سوى مدن قليلة في إيران.

في تلك الأوقات بخلت السماء بالمطر، ولم تمطر معظم السنوات، على الرغم من أن معظم محاصيل الاقليم تعتمد على الأمطار، وإذا لم تمطر لمدة سنة، تصبح الأرض جافة تماما، ويجعل الشح والمجاعة والناس فقراء مفلسين.

تحمل الناس المساكين لسنوات طويلة المشقة، وانتظروا هطول المطر، وما إن تجيء سنة ميمونة وتمطر للناس، وتنمو النباتات القمح والشعير بوفرة، حتى تقع فجأة فتنة من جانب، وتضطرب الحال وتخوض الجيوش معركة، ومن جرائها تداس كل المحاصيل تحت أقدام الخيول.

أن معظم الدمار الذي لحق بتستر كان من قبل البشر.لأنه بالإضافة إلى كسر سد الميزان الذي ذكرناه تسبب في جفاف قرية ميناب.فضلاً عن موجات الجفاف المتتالية التي تسبب في فساد محاصيل الناس.من ناحية أخرى، إستمرت الفتنة والفوضى في تلك المدينة، بحيث يصل الأمر إلى الحرب وإراقة الدماء، والناس المتشردون انصرفوا إلى الشغب والفتن، ويحاولون دائما التخريب.كما سنذكر كل هذا واحدا تلو الآخر.

٢٠ - ثورة السيد مطلب

كان أول من فتح الطريق أمام الفتنة في الاقليم في هذا الصدد هو المولى مطلب خان المشعشعي حفيد السيد فرج الله حاكم مقاطعة الدورق.كما قلنا، كان نادر شاه قد عطل نظام هذه العائلة وأعطى الدورق فقط للسيد فرج الله خان من بعده.لا يُعرف نهاية أمر السيد فرج الله خان، كما أننا لا نعرف شيئا عن ابنه السيد محمد خان.لكن المولى مطلب، ابن السيد محمد خان؛ سنة ١١٦٠، عندما كان نادر شاه لا يزال على قيد الحياة، تحرك بشجاعة لاسترداد حكم اسلافه للأقليم واستغل الفوضى التي عمت ايران بعد سقوط الحكم الصفوي وانزعاج الناس من نادر، وثار بالتعاون مع عشائر العرب.

في ذلك الوقت، كان محمد خان بيكلر بيكيا (الحاكم العام) في الاقليم، وكان يسكن في الحويزة.أصبح عباس قلي بيك، الذي ذكرنا اسمه من قبل، في هذا الوقت، عباس قلي خان وكان مدير الضرائب في الاقليم.تعاون المولى مطلب مع عباس قلي خان واعتقل محمد خان، وبالتالي حصل على الحويزة.

في ذلك الوقت، كان نادر شاه في خراسان ووفقا لميرزا مهدي خان، وأفل نجمه ولم يحالفه الحظ، ولم تتح له الفرصة أبدا ليقوم بأمر الاقليم.إبراهيم خان، حاكم لرستان، دون أي أمر من نادر شاه، قصد قمع المولى مطلب بالجيش واتجه نحو الاقليم مع الجيش.أيضا، انضم محمد رضا خان، حاكم تستر، إليه مع جيش.عندما علم المولى مطلب بقصدهم، هجم مع الجيش من الحويزة، وفي الحرب التي وقعت، هزم إبراهيم خان ومحمد خان، وفر إبراهيم خان إلى لرستان وعاد محمد رضا خان إلى تستر.

أصبح المولى مطلب أكثر شجاعة جراء هذا الانتصار، وأراد أن يفتح تستر، فقصد مع الجيش إلى هناك، وحاصر المدينة، لم يمض على حصار المدينة أكثر من شهرين، إلى أن وصلت أنباء وفاة نادر شاه، واضطر محمد رضا خان لطلب المصالحة، وفتحت أبواب المدينة أمام الجيش العربي، وحينما ذهب هو نفسه إلى المعسكر،

اعتقله المولى مطلب واحتجزه.وهكذا أصبح مجد المولى مطلب وقوته أكثر من ذي قبل.لكن في غضون ذلك، ظهر انشقاق بين القبائل العربية، وانتهى العمل بقتال، وتعرض المولى مطلب للإذلال لدرجة أنه ترك كل الممتلكات وهرب إلى الحويزة.في غضون ذلك، اشتعلت النيران في دار السلاح فجأة، وأحرقت مجموعة من الناس من أهالي تستر.يذكر مؤلف التذكرة ثلاثة عشر من مشاهيرهم.

في ذلك الوقت، كان علي قلي خان، ابن أخ نادر والذي يدعى عادل شاه أو علي شاه، جالسا على العرش.أرسل مرسوما بولاية المولى مطلب خان، وبالتالي أعيد تأسيس ولاية عربستان مرة أخرى، واستقرت عشيرة المشعشعيين في أمر الولاية مرة أخرى، ولكن لم تكن لدى المولى مطلب القدرة على وضع العرب في مكانهم؛ بحيث أنه في سنة ١١٦١ عندما أرسل الجيش إلى آل كثير لقتالهم، في المعركة التي دارت في سرخكان بالقرب من تستر انتصر آل الكثير وهزم المولى مطلب هزيمة منكرة وعاد إلى الحويزة.وزاد آل الكثير بسبب هذا الانتصار شجاعة، وجعلوا كل محيط تستر ودزفول ساحة حكمهم وتعسفهم.

مرة أخرى وفي سنة ١١٦٥، قام المولى مطلب بقمع آل كثير.وهجم بمساعدة آل السلطان - بني لام - لقتال تلك القبيلة.في ذلك الوقت، كان آل الكثير قد قاموا بمهاجمة عباس قلي خان، حاكم دزفول، وحاصروا المدينة، وعندما علموا بقصد المولى مطلب، رفعوا الحصار واندفعوا لاستقبال العدو.التقى الجيشان على ضفاف نهر الكرخة وأقاما معسكرا مقابل بعضهما البعض، وظلوا في صراع لمدة أربعة أشهر، وهكذا تداس المحاصيل وتخرب الأماكن المعمورة.وأخيرا، لأنه لم يستطع أحد منهما التغلب على الآخر، وتخليا عن الحرب، وعاد كل جيش إلى مكانه.

بعد هذا الحادث، لا يُعرف الكثير عن المولى مطلب.لكن على ما يبدو حتى سنة ١١٧٦ عندما قُتل على يد علي محمد خان زند، كان في الغالب في حالة حرب وصراع ولم يجلس ساكتا.كما يقول كاتب التذكرة، حينما يتحدث عن فوضى تستر وثورتها

سنة ١١٦٧: «وقد امتدت هذه الفتنة إلى عربستان، واجتمع جميع قبائل الخميس وبنو لام وغيرها، من أطراف بغداد إلى أحياء الحويزة وتوابعها، واتفق الوالي الأعلى (المولى مطلب) معهم بما له من صداقة مع أعراب الحويزة.وبهذا، فقدت جميع المنتجات المسجلة في تلك النواحي تقريبا، وخربت القرى والضياع.والآن مع حلول نهاية السنة، فقد وقعت تلك الحادثة في أحياء دزفول، والمنتجات معرضة للتلف، والشيخ سعد آل الكثير مسجون في الحويزة».كما ذكر في تاريخ كعب: «جاء علي باشا والي بغداد والمولى مطلب بجيش كبير لمحاصرة الكعبيين، ولم يستطيعوا فعل شيء وعادوا، ووقعت هذه الحادثة في منتصف من شهر ذي الحجة سنة ١١٧٥»[1].

عشيرة آل الكثير وأعمالهم:

كما قلنا، كان آل الكثير استقروا بين نهري الكرخة ودزفول وفي مياناب دزفول وحول تستر.وحتى الآن وفي عصرنا هذا يعيشون هناك.كما قلنا أن هذه العشيرة كانت على عداوة مع المشعشعيين من زمن بعيد، وكانوا يخوضون الحرب أحيانا بمفردهم وأحيانا بتواطؤ مع آل السلطان.كما رأينا أنه أثناء سيطرة الأفغان، عندما ظهر صفي ميرزا المزيف في الاقليم، نهض آل الكثير لدعمه، وحكموا باسمه في تستر ودزفول.

لكن في فترة التمرد هذه التي اندلعت في جميع أنحاء إيران بعد مقتل نادر، ثار الاقليم في أكثر من أي مكان آخر.كما قلنا، أنه هزمت آل الكثير المولى مطلب سنة ١١٦١، وبالتالي أصبحت أكثر شجاعة من ذي قبل.ومنذ ذلك الحين، تدخلوا بشكل تعسفي في شؤون تستر ودزفول، وسيطروا على جميع المناطق المحيطة بهاتين المدينتين.

(١) تذكرة تستر، صص ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١١٣، تاريخ الكعب.

كان شيخ تلك القبيلة يُدعى الشيخ سعد، ابن الشيخ فارس، وعلى الرغم من أنه لم يكن يعيش في المدينة، ولكن يسكن خارج القبيلة، بين العشائر، إلاأنه كان يسيطر على كل من دزفول وتستر، وكان دائما يتدخل في الفتن في هاتين المدينتين.

كما نعلم، خلال فترة التمرد هذه، كان كريم خان زند وعلي مردان خان بختياري من بين أولئك الذين ظهروا وطمعوا في الحكم الملكي.وسمى ميرزا أبو تراب، سليل ابنة الشاه السلطان حسين شاه، الأخير، شاه إسماعيل الثالث، واستولى على الحكم وتغلب في أصفهان وتلك المناطق.ثم نشبت عداوة بين كريم خان وعلي مردان خان وانفصلا.ذهب كريم خان إلى كرمانشاه مع شاه إسماعيل، واستقر علي مردان خان في بختياري.في هذا الوقت، قام آل الكثير، بوساطة السيد فرج الله كلانتر، الذي سنذكر اسمه، بدعم علي مردان خان وعداوة لكريم خان، وقد ساعدوه، وهكذا ثبتوا أسسهم التعسفية.

في سنة ١١٦٥، ثار الشيخ ناصر، أحد أقارب الشيخ سعد، ضده، وبعد إراقة الدماء تغلب عليه واعتقله، وحكم مكانه، وحكم أنصاره في تستر ودزفول.

في غضون ذلك، تصاعدت عداوة علي مران خان مع كريم خان، وانتهى الأمر إلى الحرب، وتخاربا سنة ١١٦٦ في مناطق كرمنشاه، وهزم علي مردان خان وهرب إلى بغداد.ولأنه ظهر شخص في العراق ويُدعى السلطان حسين ميرزا ، ابن شاه طهماسب، قبل علي مردان خان اتباعه، وأخذه معه، واتجه نحو إيران.وكتب رسائل لشيخ آل الكثير وآخرين، ودعاهم أن يطيعوا ذلك الملك الجديد.لكنه تغلب آل الكثير في هذا الوقت، ولا يرضون باتباع أحد، وعلى هذا، أنهم لم ينتبهوا لتلك الرسائل.على الرغم من أن آل الكثير تركوا أمر علي مردان خان، إلا أنهم ظلوا في عداوة مع كريم خان.وعلى الرغم من أن قوات كريم خان كانت تتزايد يوما بعد يوم، إلا أنهم لم يفكروا أبدا في طاعته.

في سنة ١١٧٤، والتي سيطر فيها كريم خان على معظم إيران، قصد سبز علي خان

زند، والي لرستان، بجيش إلى قتال آل الكثير، ولكن في هذه المعركة كان النصر لآل كثير، وقتل سبز علي خان على أيديهم[1]. وهكذا ازدادت عداوة هذه القبيلة مع كريم خان، وكما سنرى في قصة هروب زكي خان إلى الاقليم، فقد ساعدوه أيضا بسبب العداء لكريم خان.

فتن أهل تستر ودزفول:

في سنة ١١٦٠، عندما قُتل نادر شاه، كان حاكم تستر ودزفول، محمد رضا خان، من أفشار قرخلو. كما قلنا، في السنة نفسها، ثار المولى مطلب، وبعد هزيمة إبراهيم خان، والي لرستان، أحضر جيشا إلى تستر وحاصر تلك المدينة. وبعد مدة، اضطر فيه محمد رضا خان إلى الفرار وطلب الأمان، وذهب بقدميه إلى المعسكر، ألقى المولى مطلب القبض عليه وسجنه، وأخذه إلى الحويزة.

في هذه الأثناء، كان عادل شاه، ابن لأخ نادر، جالسا على العرش، وكما قلنا، سلم إلى المولى مطلب أمر الحويزة، وعباس قلي خان الذي قلنا أنه كان شريك المولى مطلب في الثورة، أعطاه حكم تستر ودزفول.

في سنة ١١٦١، جاء عباس قلي خان إلى تستر من الحويزة وحكم هناك وفي دزفول. لكن في هذا الوقت، وبصرف النظر عن حقيقة أنه يظهر ملك آخر في إيران على

---

(١) كان سبز علي خان شقيق الشيخ علي خان أحد مشاهير قادة الزنديين. في نفس السنة، سمل كريم خان في أذربيجان عين السيد علي خان، وأعماه. يكتب ميرزا صادق في تاريخ الزندية: أنه حينما وصل «نبأ قسوة» لكريم خان على الشيخ علي خان إلى العرب، قتل آل الكثير سبز علي خان، لكن هذه من التزلف والتملق التي يكتبه المؤرخون عن الملوك. لأنه يتضح من كتابه أن آل الكثير كانوا أعداء للزندية حتى سنة ١١٧٨ عندما جاء كريم خان إلى الأحواز ، ولم يقبلوا أمرا من كريم خان قط؛ فكيف قتلوا سبز علي خان لإرضاء كريم خان، ثم حسب كتاباته نفسه، أنه هجم سبز علي خان على آل الكثير، وكان آل الكثير مضطرين أن يدافعوا عن أنفسهم، وإلا لكانوا قد قتلوا، فما علاقة قتل مثل هذا العدو بـ «قسوة الحكم عينه جمشيد»؟

التوالي وأمر كل منهم شخصا آخر بحكم هذه المدن، كان سكان تستر ودزفول أيضا مستعدين لإثارة الفتنة ولم يجلسوا مكتوفي الأيدي.من ناحية أخرى، كان شيخ آل الكثير يتدخل دائما في شؤون هذه المدن.إجمالا، كانت النتيجة أنه ستكون هناك دائما ثورة وتمرد أخرى في تستر ودزفول.

ذكر مؤلف كتاب التذكرة، الذي عاش في ذلك الوقت، وشهد تلك الفتن في تستر، بعضا من تلك الأحداث ونقدم هنا أيضا بعضا من تصريحاته العديدة.

كما قلنا، عندما وصل عباس قلي خان إلى الحكم، جلس هو نفسه في دزفول وأرسل أخاه محمد خان إلى تستر.لكن في رمضان نفس السنة (١١٦١)، ثار أهل تستر أولا ثم أهل دزفول على عباس قلي خان، واستدعوا آل الكثير لمساعدتهم.واستمرت هذه الثورة والنضال إلى أن فر عباس قلي خان من دزفول، وقتل أخوه محمد خان في تستر بيد المتمردين.وعين شيخ آل الكثير محمد رضا بيك بن اسفنديار بيك خلفا له في تستر، وعاد هو نفسه إلى العشيرة.

في غضون ذلك، تولى شاه مراد بيك، وهو أحد شيوخ أفشار كندزلو الذي ذهب إلى خراسان، حكم تستر ودزفول من إبراهيم ميرزا، وكان يتجه نحو الاقليم.سمع عرب آل الكثير ذلك فذهبوا إلى لرستان لاستقباله واعتقلوه وأتوا به إلى العشيرة، لكنه هرب ليلا وتوجه إلى منزل أخيه في حي قرقز في تستر، وتجمع أهالي ذلك الحي الذين أطلقوا على أنفسهم اسم حيدري[1] حوله وحاولوا إيصاله إلى السلطة، لكن أهالي دستوا الذين كانوا يُدعون نعمتي، خالفوا حكومته بسبب عدائهم للحيدريين، وطلبوا من آل الكثير المساعدة.وفي النهاية أدى العمل إلى حملة وحرب، واندلعت في أقيلي وهي قرية حول تستر، حرب بين العرب وأفشار كندزلو، وهُزم أهالي كندزلو وفروا.

---

(١) تسمى الأحياء الشرقية من تستر باسم كركر، والأحياء الغربية تسمى دستوا.وحتى الآن، ظلت ثنائية طائفة حيدري ونعمتي، وهي قائمة منذ الفترة الصفوية؛ بحيث أن أهالي كركر، حيدري؛ وأن أهالي دستوا، نعمتي.

وهكذا سيطر شيخ آل كثير على الحكومة مرة أخرى، واستمر في تعيين محمد رضا بيك نائبا عنه.

في غضون ذلك، نهض إبراهيم ميرزا، واستولى شاهرخ ميرزا، حفيد نادر، في خراسان على العرش. ولأن صالح خان بيات كان قويا ومستقرا في فارس، وكان من المعجبين بشاهرخ ميرزا، فبناء على طلبه أرسل شاهرخ مرسوم حكم تستر بإسم محمد رضا بيك، وحكم هو بشكل مستقل. لكن عرب آل الكثير انزعجوا من ذلك الأمر، وبما أن أهالي قرقز كانوا أيضا أعداء محمد رضا بيك وكانوا ساخطين عليه، اتحدت المجموعتان وقامتا بقتال محمد رضا بيك وأهل دستوا الذين كانوا من أنصاره. وكانت هناك حرب وسفك دماء في المدينة لفترة طويلة، إلى أن وصل مرسوم من شاه إسماعيل الثالث الذي قلنا أنه استولى على الحكم بمساعدة علي مردان خان وكريم خان، إلى شيخ آل الكثير والذي عينه ليحكم تستر وتلك المناطق، وهكذا تعرض محمد رضا بيك وأتباعه للإذلال وطلبوا منه الأمان، غفر لهم شيخ الكثير بسبب ذلهم وهوانهم هذا، ومرة أخرى، عين محمد رضا بيك نائبا عن نفسه، وغادر المدينة.

بعد فترة، في سنة ١١٦٥، كما قلنا، هرب عباس قلي خان من دزفول وكان يعيش في بشت كوه حتى الآن، وفجأة جاء إلى دزفول، قام أهل تلك المدينة بمساعدته ورضوا به حاكما لهم.

لكن آل كثير أخذوا الجيش إلى دزفول وحاصروا تلك المدينة، وكما قلنا، في هذا الوقت، حاول المولى مطلب قمع آل كثير بجيش. وسمع آل كثير ذلك ورفعوا الحصار عن دزفول، واندفعوا نحوه، وقاتلوا فيما بينهم اربعة اشهر قرب الكرخة، وبعد أربعة أشهر عادت المجموعتان إلى مواقعهما، واندفع آل الكثير إلى حصار دزفول مرة أخرى، وطردوا عباس قلي خان.

في الوقت نفسه، كانت هناك فتنة جديدة في تستر، بحيث قام السيد فرج الله نجل السيد محمد صادق كلانتر، وكان رجل الفتنة والأنانية، للحكم، وتخاصم محمد رضا

بيك.وبما أن أهالي قرقز وحيدريان كانوا أعداء محمد رضا بيك منذ البداية، تغلب السيد فرج الله بمساعدتهم على محمد رضا بيك، وطرده من المدينة، وحكم نفسه المدينة خلفا لشيخ آل الكثير.

لكن لم يمض وقت طويل إلى أن ثار ميرزا عبد الله بمساعدة أنفسهم القرقزيين على السيد فرج الله، واستدعى محمد رضا بيك، الذي فر إلى دزفول، إلى تستر، ودقوا عطر منشم، فتحصنوا في وسط المدينة وحاربوا وسفكوا دما.من ناحية أخرى، جاء شيخ آل الكثير بجيش من العرب إلى مساعدة السيد فرج الله، وأحدثوا دمارا هائلا خارج المدينة في عقيلي وقرى أخرى.في النهاية، أصبح محمد رضا بيك وميرزا عبد الله مهانين وطلبا الأمان ولجأوا إلى شيخ آل الكثير.وهكذا هدأت الفتنة بعد غليانها. كتب صاحب التذكرة: كانت مدة هذه الحرب والصراع ثلاثة وثلاثين يوما، وتقريبا، كان عدد القتلى من المشهورين والمجهولين ثمانين شخصا.

ثم يذكر مؤلف التذكرة حربا أخرى سنة ١١٦٧ بين السيد فرج الله ومحمد رضا ويقول: قتل عدد من المشاهير والمجهولين، ولأنه بعد هذه الحادثة سنة ١١٦٩ ينتهي كتاب التذكرة، لم نعد نعرف عن أعمال تستر ودزفول[1].

مجيء زكي خان إلى الاقليم ومقتل المولى مطلب:

في سنة ١١٧٥، عندما كان كريم خان في أذربيجان، تعاون ابن عمه زكي خان في أصفهان مع شيوخ البختياريين وعلي محمد خان، ابن أخت كريم خان، والذي كان حاكما لبروجرد، ورفعوا علم التمرد، وثاروا، سمع كريم خان هذا الخبر وخرج من أذربيجان لقمعهم.فلم يستطع زكي خان وشركاؤه تحملها، وفكروا جهلا منهم وقساوة في أن يجمعوا زوجات كريم خان وأبناءه وغيرهم من شيوخ زند والجيش، وليس هذا

(١) توفي مؤلف التذكرة سنة ١١٧٣، ولكنه لم يذكر أحداث السنوات الأربع الأخيرة من حياته.

فحسب، بل كما ذكر في تاريخ الزندية: بل أحضروا «نساء وأبناء أهل البلد، وأحياء أصفهان» معهم واتجهوا نحو إقليم الاحواز، ومروا بكل هؤلاء النساء والأطفال الصغار عبر جبال وتلال بختياري المتعبة، ووصلوا إلى سردشت في منطقة تستر عبر مالمير. كان هدفهم من هذه الخطة الخبيثة هو أن جيش كريم خان وشيوخ زند، حينما يصلون إلى أصفهان ويعرفون الوضع، حتما، يتبعون زوجاتهم وأطفالهم متجهين إلى الاقليم وينضمون إليهم.وبالتالي فإنه تسير أمرهم حسب ما خطوا له.لكن هذه الفكرة الحمقاء لم تنجح أبدا.وعندما وصل كريم خان إلى أصفهان أرسل نظر علي خان زند مع جيش لقتال زكي خان، وفي الحرب التي دارت بينه وبين زكي خان في سردشت، هزم زكي خان وفر إلى الحويزة.وأعاد نظر علي خان تلك القافلة من النساء والأطفال إلى أصفهان..

يبدو أن هذه الحادثة وقعت في بداية سنة ١١٧٦.ومن ناحية أخرى، عندما وصل زكي خان إلى مناطق الحويزة، جهز المولى مطلب جيشا وهرع لاستقباله، وفي الحرب التي دارت قُتل المولى مطلب على يد علي محمد خان[1].

---

(١) لا توجد معلومات صحيحة عن هذه الحرب وقصتها.اكتفى مؤلف تاريخ الزندية بلمحة منها ويقول: «بعد عودة نظر علي خان وقادة آخرين في فيلق النصرة، التقى زكي خان بالمولى مطلب،والي عربستان واعتقله وسجنه وفر إلى آل الكثير ونواحي دزفول في الأحواز، ولكنه أخيرا قتله ..» معنى هذه العبارة: هو أن زكي خان ألقى القبض على المولى مطلب، وقتله بعد أن ظل في السجن، وأنه في معبد النار لآذر، حيث أشار أيضا هو إلى هذه القصة، يقول: «...هرب محمد زكي خان مع جماعة من البختياريين إلى تستر، والمولى مطلب خان، الذي كان أحد أعرق حكام تلك الأرض، منذ عهد نادر شاه حتى ذلك الحين، وكان واليا مستقلا في تلك النواحي، قتل على يد علي محمد خان، ابن محمد خان زند.والذي كان ابن أخته مع زكي خان».على أي حال، قُتل المولى مطلب سنة ١١٧٦، وربما كان قد عاد لتوه من الحرب وحصار الكعبيين في ذلك الوقت، ولم يكن لديه الكثير من الجيش حوله، لأنه كما يبدو من تاريخ الزندية: فإن زكي خان لم يكن الكثير من الجيوش معه لتحقيق مثل هذا النصر، إلا أن شجاعة الزنديين وعجز الأعراب قد نتجت عن ذلك.

بعد ذلك غادر زكي خان الاحواز مع رفاقه وجيشه وتوجه إلى شيخ آل كثير. وقبلته هذه العشيرة، نظرا لعداوتهم لكريم خان وفرحت بوصوله، واستضافته لفترة طويلة. لكن كما قلنا، كان هناك نقص وشح في الاقليم خلال هذه السنوات. وبحسب تاريخ الزندية، «فقد صعب الأمر على الضيف والمضيف». اضطر زكي خان إلى المغادرة وتوجه إلى لرستان السابقة (بشت كوه) حيث قاتل مع نظر علي خان زند، وقتل بعض جنوده وتشتت بعضهم، وهان واضطر ليطلب الأمان، أعطاه نظر علي خان الأمان واصطحبه معه إلى أصفهان. حبس زكي خان على نفسه في الاصطبل وجلس هناك حتى سامحه كريم خان وعفا عنه[1].

٢١ - خلفاء المولى مطلب ونهاية حكم المشعشعين:

كان المولى مطلب آخر والي مشهور وحسن السمعة من المشعشعيين، من بعده تضاءل مجد تلك العائلة إلى حد كبير وكسر شوكتهم وسيرهم إلى الانحطاط، في زمن المولى مطلب هو إن الكعبيين استقروا في جنوب وجنوب غرب الاقليم وازدادت شوكتهم، ومن ناحية أخرى، في شرق الاقليم، ازداد آل الكثير، الذين يعادون المشعشعيين منذ فترة طويلة، قوة وثباتا. ومنذ ذلك الحين، حكم المشعشعيين في أرض الحويزة التي يبلغ طولها، بحسب حاجي نجم الملك، خمسة عشر ميلا في خمسة عشر ميلا. وحكموا باسم التعيين من قبل الحكومة الإيرانية. ولأنهم كانوا من عائلة عريقة ومعروفين بسيادتهم، فقد رفض شيوخ كعب مهاجمتهم دائما.

وفقا للسيد نور الدين الجزائري[2]، بعد المولى مطلب، جاء دور ابن عمه المولى جود الله ليصبح حاكما. وكان رجلا عظيما وذا شوكة، ويعامل الناس معاملة حسنة ويطيع أمر كريم خان، ولكنه لم يدفع له ضرائب، وكان يرسل له هدية كل سنة فقط خلال عيد

(١) تاريخ الزندية، تأليف نامي، المخطوطة، ومعبد النار لآذر.

(٢) مترجم كتاب السيد علي. الرحلة المكية

النوروز، وكان كريم خان راضيا عن هذا العرض والهدية ولم يصعب عليه الأمر.

بعد وفاة المولى جود الله، أصبح ابنه الأكبر المولى إسماعيل حاكما بأمر من كريم خان، وأرسل أخاه المولى علي إلى نوا إلى كريم خان وكان يدفع الضريبة سنويا.

بعد وفاة كريم خان، حصلت بعض الصراعات، جاء دور الحكم إلى علي مراد خان زند، وجعل اصفهان عاصمة له.ولأن المولى إسماعيل أصيب في ذلك الوقت، بالشلل والعجز، وذهب المولى محسن، أحد أبناء عمومته، إلى أصفهان إلى علي مراد خان وأخذ منه الأمر بالولاية.وكان رجلاً محبا للعلم والمعرفة، ولكن عندما جاء إلى الحويزة من أصفهان، لم يمض وقت طويل إلى أن توفي علي مراد خان في أصفهان. ومن هذا الخبر اندلعت أعمال شغب من جديد في الاقليم ، وبدأت العرب حملة وهجوما، ولم يستطع المولى محسن قمعهم بسبب كبره وعدم قدرته.في هذا الوقت، بدأت قصة مصيبة جدول هاشم في الحويزة؛ بحيث أن نهر الكرخة وهو الذي يعد أحد أعظم أنهار الاقليم، بعد عبوره أنقاض الشوش، يصل إلى أرض الحويزة، وبعد ري الحدائق والحقول هناك، يصب في شط العرب عبر مدينة الحويزة، الأمر الذي تسبب بدوره في تطوير الحويزة وما حولها.

في ذلك الوقت، كان رجل يدعى هاشم قد حفر فوق مدينة الحويزة جدولا، وتفرد بجزء منه ليصب في حقوله، ولكن من نعومة تربة الاقليم، نما ذلك الجو تدريجيا إلى أن عادت وفرة المياه إليها.ظهر في الحقول والأراضي المعمورة حول الحويزة جفاف ونقص في المياه، وبالتالي تم تدمير الأراضي المعمورة.

أثناء ولاية المولى محسن، بالإضافة إلى الغزو العربي، كانت هناك مشكلة أخرى وهي نفس قصة الجفاف.أراد المولى محسن أن يصنع سدا في فتحة جدول هاشم كي تعود المياه المفقودة إلى الجدول، لكن بسبب عجزه، لم يستطع إصلاح ذلك الأمر أيضا، كما أنه ظهر النقص والندرة في الحويزة والقرى المحيطة بها وأصبح الأمر أكثر صعوبة.خاب أمل مشايخ العرب من المولى محسن، وبما أنه نشأت توترات بين

الزندية والقاجارية، ولم يكن لإيران ملكا يعترف به، كي يطلبوا منه واليا آخر، واضطروا إلى الذهاب إلى المولى محمد، وهو كان ابنا آخر لجود الله، وكان رجلا معتزلا، وطلبوا منه أن يقبل أمر ولايتهم ويجد حلا لتجفيف الماء.قبل المولى محمد طلبهم وتولى منصب الوالي، وحاول بمساعدة الناس أن يغلق فتحة جدول هاشم.وما حطمه السيل عدة مرات، ولكن في النهاية، قام بإنشاء سد لإعادة المياه إلى الجدول القديم، وهكذا أصبحت الحويزة وما حولها معمورة.

بعد وفاة المولى محمد، وبما أنه في ذلك الوقت، هدأت ثورة إيران ووصلت سلالة القاجار إلى السلطة وجاء دور المملكة إلى فتح علي شاه، أصبح المولى مطلب نجل المولى محمد حاكما للحويزة بأمر منه، وبعد فترة طويلة تم عزله وتولى عبد العلي خان نجل المولى إسماعيل الحكم[1].

ربما كان في عهد المولى عبد العلي هذا أو في عهد خلافته أنه في حوالي سنة ١٢٥٠، وقع ليلا فيضان مفاجئ من الكرخة وحطم سد هاشم ودمره، والذي كان قائما لأكثر من أربعين سنة منذ عهد المول محمد، وعادت المياه بالمرة إلى نهر هاشم، جراء هذه الحادثة أصاب الحويزة جفافا لدرجة أن الناس خوفا من العطش قاموا بحفر الآبار في مجرى الأنهار لتخزين المياه المتبقية في تلك الآبار للشرب.

منذ ذلك الحين، حينما يحدث خراب في الحويزة وتلك النواحي، وفي كل سنة، كان حاكم الحويزة يبذل جهدا وينشأ سدا لتوفير القليل من الماء إلى الحقول، ولكن بعد فترة ينكسر السد.على سبيل المثال، خانلر ميرزا، خلال فترة حكمه في الاقليم، لأنه لم يستفد من إغلاق السد من فتحة جدول هاشم، أراد فصل جدول آخر عن مجرى هاشم وإحضاره إلى الجدول القديم، وبالتالي يجلب

(١) ديوان صالح التميمي، ص١٤٤ - ١٤٦.كان هذا السيد من مثقفي البيت المشعشعي وعلمائهم وله مجلس وأدب كان من رواده الشاعر العراقي صالح التميمي (ت ١٢٦١هـ - ١٨٤٥م) الذي مدحه بعدة قصائد ونظم فيه روضته الملحقة بالديوان.

الماء إلى الحويزة وأنفق سبعة آلاف تومان من المال في ذلك الوقت.في البداية كانت النتيجة جيدة لكن بعد فترة عادت المياه إلى جدول هاشم وضاعت كل المصاريف والجهود.

لنعد إلى حديثنا مع المشعشعيين.سنة ١٢٧٨، عندما يرسل معتمد الدولة منوتشهر خان جيشا إلى الاقليم لمعاقبة وقمع محمد تقي خان بختياري والشيخ ثامر الكعبي، جاء المولى فرج الله المشعشي الذي كان والي الحويزة ويريد الحكم. إلى منوتشهر خان، ولأنه أسر محمد تقي خان وطرد الشيخ ثامر من الاقليم، فقد سلم حكم الاقليم بالكامل إلى المولى فرج الله.ثم في سنة ١٢٦٣، جاء المولى فرج الله خان إلى طهران وتلقى من الحاج ميرزا آغاسي مكافأة كثيرة.وكما هو مكتوب في ناسخ التواريخ، فقد أرسل مرة أخرى باسم والي كل الاقليم.لكن هذه المرة يبدو أنه لم يكن قادرا جدا، ولا يحكم إلا على الحويزة وتلك النواحي.

بعد المولى فرج الله خان، كان يحكم الاقليم ابنه المولى عبد الله، والمولى مطلب، والمولى نصر الله بن عبد الله، والمولى محمد بن نصر الله، وأخوه المولى مطلب، واحدا تلو آخر، وكانوا من قبل، ولاة الحويزة، ويعينهم حاكم الاقليم الذي كان مستقرا في تستر، وكعادة حاكم الاقليم، كانت ضرائب تلك المناطق في عهدة الوالي وهو الذي يأخذها من الناس.

في نهاية عهد ناصر الدين شاه، كانت قبيلة بني طرف تعيش بالقرب من الحويزة، وكانوا أناسًا شجعانا ومحاربين.أداروا ظهورهم لطاعة المشعشعيين، وفي بعض الأحيان عصوا الحكومة.ومنذ ذلك الحين انفصلت القبيلة عن عائلة المشعشعيين، وكان لها شيخ مستقل وتدفع الضرائب للحكومة مباشرة.

كانت عائلة المشعشعيين في عهد سيطرة الشيخ خزعل خان تحت سيطرته كغيرها من القبائل العربية، وتزوج بنتا من تلك العائلة، وفي ظل هذه القرابة، عزل المولى عبد العلي، الذي كان زعيم عائلة المشعشعيين في ذلك الوقت، وحل محله

أخو تلك المرأة.ولكن في سنة ١٣٠٣ ش، انقضى زمن تعسف الشيخ خزعل خان، واكتسبت الحكومة قوة في الاقليم تولى زمام الأمور، سلم الحاكم العسكري مرة أخرى قيادة عائلة المشعشعيين إلى المولى عبد العلي خان.

الفصل الثاني

الكعبيون في إقليم الاحواز

قبيلة كعب في الفلاحية:

توجد قبائل كثيرة بين العرب باسم كعب، تعد القبيلة هذه طائفة من بني خفاجة المعروفة[1].

كانت قبيلة بني خفاجة جماعة كبيرة هاجرت في القرون الماضية من وسط الجزيرة العربية الى العراق والاحواز والبصرة واستقروا بين بغداد والبصرة، أولاً ثم انتقلوا إلى المناطق الأخرى ولأنهم عاشوا دوماً على السطو والسرقة والنهب والقتل، وقطع طريق الحجاج، من هنا، تجد أسماءهم دائما في التواريخ.أَن كلمة «الخفاجة» لها معنى كلمة لص، التي دخلت أيضا القواميس الفارسية.

في نهاية القرن السادس الهجري، كان بنو خفاجة ينتمون إلى قبيلتين: أحدهما بنو كعب والآخر بنو حزن[2(*)].والغريب أن الخليفة ترك لهم حراسة الطرق، ويبدو أنه من أجل منع الغزو والنهب والسرقة، لم يكن أمامه خيار سوى ترك الطرق لأنفسهم[3].

ثم يظهر أن القادة الأفاضل والحكماء قد قاموا من بين الكعبيين ومنعهم من فعل تلك الأعمال القبيحة.لأنه في القرون اللاحقة التي وجدنا فيها هذه القبيلة، نراهم

(١) أدلى اللورد كرزن وآخرون بتصريحات غير لائقة حول عرق الكعبيين وأصلهم وعن كيفية مجيئهم إلى إقليم الأحواز.

(٢) (*) البدو، ج٤، أوبنهايم، ماكس فون، ص٨١ - ١٢٠، دليل الخليج، القسم التاريخي، ٥/ ٢٣٩٧، أربعة قرون من تاريخ العراق، ص٧٨.

(٣) ينظر برهان القاطع والمعاجم الأخرى.ويقول السعدي في قصة ذهابه للحج في جلستان (روضة الأزهار): «فجأة هجم لصوص الخفاجة على القافلة ونهبوها بالكامل».

بعيدين عن تلك الأعمال القبيحة.

لكن لا يوجد سجل واضح لمجيء الكعبيين إلى الاقليم، ما وجدناه من البحث أنهم أتوا من البصرة إلى الاقليم في بداية عهد الشاه عباس الكبير في عهد أفراسياب باشا الديري.لأنه من المؤكد أنها أول سكن للكعبيين كانت قبان والقرى المحيطة بها، وبحسب الشيخ فتح الله الكعبي فإن قبان كانت من المدن التي فتحها أفراسياب باشا واستولى عليها.وبما أن الكعبيين كانوا من أنصار وحلفاء أفراسياب باشا وعائلته، فمن هذه الأمور نستنتج أنه حينما فتح أفراسياب قبان، نقل لها الكعبيين، والذين كانوا من مؤيديه ويعدون مجموعة من جنوده، إلى ذلك المكان، ليعيشوا هم في أرض كثير الخيرات، وليكن هو سالما وآمنا من هذه الحدود.

لكن «قبان» كانت قرية صغيرة في جنوب الاقليم على البحر (بين ميناء المعشور ومصب بهمن شير).في ذلك الوقت، على بعد فراسخ قليلة من الأحواز، تم فصل فرع من كارون، وبعد ري الأراضي المحيطة بقبان بالقرب من تلك المدينة، يصب في البحر، وكان يسمى هذا الفرع بنهر قبان[1].

في بداية الدولة الصفوية التي ذكرناها آنفا، كانت مجموعات من الأفشار تعيش في الاقليم وكهكيلويه ويسيطرون على تلك الأراضي، وبحسب قول الشيخ فتح الله الكعبي حكم أحدهم يُدعى بكتاش آغا قبان بحرية وبشكل تعسفي.أفراسياب باشا، الذي كان قويا في البصرة في ذلك الوقت، أرسل جيشا إلى قبان وسيطر عليها بعد الحصار، وكما قلنا نقل الكعبيين من العراق إلى هناك[2(*)].

(١) تاريخ ابن أثير، أحداث سنة ٥٦٨.

(٢) (*) تشير بعض الدراسات إلى أن افراسياب نقل كعب من منطقة الاحساء الساحلية غربي الخليج العربي إلى جنوب وغرب اقليم الاحواز لتأييد حكمه ومعارضة خصومه.ولحد الآن توجد قرى في الاحساء باسم كعب وهاجر قسم منهم لأسباب اقتصادية وأمنية إلى جنوب العراق والأحواز وامتهنوا الزراعة وتربية الحيوانات وهاجر قسم آخر منهم إلى جنوب غرب الخليج في ابو ظبي وامتهنوا التجارة وصيد اللؤلؤ.

في هذا الوقت، كان ملك إيران، شاه عباس الكبير، وقد يتساءل البعض كيف يمكن أن يحدث مثل هذا الغزو لمدن إيرانية مع وجود هذا الملك.لكن يجب أن نعلم أنه في ذلك الوقت، كان شاه عباس في بداية أمره ولم يكن لديه الكثير من القدرة.ثم خلال العهد الصفوي، لم تكن الحدود الغربية لإيران مستقرة.وكان الملوك الصفويون عدّوا العراق كله لإيران ولم يرضوا أبدا بوجود حدود بين إيران والعراق.ولأنهم عدّوا البصرة ملكهم، لم يعترفوا بحكم أفراسياب هناك إلى الأبد.ولهذا السبب، لم ينتبهوا لسيطرته على مدينة في الاقليم، خاصة وأن أفراسياب قد أخرجها من أيدي متمرد آخر الذي لا يخضع لأمر الحكومة الإيرانية.

ومع ذلك، في نهاية عهد الشاه عباس، الذي احتل واستولى على بغداد والعراق من أيدي العثمانيين، وأرسل الإمام قلي خان بجيش عظيم لمحاصرة البصرة والقتال ضد علي باشا بن أفراسياب، وكانت مدينة قبان أيضا تحت المحاصرة في مثل هذا الوضع.

كان شيخ الكعبيين في ذلك الوقت، الشيخ بدر بن عثمان، وكما يتضح من أعماله، كان رجلا شجاعا ونبيلا.يكتب السيد علي أنه بسبب استمرار حصار البصرة لفترة طويلة ولم يتمكن علي باشا من طرد الجيش الإيراني، عقد أقاربه سرا اتفاقا مع الإمام قلي خان للقبض على علي باشا وتسليمه إليه وكذلك يسلموا المدينة إليه.في ذلك الوقت، أرسل أولئك الذين انضموا إلى الإمام قلي خان خارج البصرة رسالة إلى بدر، وطلبوا منه أن يكف عن القتال ويستلسم نفسه للإمام قولي خان، حينما وقف الجميع عن المقاومة، رد البدر أنه لن يترك موالاة علي باشا ولن يترك القتال ما دام الأخير حيا(١)(*).

---

(١) (*) موقف أمير قبيلة كعب بدر بن عثمان في مدينة قبان الواقعة على جنوب كارون شرق شط العرب، جنوب غرب اقليم الاحواز شمال الخليج العربي كان بدر بن عثمان حليفاً إلى والي البصرة علي بن افراسياب الديري، وفي عام ١٦٢٥م، ١٠٣٧هـ قام (امام قلي خان) قائد الجيش الصفوي بغزو مدينة

بالمصادفة، وأنه في نفس الوقت الذي خاب علي باشا أمله وكان يفكر في الهروب، فجأة وصل خبر وفاة الشاه عباس.هاجر الجيش الإيراني قاطبة ليلا وعادوا إلى إيران. وهكذا ارتاح علي باشا وكافأ بدرا بسبب فتوته ومروءته، وعاقب من خان من أقاربه الذين عقدوا اتفاقاً سريا مع الإمام قلي خان واعتقلهم وأرسل الجميع إلى قبان إذ بدر هناك، ليقتلهم، ولكن البدر كان طيبا وعرض الوساطة وطلب لهم العفو والأمان من علي باشا، وهكذا أنقذ الجماعة من الموت[1].أضاف علي باشا مزيدا من مكافئته لبدر، وبالإضافة إلى قبان وحواليها، فقد ترك الجزائر له، والتي يبدو أنها كانت قد أمَّرَ بدراً عليها حتى مجيء حسين باشا.

حسين باشا بن علي افراسياب الديري:

تحدثنا قبلا عن عائلة افراسياب الديري الذين أقاموا الحكم في البصرة، وذكرنا قصة أفراسياب باشا وابنه علي باشا، لكننا احتفظنا بقصة حسين باشا ابن علي باشا، كي نورده هاهنا.

كان هذا الرجل قاسيا جدا وظالما خلافا لجده ووالده.وكان يضايق الناس دائما في الواحد والعشرين سنة من حكمه، وآخر قصته التي نكتبها هنا هي أفضل مثال

البصرة بجيش جرار، وفرض عليها الحصار، فاستنجد والي البصرة المذكور بأمير كعب بدر بن عثمان لحمايته والدفاع عنه وعن البصرة، فقام أمير كعب بما يجب وحشد قبيلته للدفاع عن ولاية البصرة وحاكمها علي بن افراسياب وكتب الأمير الكعبي إلى القائد الايراني: (معاذ الله لو يسير على السير دار بنفسه لمنعته، وكورت عليه العساكر إلى أن اجتهد واحسن الجلاد والقتال عنه...وبذلك لم تدخل القوات الايرانية البصرة، وأما علي باشا افراسياب فشكر سعي بدر بن عثمان وتضاعف قدره عنده وارسل له الخلاع والانعامات.وأشركه بجميع ما يملكه وفوض إليه جميع أموره وصارت له الدرجة العليا عنده...الرحلة المكية، ص٦٥ - ٦٦، السيرة المرضية، ص٣٤، اربعة قرون من تاريخ العراق، ص٧٨.

(١) نقل في كتاب السيد علي الأشعار العربية التي أنشدها بدر حول هذا الموضوع والتي أرسلها إلى علي باشا.

على فسوقه وخروجه عن المعتاد.

كما قلنا، تصرف الديريون بذكاء بين إيران والعثمانيين وهكذا حافظوا على حكمهم.لكن حسين باشا نتيجة فسوقه ساءت سمعته بين الطرفين ولم يبق له ماء وجه ولا سمعة حسنة.ولأنه كان يزداد قبحه يوما بعد يوم، بحيث أرسل الجيش إلى الاحساء سنة ١٠٧٣، واحتلها وقتل الأبرياء، وانزعج العثمانيون بشدة من أفعاله.في سنة ١٠٨٧، تم إرسال جيش كبير ضده.وصل حسين باشا إلى إيران وطلب الدعم، وكان ملك إيران في ذلك الوقت، هو شاه سليمان، فضلاً أنه ضعفه وعدم فطنته، وبما أنه سمع أكاذيب من حسين باشا مرات عديدة، وأدرك قبح عمله، فلم يؤيده ولم يلتفت لطلباته.واضطر حسين باشا إلى إقامة حصن أسسه والده علي باشا وأطلق عليه اسم «العلية»[١(*)] ولجأ هناك مع مجموعة من أقاربه وقواته.واستخدم تكتيكا آخر بحيث أمر أهل البصرة والقرى المجاورة وأهالي الجزائر بمغادرة منازلهم وأن يتفرقوا إلى أماكن أخرى، وإن عصى أحد ولم يغادر لمدة ثلاثة أيام أُخَر، يهدر دمه.

من لا يرى ذلك الأحداث بأم عينيه، لا يعرف مدى الفوضى الذي ستسببه مثل هذه الحادثة ومدى الصدمات التي ستسببها للناس الأبرياء.والرجال المساكين، يأخذون زوجاتهم وأولادهم ويذهبون إلى الصحراء بلا مكان يجلسون فيه، وأينما ذهبوا لم يكن لهم مكان سوى مسجد ولا سبيل للعيش إلا التسول.

كان الناس في حالة يرثى لها لدرجة أن الشيخ فتح الله كتب مقالاته مواساة للمساكين.

لكن حسين باشا لم ينجح بسبب فسوقه هذا، ومع كل الأضرار التي ألحقها بالناس، أجبر هو نفسه على الفرار مع نسائه وأطفاله.ولأنه لم يكن مرحّبا به في إيران،

---

(١) (*) العلية هي مدينة القرنة الواقعة شمال مدينة البصرة بمسافة تقدر بـ(٧٥) كيلومتر عند ملتقى نهر دجلة والفرات وبداية شط العرب حصّنها حسين افراسياب والي البصرة لتكون خط دفاع أولي للدفاع عن ولاية البصرة من جهة الشمال وسماها العلية تيمناً باسم علي باشا افراسياب الوالي القدير السابق.

ذهب إلى الهند عبر فارس، وهكذا انتهت فترة حكم الديريين في البصرة.

الكعبيون في حكم حسين باشا افراسياب:

كما قلنا، كان الكعبيون حلفاء لعائلة الديريين، وسيطروا على قبان باسم تلك العائلة، ولكن بعد زمن الشيخ بدر بن عثمان، لا نعرف عنهم شيئا، إلى أن يكتب الشيخ فتح الله الكعبي في عهد الحسين باشا في مقالاته شرحا عن نفسه وعن الكعبيين، ونلخص أقواله هنا.

يقول: «عندما وصلتنا أنباء حسين باشا، كنت في ذلك الوقت، في مسقط رأسي، قبان، وحزنت حزنا كثيرا، واستولى علينا خوفاً من الأتراك»، كان علينا الانتقال من هناك.أخذنا بعض متعلقاتنا وجلسنا على متن السفن مع النساء والأطفال وقصدنا إلى ميناء المعشور.

ثم يكتب وصفا بحيث أن السفينة تعثرت في الطريق وأوقعتهم في مجموعة من الصعوبات، لدرجة أن الجميع غضوا الطرف عن الحياة والممتلكات ورأوا الموت ماثلاً أمامهم، ولكن فجأة خرجت السفينة من الطين وأبحرت مرة أخرى.

ويقول بعد الوصول إلى ميناء المعشور: لأنه كان هناك مجاعة، نشاهد أشخاصا يجمعون العظام البالية من هنا وهناك ويعيشون على امتصاص العظام أو امتصاص حبات التمر، بحيث أننا لم نتمكن من العيش هناك وبعد أربعين يوما عدنا إلى قبان مرة أخرى.

كما قلنا، في ذلك الوقت، لم تكن الحكومة التركية قوية جدا في جنوب العراق، وإذا فعلت أحيانا شيئا مع الجيش ووجدت قوة، فإنها ستعيد الجيش بعد فترة طويلة وتترك العراق وشأنه مرة أخرى، وعلى هذا، تعيش معظم القبائل العربية في هذا الجزء من العراق بمفردها.

ويجب أن يقال عن الكعبيين أنهم عاشوا بعد سقوط الديريين مستقلين إلى أن

أصبحوا معتمدين على إيران، كما سنرى لاحقا.لكن في هذه الأوقات لا نعرف الكثير عنهم، إلا أننا نعلم أن هؤلاء الكعبيين كانوا مختلفين جدا عن أسلافهم القدامى، الخفاجة.ويبدو أنه منذ بداية المجيء إلى قبان في ظل الجوار مع المشعشعين وقربهم من فارس ومدن إيران الأخرى، أصبحوا أكثر فأكثر في الحياة الحضرية ويميلون إلى الزراعة ويبتعدون شيئا فشيئا عن حياة الغزو الصحراوي.

لأنه في هذا الوقت نرى أن العلماء ينهضون من بينهم؛ على سبيل المثال، الشيخ فتح الله الكعبي الذي ذكرناه آنفا، درس في شيراز لسنوات عديدة وكان رجل علم، حيث كان قاضيا في البصرة ويمارس القضاء في تلك المدينة لبعض الوقت، وكان والده الشيخ علوان رجلا مثقفا أيضا.

ويبدو أنه كان في هذا الوقت، الذي تبنى الكعبيون المذهب الشيعي وصاروا اتباعا للمشعشعيين وغيرهم من العرب.لأن خفاجة، كما يظهر من كتابات ابن أثير وغيره، لم يكن لهم اهتمام بالمذاهب الدينية[1]، ولكن ينبغي أن يقال ما كان مذهبهم إلا السرقة وقطع الطرق.

الكعبيون في نهاية العهد الصفوي وفي عهد نادر شاه:

بدأ كتاب تاريخ كعب، الذي ذكرناه في مكان آخر، الحديث سنة ١١٠٦، ووفقا له، في نهاية العصر الصفوي، كان الكعبيون يعيشون تحت إشراف شيوخهم.وقال «في سنة ١١٠٦ انتشر الطاعون في البصرة وحواليها ووصل إلى قبان ودمر الكثير من الناس.ثم تسلم علي بن ناصر بن محمد الأمر في قبان وقتل بيد الكعبيين، وبعده أصبح عبد الله بن ناصر حاكما وقتل، وحكم سرحان فقتل، وحكم رحمة فقتل.نهاية حكم هؤلاء الأربعة كان سنة ١١٣٥، واستمر حكمهم ثلاثة وثلاثين سنة، ثم صار فرج الله حاكما.»

---

(١) من الواضح أن الأشخاص الذين يقطعون طريق الحجاج، ما كان عندهم ديانة ولا مذهب ويتبرؤون منه، كما كتبوا في قصص تاريخية عنهم أنهم ارتكبوا فظائع في كربلاء الإمام الحسين وفي مشهده.

كان فرج الله هذا في عهد نادر شاه.كما كتبنا، في عهد نادر (سنة ١١٤٦) قامت ثورة محمد خان البلوش، وقام أيضا أهل تستر وعرب الاقليم بالثورة بمساعدته.وفي نفس الوقت غزا الكعبيون مدينة دورق ومحيطها من الجنوب وشنوا حملة وهجوما عليها، وفي هذا الوقت ظهر اسم الكعبيين لأول مرة في التواريخ الفارسية.

وذكرنا أيضا أنه في تلك الحادثة، عندما أتى نادر إلى الاقليم، أرسل محمد الحسين خان قاجار لمعاقبة آل الكثير والكعبيين.مما يستنتج من كتابات ميرزا مهدي خان وكتابات تاريخ الكعب، أنه حاصر محمد الحسين خان حصن قبان وشدد اجراءات الحصار على الكعبيين، بحيث خضع الكعبيون وهانوا وطلبوا الأمان(١).ويجب أن يقال إن الكعبيين قبلوا التفاهم مع الايرانيين وأسسوا امارة لهم منذ ذلك الحين، وعادت أرض قبان لامارة كعب البوناصر بعد أكثر من مائة وأربعين سنة من وقوعها في أيدي ولاة البصرة.

كان الكعبيون على صلة بالايرانيين بكل الطرق، حتى نهاية عهد نادر، رغم أنهم لم يتخلوا عن حاكم البصرة باسم الجوار.كما في ١١٤٧، عندما اندلعت حرب بين المنتفق مع والي البصرة، ذهب الشيخ فرج الله لمساعدة الحاكم مع مجموعة من الكعبيين وقتل في الحرب.

---

(١) في الطبعات الثلاث لجهان كشا، كانت العبارة كما يلي: «إنه المتمردين وشيوخ العرب الذين عاشوا في قلعة كوبي ...لجأوا وطلبوا الأمان وتعهدوا بالخدمة والطاعة».فكان المقصود من كوبى هو «القبان» وذكر محرفا، وفي مخطوطة أخرى ذكر «الكعبي» بدلا منه.على أي حال، فمن المؤكد أن محمد حسين خان حاصر الكعبيين في قبان، كما هو مكتوب في كتاب تاريخ الكعب: «تم حكم فرج الله ووقع في زمانه حصار أميان وكان محاصره هم محمد حسين خان القجري وعدد عساكره ثلاثة وثمانون ألف من العجم والأكراد وذبحوا أعداد من كعب وكانوا يومئذ بالقبان في سنة ١١٤٦» على الرغم من أن كلمة «أميان» في هذه العبارة غير واضحة أيضا، إلا أن النقطة الأساسية واضحة.يذكر ميرزا مهدي خان، أن نادر أرسل مرسوما لمحمد حسين خان بنقل شيوخ الكعب مع أولاد آل الكثير الفارسيين، وإرسالهم إلى أستر آباد عبر خرم آباد.ولكن يبدو أنه من الشيوخ، لأنه لا يصدق أن الكعبيين هزموا جيش نادر، وقتلوهم، ولا يزالون يطيعونه.

بعد فرج الله، أصبح الشيخ طهماز كبيرا للكعبيين، لكن لم يمض أكثر من سنة إلى أن أصبح الشيخ سلمان (الذي سنعرفه جيدا في ما بعد) وأخوه عثمان شريكين للشيخ طهماز.ثم في سنة ١١٥٠ قُتل الشيخ طهماز وحل محله ابنه بندر. لكن لم يمض أكثر من شهرين، فقتله سلمان، وتولى هو وأخوه عثمان السيطرة على الكعبيين بشكل مستقل.

في ذلك الوقت، وفي سنة ١١٥٦هـ - ١٧٤٣م[١]، حاصر خواجه خان سردار البصرة بأمر من نادر[٢][*].

كان الشيخ سلمان مع الجيش الإيراني في هذه الحملة، وسيطر على قلعة كردلان أو قردلان، التي أقيمت أمام البصرة على الجانب الآخر من شط العرب، على اسم الحكومة الإيرانية.

دخول الكعبيين إلى الدورق (الفلاحية):

حتى سنة ١١٦٠، عندما قُتل نادر شاه، كان الكعبيون في أرض قبان، لكنهم ظلوا لسنوات يطمعون في أرض الدورق وكانوا على أمل السيطرة على تلك المقاطعة.ولأنهم كانوا خائفين من غضب نادر، كانوا ينتظرون موته.ولأنه كانت هناك أعمال شغب وفي ١١٦٠هـ انتشر خبر وفاة نادر، ثار الكعبيون بلا تمهل، واتجهوا نحو الدورق بنسائهم واطفالهم ومواشيهم، ولكن لأنهم ما زالوا لا يؤمنون بوفاة نادر، ولا يزالون خائفين منه، فقد نزلوا فيما يسمى بـ «شاخة الخان» في تاريخ كعب، وظلوا قلقين ليصل أخبار أخرى، وحينما تيقنوا من قصة موت نادر، توجهوا إلى الدورق مرة أخرى، وأخرجوا قبائل أفشار الذين كانوا يعيشون هناك واستقرَّ الكعبيون هناك بأنفسهم.

(١) ذكر في تاريخ الكعب أنه كان سنة ١١٥٥.

(٢).(*) مجلة الاستاذ، ع١٤، ١٩٧٧ - ١٩٧٨، ص٢٧١.

كما قلنا سابقاً، كان زعيم الكعبيين في ذلك الوقت، هو الشيخ سلمان وأخوه عثمان، وكان هذا الشيخ سلمان رجلا ماهرا ويقظا للغاية.وكان نيبور[1] السائح الألماني الذي في نفس الوقت قام برحلة حول الاحواز والعراق يثني على الشيخ سلمان ويقول: إنه يعرف جيدا كيف يستغل الاضطرابات في إيران وعجز حكام البصرة، عندما استقروا هناك بعد وصولهم إلى الدورق، وانطلق الشيخ سلمان إلى مدن أخرى وفي غضون سنوات قليلة اتسع حكمه من هنديجان على الحدود الفارسية إلى الجانب الآخر من شط العرب، ثم قام بصنع السفن وشغلها في شط العرب والكارون والخليج العربي أيضاً، وهكذا زاد في قوته أكثر من ذي قبل[2](*).

سبب آخر لقدرة الشيخ سلمان هو أنه حينما لم يكن هناك أمن في جميع أنحاء الاقليم، وكان اللصوص وقطاع الطرق في كل مكان، ساد الأمن في كل زاوية من أراضيه في عهده كما يكتب مؤلف كتاب تذكرة تستر الذي ذهب إلى الدورق عند الشيخ سلمان في الوقت نفسه ويقول: «من حسن سياسة شيخ سلمان هو أنه لم يكن هناك في المناطق التي تحت سيطرته سارق أو قاطع طريق إطلاقا، وتتزين العمياء من النساء بالذهب الكثير، وفي الليل المظلم تتنقل من قرية إلى قرية أخرى، ولا يمكن لأحد أن يتعرض لها».

كما أن من أعمال الشيخ سلمان هي عمران مدينة الفلاحية، وقبل ذلك الوقت كانت مدينة هذه الأرض تسمى الدورق وهي إحدى مدن الاقليم القديمة، وباسمها كانت تسمى كل تلك المناطق الدورق، ويبدو أن الفلاحية كانت قرية[3].زاد الشيخ

(1) Niebuhr.

(٢) (*) دايل الخليج القسم التأريخي ج٥/ ٥، ص٢٤٠٤، أعيان الشيعة، ج٥٣٥، ص٣٩٧، تاريخ العراق في أربعة قرون، ص١٦٧.

(٣) يبدو أن عمرانها بدأ على يد الشيخ سلمان سنة ١٢٦٢.لأن في بعض التواريخ كتب مازحا أو عداوة أنه «في الفلاحية خنزير سكن».(يجب قراءة فاء الفلاحية كمتحدثين باللغة الفارسية أو مثل عرب الأحواز أنفسهم، ينطق هاء وليس تاء، ويعد الياء بالشد يائين).ذكر في بعض الكتب أن الشيخ سلمان

سلمان عمرانها وجعلها مدينة وبنى حولها جداراً أو حصناً حكيماً، التي أصبحت منذ ذلك الحين مقر الحاكم، وسميت بعدها كل تلك المناطق باسم الفلاحية، وهجرت مدينة الدورق شيئا فشيئا وأهملت، ويمكن رؤية أنقاضها الآن في غضون بضعة أميال من الفلاحية.

بناء السد أمام كارون بيد الشيخ سلمان:

إلى جانب كل تلك الأمور، كان الشيخ سلمان رجلا محبا للقرية، ويسعى دائما من أجل خضرة الأراضي ويبني القرى. والذين لديهم معرفة عن الاقليم يعرفون تماما هذا ومن ناحية، فإن أرضها تعد من أكثر الأراضي خصوبة، ومن ناحية أخرى، تتدفق أكبر أنهار الاقليم من تلك الأرض، ومع ذلك، فإن معظم أجزائها صحراء قاحلة، والسبب في ذلك هو عمق الأنهار التي لا تستقر فيها المياه على الاراضي المحيطة، إلا في الأماكن التي يكون فيها السد أمام النهر كي ترفع المياه، ومن هنا، فإن موضوع السد مهم في الاقليم، وقد أسس كل من الملوك القدامى الصالحين سدوداً هناك.

كما أن الشيخ سلمان يريد تطوير الجزء الجنوبي من الاقليم، لهذا العمل بنى سدا أمام كارون في مكان يعرف باسم السابلة، وكانت قربه فتحة جدول قبان، بحيث يصب الماء الصاعد إلى جدول قبان بوفرة، ثم فصل سلسلة من الجداول الأخرى عن اليسار واليمين، ليصبح جميع أنحاء تلك الأراضي، في فراسخ، إلى أراضي صالحة للزرع، إذ لا تزال علامة بعض تلك الجداول متبقية.

بنى الفلاحية، لكننا لم نقبل ذلك القول، وقلنا أن الفلاحية كانت قرية والشيخ سلمان جعلها مدينة. والسبب في ذلك هو اسم الفلاحية نفسه، لأنه إذا كان بناها الشيخ سلمان، فلماذا سماها الفلاحية وليست السلمانية؟ وبعد ذلك نعلم من البحث والتجربة أن المدينة لن تظهر إلا إذا كانت هناك ضيعة أو قرية في مكان ما، كما شرحنا هذه المسألة في مكان آخر.

ميجر كينيرا، الرجل الإنجليزي الذي عاش في الاقليم لبضعة أشهر في عهد فتح علي شاه، يبدو أنه رأى الأجزاء المكسورة من ذلك السد الذي بناه الشيخ سلمان ويقول: لو لم يكسر كريم خان ذلك السد، لكان قد صمد لقرون.على الرغم من أننا قلنا، وفقا لمؤلف التذكرة، أنه سافر هو نفسه إلى الشيخ سلمان، ورأى أن أساس السد كان من الخشب والقصب.وأيضا كان للشيخ سلمان قصرا في قرية السابلة.

حملة كريم خان على الشيخ سلمان:

في الوقت الذي كان يحاول الشيخ سلمان في تطوير وتنمية الاقليم، وطوال فترة حكمه، كان الناس آمنون ومريحون يعملون في الزراعة والتجارة، كانت هناك أشد أعمال الشغب وانعدام الأمن في أجزاء أخرى من الاقليم (الحويزة، وتستر، ودزفول)، كما ذكرناه آنفا.أيضا في أجزاء أخرى من البلاد، من العراق وأذربيجان وفارس وخراسان، كانت مثيرات الفتنة والاضطرابات شديدة التأثير؛ وظهر كل من كريم خان وآزاد خان ومحمد حسن خان من زاوية ويسعى كل منهم ليحقق حلمه في الإمارة والحكومة، وأصبحت المناطق الإيرانية ساحة تنافس لهؤلاء الطامعين.

نتيجة لأعمال الشغب هذه، لم يفكر أحد في الشيخ سلمان لسنوات عديدة، وكان مرتاحا للقيام بأعماله الحكيمة.ولكن في سنة ١١٧٠، وقد مرت عشر سنوات على مجيء الكعبيين في الفلاحية، على ما يبدو، حدثت مصيبة للشيخ سلمان لأول مرة، في هذا الوقت، جاء كريم خان، الذي نظم شؤونه بعد حروب عديدة وجعل فارس ملكه، إلى منطقة كهكيلويه وهو يقصد إلى حصن بهبهان، والظاهر أنه بعد ذلك الأمر قصد إلى الكعبيين.

لم يذكر هذه الحكاية في تاريخ الزنديّة قط، ولم يرد ذكرها إلا في كتاب تاريخ الكعب، ولا يقول أكثر من ذلك أنه: «حاصر كريم الزند خان سنة ١١٧٠هـ حصن الفلاحية ولكنه لم يستطع اقتحامه لمناعته وعاد يائسا» ولا نعرف مدى صحة ذلك القول.

حملة والي بغداد والمولى مطلب على الكعبيين

بعد تلك القصة لا يوجد أخبار عن الكعبيين، ويبدو أنهم كانوا يعيشون في سلام وحرية، حتى سنة ١١٧٥، جاء إليهم والي بغداد والمولى مطلب المشعشعي بجيش كبير.

بما أن الكعبيين كانوا يعيشون في قبان منذ فترة طويلة، وبعد انتقالهم إلى الدورق، لا يزال بعضهم باقي في قبان، كانت ولاة بغداد يحسبون أن قبان جزء من البصرة والكعبيين من رعايا الحكومة العثمانية فكانوا ينتظرون منهم الطاعة ودفع الضريبة، ولكن الشيخ سلمان لم يدفع لهم الخراج، وبدلا من ذلك كان يسيء إلى رعايا العثمانيين في البر والبحر.ولم تتردد كعب في الغزو والنهب.من هنا،كان قلبهم مليئا بالاستياء ويترصدون فرصة لغزوهم.وكان المولى مطلب غاضبا جدا عليهم لأن الكعبيين أصبحوا قوة في جواره، هذا، وأنه تواطأ مع علي باشا والي بغداد، وأعدوا جيشا كبيرا واقتادوه إلى الفلاحية، ولكنهم لم يفعلوا شيئا مع كل ذلك الجيش وعادوا يائسين.

بعد فترة وجيزة من هذه الحملة، قاتل المولى مطلب مع زكي خان زند وقتله بيده. لكن علي باشا مرة أخرى في سنة ١١٧٧، حشد جيشا كبيرا من الأكراد والأتراك والعرب، وهاجم الفلاحية وهذه المرة أيضا لم يفعل شيئا، وعاد يائسا.

يذكر خورشيد باشا في كتابه[1] على هزائم علي باشا هذه ويقول: «مع أنه عاقب الكعبيين ولكن لسبب لا نعرفه فقد أخضعهم وجعلهم رعاياه»، ولكن هذه الكلمات ليس لها قيمة تاريخية.

---

(١) في عهد ناصر الدين شاه، قام ممثلو العثمانيين وإيران بزيارة حدود هذين البلدين، والتي سوف نذكرها.رافق خورشيد باشا الممثلين العثمانيين وسكرتيرهم وكتب كتابا نسميه «كتاب خورشيد باشا».وبحسبه فإن قصة حملة علي باشا كتبت في كتاب كلشن (روضة) الخلفا، ونُشر هذا الكتاب، ولكننا لم نتمكن من العثور عليه.

في هذا الوقت، استولى كريم خان، بعد سنوات من محاولته القضاء على خصومه، على مملكة إيران. والي البصرة، الذي لم يستطع السيطرة على الكعبيين بنفسه، رأى أنه من المناسب تحريض كريم خان على عداوتهم، وبعث إليه برسالة مع مبعوثيه، وعد فيها أنه إذا قصد الجيش الإيراني إلى الفلاحية لقمع الكعبيين وإذا تمت الحرب في تلك المناطق، فإن حاكم البصرة سيكون مسؤولا عن طعام كل ذلك الجيش، وكذلك، ترسل من البصرة إليهم السفن التي يطلبوها.

يقول ميرزا محمد صادق نامي في تاريخ الزندية: ذكر الباشا في رسالته إلى كريم خان هذا الكلام: «سكن الشيخ سلمان بني كعب، وكان هو من عشائر الحدود العثمانية، لبعض الوقت في أحياء الدورق ...».

إذا لم يكن نامي قد اختلق هذا الكلام من عنده باسم رسالة الباشا[1]، يجب أن نقول إن والي بغداد خدع كريم خان وقدم عذرا لتدخله في عمل رعايا الاقليم، لأن كما قلنا مضى أكثر من مائة وستين سنة على أن الكعبيين يعيشون في أرض الاقليم، ومن منطقة قبان جاءوا إلى الفلاحية. إذا كان والي بغداد يعد قبان جزءا من البصرة، فإن اسم البادية لا معنى له[2].

(١) لأن هؤلاء المؤرخين لم يخشوا كتابة كلمات من أنفسهم باسم ملك معين أو الوزير. إذا كانت كتاباتهم صحيحة، فينبغي أن يقال إن نادر شاه وكريم خان وناصر الدين يتحدثون دائما بالسجع والروي، وفي أحاديثهم كتبوا مرارا وتكرارا الفلسفة والحكمة واستشهدوا بآيات قرآنية وأحاديث! على وجه الخصوص، ميرزا محمد صادق هذا، والذي كان رجلا جاهلا وكان يعتقد هو نفسه أن الكعبيين أتت إلى إيران من الدولة العثمانية بعد وفاة نادر، حيث يكتب: لا يخفى على أهل اللغة العربية والفارسية أن الشيخ سلمان بني كعب كان من العرب البدو في الأراضي العثمانية وكان يأخذ الضريبة من قادة تلك الحدود والنواحي. بعد انهيار حكومة نادر شاه، أزعج من والي بغداد والبصرة ...وصحب معه عشيرة بني كعب والتي كانت ألفي أسرة ...عبر شط العرب واستقر في منطقة دورق من مدن الأحواز وبجوار شط العرب ...» ولا يستبعد أنه ضمن في عنوان رسالته للوالي هذا الكلام المغلوط.

(٢) كتاب تاريخ كعب، تاريخ الزندية، تأليف ميرزا محمد صادق نامي.

حملة كريم خان على الاقليم:

كان لكريم خان معسكرٌ في منطقة السيلاخور عندما جاء إليه مبعوثو والي بغداد، وبلغوا رسالة الوالي.

يقول في تاريخ الزندية: إن الوكيل تحدث إليه مرة أو مرتين من قبل عن معاقبة الكعبيين.لكن الشيخ سلمان يحترم إيران، ولم يصل في البر والبحر، من شعبه إلى الرعايا الإيرانيين آفة ولا ضرر، ولهذا السبب لم يتعجل الوكيل في قمعه.

ولكن عندما وصلت رسالة والي بغداد، تم قبول طلبه وغادر إلى الاقليم عبر لرستان مع الجيش.ولما وصل مدينة دزفول، اشتكى الناس هناك من أعراب بني لام، وتمادوا بسبب الاضطرابات في إيران، وشنوا حملة وهجوما حول دزفول.

أرسل كريم خان نظر علي خان زند مع مجموعة من الجنود إلى بني لام، لكنهم لم يجدوا القبيلة مكانها.وعندما عادوا طلب منهم كريم خان، أن يهاجموا آل كثير فنهبوا كل ما يملكون، لأن آل كثير كانوا ولا يزالون معادين لكريم خان، وفي هذه المرة عندما قصد إليهم مع الجيش وهو يبعد عنهم بضعة فراسخ، لم يذعنوا له ولم يقبلوا الطاعة له.

مكث كريم خان في دزفول لمدة يومين وأخذ عشرين ألف تومان من أهل تلك المدينة ورؤساء تستر الذين كانوا هناك بالاستقبال، وخرج وهو يقصد تستر.وبما أنه حل شهر رمضان وكان الاحتفال بعيد النوروز قريبا، أقام معسكرا خارج تستر واستقر هناك لفترة.

كما ذكرنا، كانت تستر عِشَّ الأوباش في ذلك الوقت، ولا نعرف ما فعله كريم خان بهم وكيف عاقبهم على مدى سنواتهم العديدة من العصيان.

بعد الاحتفال بعيد النوروز، قاموا من هناك وذهبوا إلى الفلاحية، وكلما وصلوا إلى أي نهر بنوا فوقه جسرا وعبروه حتى اقتربوا من مدينة الفلاحية.وعلموا هناك أن الشيخ سلمان، لم يستطع التحمل، نقل الكعبيين من الفلاحية قبل وصول ذلك الجيش

ببضعة أيام، وأنه يعيش في حصن الحفار بمفرده وممتلكاته.

مكث كريم خان في الفلاحية ثلاثة أيام، وفي غضون ذلك وصل الخبر بأن الشيخ سلمان لم يستطع المكوث في الحفار وفر إلى جزيرة محرزي[1].خرج كريم خان من الفلاحية وبنى معسكرا قرب قبان والحفار، وأرسل أشخاصا إلى حاكم البصرة الذي بعث برسالة مفادها أنه يقدم الأرز والقمح والشعير للجيش كما وعد والي بغداد، كما يرسل السفن لمطاردة الكعبيين في البحر.وأرسل حاكم البصرة سفينتين (زورقين) مليئتين بالتمر وأيضا سفينة ذهبية ومزينة لنفسه.لكنه اعتذر عن إرسال الطعام والسفينة، ويبدو أنه خاف من قرب ذلك الجيش الكبير من أطراف البصرة، ولم يرض بوجود كريم خان في تلك النواحي.

نعم، عبر كريم خان نهر بهمنشير ووصل إلى جزيرة محرزي.ووضع مجموعة يقودها زكي خان في السفن التي أعدها وأرسلها والي الحويزة وأرسلها إلى الكعبيين عبر شط العرب، لكن الشيخ سلمان لم يمكث هناك وكان قد هرب إلى البحر.

كريم خان، حينما كان في تلك النواحي، وحطم حصن الحفار وكسر سد السابلة، الذي قلنا أنه بناه الشيخ سلمان، ووفقا لتاريخ الزندية، كان «نموذجا لسد الإسكندر». لكن هذا أحد الأعمال السوداء لكريم خان، لأنه في أرض مثل الاقليم، يعد بناء السد وسرادق واحدة من أعظم الأعمال ويسبب في تنمية المدن وتطويرها واخضرار الحقول.وعلى هذا، أن الملوك الفاضلين والحكماء قد أنفقوا أموالا ضخمة وبنوا هناك سدودا وسرادق.كان على كريم خان أيضا أن يبني سدا أو يعوض عن انكسار السد، ولا أن يحطم سدا صامدا الذي كان سببا في اخضرار عدة فراسخ من الأراضي.

في كتاب تاريخ كعب يقول: وبتوجيه من رجل عربي كسر كريم خان ذلك السد. على أية حال، كان أمرا بشعا للغاية، وكانت نتيجة ذلك الأمر أن تحولت مدينة قبان

(١) المقصود جزيرة عبادان، والتي تسمى أيضا جزيرة الخضر، والآن، المحرزي قرية وبها بستان نخيل في شمال تلك الجزيرة على جنب بهمن شير، وربما أيضا، كانت قلعة محرزي هناك.

إلى الدمار ودمرت قراها وأراضيها المعمورة.التي لا يمكن الآن العثور على أراضي معمورة ومخضرة في جميع أنحائها[1].

يمكن القول أن حملة كريم خان ضد الشيخ سلمان لم تكن سوى خطأ لأن الشيخ سلمان الذي سفك الدماء لطرد والي بغداد، وهكذا نشأت عداوة بينهم، لم يعد يحارب كريم خان.إذا أرسل كريم خان من يطيعه، فإن الشيخ سلمان يطيع أمره.كان سلمان رجلا حكيما وكان مهتما جدا بالقرى والأراضي المعمورة التي أقامها في قبان ودورق.ومع ذلك لم يكن من المتوقع أن يكون على عداوة مع كريم خان.ويقول مؤرخ الزندية بوضوح أن الكعبين كانوا يحمون إيران برا وبحرا ولا يؤذون الإيرانيين، ويجب أن يقال أن والي بغداد خدع كريم خان، وفعل ما لا يستحقه.

طلب الشيخ سلمان الأمان من كريم خان:

ولما انسحب الكعبيون إلى البحر تبعتهم سفن حاكم البصرة، تطاردهم من جزيرة إلى أخرى.رأى الشيخ سلمان أنه من الأفضل أن يلتمس عذرا من كريم خان ويطلب منه العفو.هذا، وأنه أرسل مبعوثا إليه واعتذر عن الماضي وطلب الأمان للمستقبل. وتعهد بأنه إذا انسحب الجيش الإيراني من الدورق وسمح للكعبيين بالعودة إلى هناك، ، لا يتبعون مرة أخرى إلا طريق التبعية والطاعة ويدفعون جزية سنوية.

في تاريخ الزنديّة يقول: إنَّ الكعبيين كانوا على معتقد مذهب الشيعة بين العرب البدو، ومن ناحية أخرى، أصبحت حرارة الاقليم قاسية جدا ومشتعلة بحيث أن الجيوش لا تستطيع الصمود، فقَبِل كريم خان طلب شيخ الكعبيين بسهولة.وأخذ الجيش من هناك وغادر إلى فارس عبر خيرآباد وزيديان.وهناك جاءه نجل الشيخ

(١) يتراكم جدول قبان الآن من جانب كارون الذي لا يحتوي على ماء، لكنه مفتوح من جانب البحر، حيث تصل المياه إلى قرب أنقاض قبان وحتى أعلى منها، ويمكن للسفن الصغيرة أن تبحر وتتنقل فيه.

سلمان وأحضر له بعض الهدايا وتعهد بدفع ثلاثة آلاف تومان سنويا، وبهذه الطريقة حلت الموضوع، وارتاح الكعبيون[1].

نهاية أمر الشيخ سلمان:

كما هو مكتوب، في السنة نفسها من حملة كريم خان (قبل أو بعد هذه الحادثة)، توفي عثمان أخ لسلمان، لكن سلمان نفسه كان على قيد الحياة لبضع سنوات أخرى وأطاع كريم خان.

كما قلنا، قبل هذه الحادثة، كانت سمعة الشيخ سلمان قد وصلت إلى كل من حوله، سواء في قدرته وقوته، أو في مهارته ودمقراطيته، وشغل سفنا في شط العرب إلى الخليج العربي وقد سيطر على كل تلك النواحي.وفقا لنيبور، في سنة ١١٧٨، عندما قاد كريم خان حملة ضده، كان قد بلغ عدد سفنه عشر سفن كبيرة وسبعين سفينة صغيرة، واستعان رجاله بهذه السفن فقاموا بالتعدي على جميع الموانئ والجزر المجاورة.ومع كل الراحة والأمان التي كانت في مملكة سلمان، لم يجرؤ أحد على السرقة أو قطع الطريق.كان رجاله في البحر من أشهر اللصوص وقطاع الطريق الذين ينهبون ممتلكات كل سفينة يعثرون عليها، بحيث نهبوا عدة سفن بريطانية التي وصلت إلى الخليج، ومن هنا وصلت شهرة شيخ الكعب وأفراده إلى أوروبا.[2]

لكن بعد ذلك، أضرّ كريم خان بسمعة شيخ الكعب وقدرته بشكل كبير، بحيث لم يحاول إغلاق سد السابلة من جديد، وهو كان على قيد الحياة لخمس سنوات أخرى، ودمرت الأراضي المعمورة التي نتجت عن ذلك السد مرة أخرى[3].

(١) كتيب تاريخ الكعب وتاريخ الزندية.

(٢) تاريخ الكعب.نيبور (لم نعثر على نيبور نفسه، واكتفينا بما نقله البارون دبود من ذلك الكتاب).

(٣) في تاريخ الكعب.كتاب نيبور (لم نعثر على نيبور نفسه، واكتفينا بما نقله البارون دبود من ذلك الكتاب).

خلفاء الشيخ سلمان:

في سنة ١١٨٢، توفي الشيخ سلمان وخلف ابنه الشيخ غانم.كتب في تاريخ الكعب عن حربه مع أهل عمان قائلا إن غانم قتل الكثير من العمانيين.

لكن فترة حكمه كانت قصيرة وفي سنة ١١٨٣ قتله الكعبيون وخلفه أخوه الشيخ داوود أيضاً.لكن في السنة التالية، قتلوا أيضا داوود، وأصبح الشيخ بركات، ابن عثمان (شقيق سلمان)، شيخ القبيلة.

في هذه الأثناء، في سنة ١١٨٦، انتشر طاعون شديد في العراق وفي بعض مدن الاقليم، مما أدى إلى تدمير عدد كبير من الناس.

في شتاء ١١٨٧، نوى كريم خان احتلال البصرة.جاء شقيقه صادق خان بجيش كبير عبر كهكيلويه إلى تستر ومنها إلى الحويزة، وعبر من شط العرب وذهب إلى البصرة وحاصر تلك المدينة.

يعد هذا الصراع والحرب من أعظم الأحداث في زمن كريم خان، وتأخر الجيش الإيراني خارج البصرة أربعة عشر شهرا حتى فتحوا المدينة.في كل تلك النزاعات، كان الكعبيون مع صادق خان ولم يترددوا في المحاولة والمساعدة.

يكتب البارون دبود: كريم خان، مكافأة لتضحية شيخ الكعب في هذه الحملة، ترك مدينة هندجان وقريتها له ليسكن الكعبيون هناك وأن يدفع خراجها ألف تومان سنويا.

في سنة ١١٩٣، عندما توفي كريم خان، اندلعت أعمال الشغب والفوضى في إيران مرة أخرى.تشاجر الزنديون على العرش لسنوات عديدة، وكانوا يحاولون باستئصال بعضهم البعض.من ناحية أخرى، ظهر آغا محمد خان قاجار، من أسترآباد ومازندران، يسعى من أجل السيطرة على العرش.وتندلع حروب متتالية.كان من الواضح أنه لم تتح الفرصة لأحد التفكير في الاقليم، وهذا هو أنه إلى وقت طويل في تاريخ إيران، لم يتم ذكر اسم الكعبيين وغيرهم من العشائر الأخرى في الاقليم.

إلا أن ميرزا علي رضا في تاريخه الزندية في سنة ١٢٠٢ يذكر ذهاب محمد جعفر خان إلى كهكيلوي والاقليم من أجل ترتيب وأمن تلك المناطق.يمكن القول أنه حتى عهد فتح علي شاه، عاش أهل الاقليم، ولا سيما الكعبيون، مستقلين ومتمردين ولم يعترفوا بأي شخص ملكاً لهم حتى يدفعوا الخراج له.

يصف في تاريخ الكعب أنَّ الكعبيين في عصر تمردهم هذا.زائدة، ولما أنَّ الزنديين تركوا البصرة بعد وفاة كريم خان، عاد الشيخ بركات الكعبي إلى الفلاحية قصد مع جيشه إلى رامهرمز وهندجان واستولى على تلك المناطق.وأصبحت قوته قوة كبيرة إذ أنه من مينائي بوشهر وعُمان إلى قرب البصرة، يدفع له الناس الخراج.

ولما قُتل الشيخ بركات سنة ١١٩٧ خلفه الشيخ غضبان.وكانت هناك حروب كثيرة في عهده: أولا، قام سليمان باشا والي بغداد بمساعدة شيخ المنتفق بالحرب ضد الكعبيين.فجهز أهل عدن والبصرة وجميع الموانئ والبحر وقصد إلى محاربة الكعبيين، وفي كل هذه الحروب انتصر الكعبيون ولم يفعل الأعداء شيئا ويعدوا خالي الوفاض.استولى الشيخ غضبان مرة اخرى على رامهرمز وهندجان الذين فقدهما من قبل، وسفك دماء العديد من الناس.

يقول مؤلف تاريخ كعب: أحداث زمن الشيخ مبارك كثيرة، لكن بعد فترة قتلوه وحل مكانه الشيخ مبارك نجل بركات.في سنة ١٢٠٩، خلعه الكعبيون واختاروا فارس ابن داوود شيخا لهم.وبعد سنة، طُرد وانتُخب الشيخ محمد بن بركات شيخا. وانتهى عصر التمرد والفوضى في إيران لحد هذا الوقت، بعد أن استولى القاجاريون على العرش.

الاقليم في بداية الحكومة القاجارية:

بدأت الدولة القاجارية في بداية القرن الثالث عشر الهجري، إذ حاول آغا محمد خان، مؤسس العائلة، منذ سنة ١١٩٣، عندما توفي كريم خان، ولكن في سنة ١٢٠٥،

استولى على شيراز، عرش الزنديين، وعيّن ابن أخيه فتح علي خان حاكما هناك، ثم في سنة ١٢٠٨ اعتقل لطف علي خان، وهو آخر ناج من الزنديين وقتله.

في هذا الوقت، تم تقسيم الاقليم إلى عدة أجزاء، فيعيش كل من مدينة تستر، ومدينة دزفول، وعشيرة آل كثير، وعشيرة المشعشعيين والكعبيون، ولا يخافون آغا محمد خان أبدا تمرداً منفصلاً.

وفي سنة ١٢١٢ قُتل آغا محمد خان في انتفاضة وتولى ابن أخيه فتح علي خان العرش، وشيئا فشيئا اختفت أعمال الشغب، وتم تنظيم الأمور، هذه المرة تم تقسيم الأحواز إلى قسمين: فتم إلحاق الجزء الشمالي والذي يشمل تستر ودزفول والحويزة، بكرمانشاه، وتم تسليمه إلى محمد علي ميرزا دولت شاه، وتم إلحاق الجزء الجنوبي والذي يشمل رامهرمز، والفلاحية، وهندجان إلى فارس، وتم تسليمه إلى حسين قلي ميرزا ، ابن آخر لفتح علي شاه، ونتحدث أيضا عن كل قسم على حدة.

إغلاق سد الميزان بيد محمد علي ميرزا دولة شاه:

لقد تحدثنا عن تستر ودزفول حتى زمن كريم خان.بعد وفاة كريم خان في أعمال الشغب التي اندلعت، لم تعد لدينا معرفة جيدة عن أوضاع هاتين المدينتين وأعمال الأوباش هناك، إلا أنه في تستر، كما ذكرناه آنفا، كان السيد فرج الله كلانتر زعيم المتمردين وبعد وفاته قتل ابنه السيد أسد الله.في زمن آغا محمد خان، كان أبو الفتح خان هو الابن الثاني للسيد فرج الله خان، وسلمه آغا محمد خان حكم تستر.

في هذا الأثناء، كانت الازدواجية بين حيدري ونعمتي شائعة وكان هناك دائما الكثير من العداء والكراهية بينهم، وكثيرا ما كان الأمر ينتهي إلى سفك الدماء.وأحيانا كانت الحكومة تُعهد إلى عائلة المرعشي، التي عاشت هناك منذ العهد الصفوي وكانت عائلة مشهورة ومحترمة.

لكن محمد علي ميرزا دولة شاه كان الأكبر بين جميع أبناء فتح علي شاه وأحد أمراء القاجاريين الأقوياء والماهرين.قد فعل أشياء عظيمة وترك لنفسه اسما في تاريخ إيران.كما قلنا، كان حاكم كرمانشاه والغرب، وعهد إليه الجزء الشمالي من الاقليم.

في سنة ١٢٢١ قصد دولة شاه إلى الاقليم، وعندما وصل إلى تستر، ألقى القبض على أبي الفتح خان كلانتر الذي ذكرناه، وفقأ عينيه، كما عاقب المتمردين الآخرين معاقبة أخرى.

وإلى وقتنا هذا كانت تستر تعاني من الجفاف، حتى منذ زمن نادر شاه ظل سد ميزان مكسورا، ولحد الآن مرت تسعة وسبعون سنة، وجراء هذا الحادث ظلت مدينة تستر وقرية مياناب دون ماء، وكان الناس في محنة وضنك العيش.

لقد سمع أهالي تستر اسم وشهرة دولة شاه، وعدّوا قدومه هذا إلى تستر فرصة وقدموا إليه الشكوى بانكسار سد ميزان وطالبوا بإغلاقه.قبل دولة شاه طلبهم وطلب المهندس المعماري في كرمانشاه إلى تستر وأمره بإغلاق السد، وعاد هو نفسه إلى كرمانشاه.

بدأ المهندس المعماري بالعمل في الصيف نفسه وأنهى إغلاق السد بصعوبة كبيرة في ثلاث سنوات.أيضا، إعاد بناء عدد قليل من الينابيع من جسر فتح علي خان المكسور.كان في شهر رمضان ١٢٢٤ أن الماء تدفق على فرع الشطيط ودخل أيضا نهر داريان (دشت آباد) وتدفق إلى قرية مياناب، وكان الناس فرحين جدا وبدأوا في الزراعة.

في كتاب «فائق البيان» الذي يصف بناء ذلك السد بالتفصيل[1]، ويتحدث عن أفراح الناس بسبب كثرة الزراعة والخضار والفاكهة الرخيصة التي نشأت من أراضي مياناب في تلك السنة.يقول عدّوا «عمران تستر» مسألة تاريخية.

(١) كتب أحد السادات الجزائريين في تستر كتابا في تفسير آية «أن الله يأمر بالعدل والإحسان» وكتبها باسم دولت شاه وسماه «فائق البيان» وفي المقدمة يصف قصة إغلاق سد الميزان بالتفصيل.

لكن لم تدم هذه الوفرة في الزراعة والفاكهة وسعادة الناس طويلا، وكانت كسحابة الصيف، لأنه في سنة ١٢٢٧، في شهر ربيع الأول، انكسر السد فجأة مرة أخرى وسقط بعد فترة وجيزة.وهكذا، مرة أخرى، صب كل الماء في جدول كركر، وتم إفراغ جو داريان وأصبحت أراضي مياناب جافة، وجفت جميع المحاصيل واختفت.

عندما وصل هذا الخبر إلى محمد علي ميرزا، أرسل المهندس المعماري إلى الاقليم مرة أخرى، وأمره أن يبني السد من جديد.بدأ المهندس المعماري الذي جاء إلى تستر العمل في صيف سنة (١٢٢٧) وحدث أن ضغط الماء زاد عدة مرات خلال الربيع ودمر بالكامل ما بنوه وما لم يتم بناء بعد.ومع ذلك، لم يستسلم المهندس المعماري وانتهى من السد مرة أخرى خلال أربع سنوات.

هذا هو السد الذي أصبح الآن مستقرا ومؤسسا ويسمى سد محمد علي ميرزا أو سد الخاقاني أو على اسمه القديم يسمى سد ميرزا.قد ورد في كتاب فائق البيان طوله وعرضه:

الطول .... ٤٦٧ ذراعا

العرض (من الأسفل والأساس) .... ٥٣ ذراعا

العرض (من فوق ومن تحت السد) .... ٤٤ ذراعا

الارتفاع (في الوسط) .... ٢٠ ذراعا

الارتفاع (في هذا الرأس وتلك) .... ٤ أو ٥ أذرع

في السنة نفسها ١٢٣١، عندما اكتمل سد ميرزا ، جاء محمد علي ميرزا إلى الاقليم لقمع أسد الله خان بختياري، الذي رفع راية تمرده في قلعة ملكان.وكما هو مكتوب في ناسخ التواريخ وتواريخ أخرى، فقد ألقى القبض على أسد خان.وكانت في هذه الرحلة أنه أرسل جيشا على الكعبيين، كما سنكتب لاحقا، وعاد إلى كرمانشاه عندما فرغ من تلك الأمور.

حتى سنة ١٢٣٦، عندما كان على قيد الحياة، كانت حكومة شمال الاقليم تحت

أمره.لسنوات بعد وفاته، كان ابنه محمد الحسين ميرزا حاكم كرمانشاه وهذه المناطق حتى تم عزله، وحل محله محمد تقي ميرزا (حسام السلطنة).ثم أرسلوا محمد حسين ميرزا ليحكم مرة أخرى، وكان على الحكم حتى وفاة فتح علي شاه، إلى أن جعل محمد شاه سنة ١٢٣٩ أخوه بهرام ميرزا حاكما لهذه المناطق(١).

حملة أبناء فتح علي شاه على الكعبيين:

قلنا أن فتح علي شاه جعل الجزء الجنوبي من الاقليم جزءا من فارس وسلمه إلى ابنه حسين علي ميرزا.وقلنا أن هذه المرة كان علوان شيخ الكعبيين، ثم في سنة ١٢١٦ حل محله الشيخ محمد بن بركات.

كان حسين علي ميرزا صغيرا في بداية حكمه، لكن لما كبر أصبح واحدا من الأمراء الأقوياء والماهرين.ومع ذلك، ظل الكعبيون لسنوات عديدة متمردين وأحرارا ولم يقصد إليهم أحد.وإنه، كما يتضح من كتابات ميجر كينيرا، كانت هناك اضطرابات في الجزء الشمالي من الاقليم، الذي كان تحت سيطرة دولة شاه.

ميجر كينيرا هو النائب لسرجان ملكم الشهير، الذي جاء إلى إيران معه وفي سنة ١٢٢٥ مكث في الاقليم لمدة ستة أشهر، وألف كتابا عن جغرافية إيران.يكتب في هذا الكتاب عن انعدام الأمن في طرق الاقليم وعن استبداد بيكر بيكي (حاكم) تستر وسرقة ونهب بختياري في مناطق رامهرمز.كما يتضح من كتاباته أن الشيخ محمد الكعبي لم يكن مطيعا لحكومة القاجار ولم يدفع الضرائب.

في محرم ١٢٢٧ توفي الشيخ محمد وحل محله الشيخ غيث بن غضبان، هو أيضا تبع أسلافه ولم يظهر أي تعاطف وليونة مع الدولة القاجارية.

---

(١) تحفة العالم، فائق البيان، ناسخ التواريخ.

في نفس السنة، فكرت حكومة القاجار، ولأول مرة، في إخضاع الكعبيين، وأرسل عليهم جيشا من فارس، لم يرد في التواريخ الفارسية ذكر من هذه القصة.وفي تاريخ الكعب، الذي ذكرناه، يقول: «أتت الجيوش من إيران لمواجهة الهنود.وكان عدد جنود ميرزا بهبهان يبلغ ٣٠,٠٠٠ جندي.على أي حال، وفقا لتاريخ كعب، جهز الكعبيون أيضا الحرس جيشا وقاتلوا مع الجيش الإيراني بالقرب من ده الملا وهزمهم.وقال «لقد قتلوا عددا كثيرا منهم وحتى خيمة ميرزا».

على ما يبدو، كانت نتيجة الهزيمة هذه لجيش حسين قلي ميرزا، وفي سنة ١٢٣١، كما قلنا أن محمد علي ميرزا جاء إلى الاقليم، وذلك بعد أن قام بعمله في الجزء الشمالي، وانتهى أيضا من عمله في الجزء الجنوبي، فأرسل جيشا على الكعبيين. كما كتب في تاريخ كعب عن هذه الحملة: لم يحدث شيء.ويقول: لكن الأمير عقد الصلح مع الكعبيين للتستر على يأسه.

لكن لا يصدق أن محمد علي ميرزا كان عاجزا عن أمر الكعبيين، واضطر أن يسالم.لأنه، كما هو مكتوب في التواريخ، كان دولة شاه قويا للغاية في ذلك الوقت، ويحارب العثمانيين ويتغلب عليهم.حتى لو قبلنا بهزيمة جيش حسين قلي ميرزا ، فلن نصدق بهوان محمد علي ميرزا هذا.ويبدو أنه كان الوضع يتطلب هوان وخذلان الكعبيين وطلبوا الأمان، ودولة شاه والذي يبدو أنه ما كان متورطا في الحملة، فلم يول اهتماما كبيرا لهذه القضية، فقبل طلبهم، وأمر الجيوش بالعودة.

لقد كانت عادة الكعبيين وأمثالهم على الدوام، أنه حينما يرون الحكومة عاجزة يأخذون في التمرد والعصيان، وبمجرد أن أصبحت الحكومة قادرة وترسل عليهم قوات، يصبحوا خاضعين[1].

(١) ويشير في تاريخ كعب إلى حادثة أخرى بعبارة «ثم جرت مقدمه العجم الشاه زاده في سنة ١٢٣٣».ولكن لأن العبارة قصيرة وغامضة لم نفهم معناها.

البارون دبود الذي سافر إلى الاقليم في بداية عهد محمد شاه وسنذكره، يكتب أيضا عن الكعبيين: «كلما تقوى ملوك إيران، أطاع الكعبيون بتواضع الأوامر ويدفعون الضرائب.لم يطع الكعبيون في بداية عهد فتح علي شاه، ولكنهم قيل إنهم في النهاية أرسلوا الخراج من النقود والخيول العربية إلى حاكم فارس».

يمكن القول أنه حتى سنة ١٢٥٧، عندما عاقب منوتشهر خان، معتمد الدولة، الكعبيين معاقبة شديدة، كانوا يعاملون الحكومة الإيرانية معاملة مزدوجة، بحيث أنهم في بعض الأحيان يدفعون الضرائب وفي بعض الأحيان لا يدفعون، ويعتبرون أنفسهم من رعايا إيران في الظاهر، ويعتبرون أنفسهم أحرارا في الباطن، وكانوا متمردين ومستقلين في أمورهم.كما في تاريخ كعب، في الوقت نفسه، يذكر الشيخ غيث سلسلة من الحوادث التي تحالف فيها الشيخ غيث مع الشيخ حمود، زعيم الحلفاء، بمعاداة والي بغداد أو قتاله، وحصار البصرة.كما يذكر سلسلة من الحروب بين الكعبيين والعشائر العراقية وشعب الكويت وغيرهم.

ومن الواضح أن الدولة القاجارية لم تكن على علم بهذه الأعمال ولم تتدخل، ولجأ إليها الكعبيون تعسفيا ومن عند أنفسهم.

لنعد إلى كلامنا، فإن من أحداث عصر الشيخ غيث هي تمرد الكعبيين ضده، الذي طردوه سنة ١٣٣١، وقبل عبد العلي نجل الشيخ محمد خلفا له.لكن حكم عبد الله لم يدم إلا لسبعة أشهر وبضعة أيام، وعاد الشيخ غيث إلى حكمه.

وحادثة أخرى هي تفشي مرض الكوليرا في الاقليم سنة ١٢٣٦هـ.

قُتل الشيخ غيث سنة ١٢٤٤ على يد الكعبيين.وبعده أصبح أخوه الشيخ مبادر قائدا وانتقم من قتلة أخيه وقتلهم جميعا.

كان في عهد الشيخ مبادر أن ١٢٤٥ عندما جاء فتح علي شاه إلى الاقليم[1].

---

(١) تاريخ كعب، رحلة البارون دبود، الجغرافيا لميجر كينيرا.

مجيء فتح علي شاه إلى الاقليم:

في سنة ١٢٤٥، عندما جاء فتح علي شاه إلى فارس، قصد إلى الاقليم عبر بهبهان. استقبل الشيخ مبادر الشاه بالهدايا ووصل إليه بين بهبهان ورامهرمز. من هناك، ذهب فتح علي شاه إلى تستر ومن تستر إلى دزفول، وعاد إلى العاصمة عبر خورم آباد، ولم يفعل شيئا سوى النزهة والزيارة.

والغريب أن موظفي بلاط فتح علي شاه لم يعدوا وجود الكعبيين مع قوتهم وقدرتهم وتمردهم - كما ذكرنا - يخلق لهم المشاكل والأضرار، ولم يدركوا أبدا أن وجود هؤلاء الأشخاص عند هذه النقطة الحدودية هو أفضل سبب لعجز الحكومة.

في عهد الشيخ مبادر نفسه، جاء ستاكلر البريطاني إلى الاقليم وكتب: أن الشيخ مبادر كان لديه خمسة عشر ألفا من المشاة وستة أو سبعة آلاف من الفرسان ووضع المدافع وسط الفلاحية.

مع كل هذه القدرة، ألا يجب أن يكون خبره من شأنه بأنه له تأثير ما نسبته بإيران ولماذا احتفظ بهذا الفيلق؟! نعم، حكم شيخ مبادر حتى سنة ١٢٤٧، عندما أطيح به وحل محله عبد الله بن محمد، الذي قلنا أنه القائد لمدة سبعة أشهر في عهد الشيخ غيث[1].

الطاعون العظيم في الإقليم:

في سنة ١٢٤٧، انتشر طاعون شديد في الاقليم الذي لم يسبق وجوده ودمر عددا كبيرا من الناس هناك من العرب وغير العرب ودمر العديد من القرى.

في مدينة تستر، دمر الطاعون أكثر من نصف المدينة الذي لا يزال مدمرا، ويذكر الناس الكثير من الأساطير والمبالغات حوله. على سبيل المثال، في واحد تم تجميعه

(١) تاريخ كعب، ناسخ التواريخ.

في نفس الوقت، كتب عن هذا: باستثناء الأجانب، الذين لم يتم إحصاؤهم، تم تدمير ثمانية آلاف من سكان المدينة الأصليين.

ويقول آخر في كتيب بأمر معز الدولة المعنون بإحصاء بلدة تستر وما حولها:

واستمر الطاعون خمسة أشهر أخرى من شوال في تلك السنة إلى صفر، كانت أكبر صعوبة له في شهر ذي.حجة، إذ دمر ثمانية عشر ألفا من سكان تستر في ثلاثة أيام من الاضطرابات.

لكن هذه الكتابات مبالغ فيها، لأن ميجر كينيرا، الذي كان في الاقليم قبل الطاعون، يقول أنه يبلغ عدد أهل تستر أكثر من خمسة عشر ألف شخص.حتى لو عدونا أن هذه الكتابة عنه لا أساس لها، فإن السيد عبد اللطيف التستري، الذي كان له يد طويلة في المبالغة وعاش بالقرب من بداية عهد فتح علي شاه، يحصي عدد المنازل في تستر بأكثر من اثني عشر ألف منزل في ذلك الوقت، ولو صدقنا كلامه، ونحصي لكل بيت خمسة أشخاص، يكون عدد كل أهالي تستر قبل سنة الطاعون ستين ألفا، فكيف يمكن قبول أن ستين ألفا من هؤلاء الناس قد ماتوا، أو مات ثمانية عشر ألف شخص في ثلاثة أيام؟!

البارون دبود، الذي كان في الاقليم بعد عشر سنوات من الطاعون، يسجل عدد الأشخاص في تستر من ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠.إذا قارنا كلامه بكلام ميجر كينيرا، فينبغي أن يقال إن أكثر من أحد عشر ألف شخص من أهالي تستر لم يموتوا من الطاعون. إذا أعددنا أقوال هؤلاء الأوروبيين أقل من العدد الحقيقي بناء على معرفتنا بهم، فسنضاعف أرقامهم، لن يزيد عن اثنين وعشرين ألفا مع عدد قتلى الطاعون.على أي حال، يمكن تصديق أنه في هذا المرض، تم تدمير أو تشتيت نصف السكان، سواء في تستر أو في مدن أخرى في الاقليم.والمثير للدهشة، في كتاب الإحصاء تستر الذي ذكرناه يقول: أن النبي دانيال كتب تعويذة للكوليرا والطاعون وواراه تحت التراب في قلعة الشوش، وبفضل تلك التعويذة، لم تأتِ تلك الآفات إلى تستر ودزفول

قط.إلى أن منذ سنوات قليلة، كان الجواسيس البريطانيون سرقوا ذلك الحجر، ومنذ ذلك الحين انتشر الكوليرا والطاعون في هذه المدينة[1].يقول: «منذ سنة ١٢٤٧، عندما تفشى الطاعون العظيم، تكرار حدوث الكوليرا ست مرات أخرى في تستر، وفي كل مرة يموت كثير من الناس والمجموعات الساكنة هناك»[2].

هجوم محمد تقي خان على البختياريين وسيطرته على الإقليم:

في سنة ١٢٤٩، الذي كان نهاية حياة فتح علي شاه، بدأ محمد تاغي خان بختياري، الذي كان زعيم عشيرة جهار لنك وكان معروفا بشجاعته ومهارته، بالتمرد، وقام بقطع الطريق في فارس وأصفهان.وذات مرة، نهب ٢٠ ألف تومان من ضريبة المحكمة التي تم إرسالها من شيراز إلى طهران.وهكذا تحسن حاله وزاد عدد أتباعه يوما بعد يوم حتى جاء إلى الاقليم بثمانية آلاف راكب وحاصر تستر.كان حاكم تستر في ذلك الوقت، أسد الله ميرزا، ابن دولة شاه، الذي حكم تحت وصاية أخيه محمد حسين ميرزا.لم ير لنفسه المقاومة وسلم المدينة لمحمد تقي خان.سيطر محمد تقي خان أيضا على دزفول وذهب إلى رامهرمز وبهبهان وسيطر عليهما أيضا.لكن خان ممسني، الذي كان من أشهر قطاع الطرق وأكثرهم شجاعة، انضم أيضا إلى محمد تقي خان، وبالتالي أصبحت قوة بختياري وقوته المتمردة لا تُحصى، وانتشرت سمعة شجاعته وتضحية نفسه في كل مكان.كان فتح علي شاه في طهران في ذلك الوقت، واتجه نحو أصفهان لمحاربة محمد تقي خان، وأرسل أوامره إلى فارس وبروجرد

(١) وتعني إحدى أحجار الشوش المنقوشة التي عثر عليها على الأرض وأخذها البريطانيون قبل بدء أعمال التنقيب.

(٢) ناسخ التواريخ، تاريخ كعب، كتاب إحصاء تستر، يجب أن يعلم أنه في سنة ١٢٤٧، انتشر الكوليرا والطاعون في جميع أنحاء إيران ومات الناس في كل مكان، لكن ربما كان الأمر أكثر صعوبة في إقليم الأحواز.

وأماكن أخرى لإرسال القوات إلى أصفهان.ولكن توفي هو نفسه بعد خمسة عشر يوما في أصفهان، وذهبت كل إجراءاته عبثا.وبسبب هذا الحادث تضاعفت شعبية أعمال محمد تقي خان، وافراده قد حاصروا طرق فارس وكاشان وينهبون كل القوافل. ولما تربع محمد شاه على العرش، كان له أعداء كثيرون في بداية حكمه لأن بعض من أبناء فتح علي شاه يحلمون بالملك في فارس ومدن أخرى ولم يخضعوا لملكه.هذا، وإنه في سنة ١٢٥٢، حكم محمد تقي خان بشكل تعسفي ومستبد في جبال بختياري والاقليم، وكان أفراده يقطعون الطرق.

في هذا الوقت، انتهز عرب بني لام، الذين يعيشون بين العراق وإيران، الفرصة لغزو ونهب مناطق تستر، وحتى شتاء سنة ١٢٥٢، عندما جاء بهرام ميرزا إلى تستر، كان الناس يعانون من هذه الاضطرابات(١).

الكعبيون في عهد هذه الاضطرابات:

من الواضح أن الكعبيين، الذين كانوا في راحتهم لا يبالون بالحكومة، ولا يدفعون إلا مبلغا ضئيلا من الضرائب، صاروا عنيدين ومستبدين برأيهم في هذه الاضطرابات.

كما قلنا، في سنة ١٢٤٧، أصبح عبد الله نجل محمد شيخ القبيلة، لكن عصره كان قصيرا هذه المرة أيضا، ولم يمض وقت طويل حتى انتهى أمره(٢).وصار شيخ ثامر نجل غضبان حاكما للكعبيين بدلا منه.يكتب البارون دبود: في بداية عهد محمد شاه، عندما كان منوتشهر خان، معتمد الدولة، حاكم فارس وحاصر حصن الجل والجلاب، أمر شيخ الكعب القريب من الحصن بإعداد الطعام للجيش.أجاب الشيخ أنه لم يكن معتادا أن يعد الكعبيون الطعام لجيش الشاه.«ولكن عندما فتح منوتشهر خان الحصن، خاف شيخ كعب وأعد طعاما للجيش، وأرسل عرضا بعدة

(١) ناسخ التواريخ، رحلة البارون دبود.

(٢) ولا يعرف ما إذا كان ميتا أم مطرودا.

آلاف تومان إلى منوتشهر خان».

أما في ناسخ التواريخ كتب عن منوتشهر خان: «أنه عندما كنت حاكم فارس (الشيخ ثامر)لم يعطِ حتى مال ديوان الكعب"، وكذلك في عهد فرهاد ميرزا، الذي أصبح حاكم فارس بعد منوتشهر خان، يمتنع الكعبيون من دفع الضرائب قدر المستطاع ويضطر فرهاد ميرزا أحيانا إلى إرسال الجنود لأخذ الضرائب»[1].

حملة بهرام ميرزا على محمد تقي خان:

في سنة ١٢٤٩، بعد وفاة فتح علي شاه، اعتلى محمد شاه العرش في تبريز، عين بهرام ميرزا، شقيقه الأصغر، حاكماً لكرمانشاه ولرستان والحويزة، وارسله عبر مراغة وكردستان.لكن بهرام ميرزا لم يهتم بأمر الاقليم لمدة ثلاث سنوات، في شتاء سنة ١٢٥٣ قصد مع الجيش إلى هناك فقط.

وفي هذا الوقت حينما كان يسكن محمد تقي خان في حصن التل وسط جبال بختياري وسهول الاقليم ولما علم من قصد بهرام ميرزا إلى الاقليم ووصوله إلى المدفعية، أرسل أخاه علي نقي خان إلى الأمير وأظهر تواضعا، وتعهد أن يدفع الضريبة سنويا منذ ذلك الحين، لكنه طالب بإعفائه من الحضور إلى الأمير، ولكنه لم يقبل بهرام ميرزا طلبه هذا ولم تسفر الوساطة عن نتيجة.

قضى بهرام ميرزا الشتاء في تستر وفي بداية الربيع قصد مع الجيش إلى حصن التل.غادر محمد تقي خان تلك الحصن ولجأ إلى حصن مونجشت، الذي كان من أكثر قلاع بختياري استقرارا.ويقول في ناسخ التواريخ إن البختياريين الذين كانوا معه خافوا وقالوا إننا لا نستطيع القتال مع جيش الملك، فأرسل محمد تقي خان أخاه إلى بهرام ميرزا مرة أخرى.

---

(١) ناسخ التواريخ، رحلة البارون دبود.

وباختصار، أنه تمت المصالحة بينهم، هرع محمد تقي خان إلى الأمير.ثم ذهب الأمير ميجر، برفقة القائد الإنجليزي راولين سين، الذي كان أحد قادة جيشه، مع ثلاثين من فرسانه إلى حصن مونجشت، وكانوا ضيف على البختياريين لبضعة أيام.ثم أخذوا محمد تقي خان، وذهبوا إلى حصن التل، ومن هناك جاءوا إلى تستر، وقرروا أن يرسلوا زوجات وأطفال محمد تقي خان وعلي نقي خان وبعض الأقارب إلى كرمانشاه كرهائن، ويبقى علي نقي خان دائما مع الأمير.

بعد هذا العقد عاد محمد تقي خان إلى مكانه، وذهب بهرام ميرزا من تستر إلى دزفول ومن دزفول إلى خرم آباد.لكن محمد تقي خان لم يرد أن يخضع بعد.في هذا الوقت، كان بين إيران وبريطانيا خلاف وشجار بسبب مدينة هرات.الموظفون السياسيون البريطانيون الذين كانوا في إيران بأسماء مختلفة، يتدخلون في أمر محمد تقي خان ويحرضونه أن لا يخضع.ميجر راولين سين، الذي قال لنا أنه كان برفقة بهرام ميرزا، كان أحد هؤلاء الموظفين السياسيين.وربما كانت نتيجة تدخله أن حملة بهرام ميرزا هذه كانت غير مثمرة تماما.وعاد محمد تقي خان إلى مكانه بعد وقوعه في يد الحكومة.

من هنا، وبعد سنة، خرج محمد شاه من طهران ليقصد إلى هرات.كان قلقا جدا بشأن محمد تقي خان والبختياريين.وأرسل أخيه السلطان مراد ميرزا بستة آلاف جندي، وبنوا معسكرا في مرج كندمان بختياري، وأخذ رهائن من كل من شيوخ بختياري ليرسلهم إلى منوتشهر خان معتمد الدولة الذي أصبح بعد ذلك والي أصفهان ولرستان الاقليم وكان يسكن في أصفهان.

في شتاء السنة نفسها، عندما جاء السلطان مراد ميرزا إلى مرج مالمير من مرج كندمان، أعد محمد تقي خان جيشا ضده وخرج إلى الحرب.ويقول في الناسخ: استمرت هذه الحرب خمسة عشر يوما، إلى إنّه لم يستطع البختياريون التحمل في النهاية.وشعر محمد تقي خان بالذل وأرسل علي نقي خان إلى السلطان مراد

ميرزا.لكن الأمير أصر على أن يأتي إليه محمد تقي خان بنفسه.ولأنه كان يائسا من كل الجهات، فقد التمس باب معتمد الدولة الذي كان يعيش في تستر في ذلك الوقت.طلب معتمد الدولة من السلطان مراد ميرزا أن يعطي لمحمد تقي خان الأمان ويفرج عنه.قبل السلطان مراد ميرزا هذا الطلب وفي تستر، أعطى المجموعات التي أخذها من البختياريين كرهائن إلى معتمد الدولة، واتجه نفسه نحو فارس عبر كهكيلويه[1].

قصة المحمرة:

لقد ذكرنا نهر كارون مرات عديدة وتحدثنا عن وضعه في العصور القديمة.وتجدر الإشارة أيضا إلى أنه في العصور القديمة لم يختلط كارون بشط العرب.ومن النهر المعروف اليوم باسم بهمن شير، يصب بالكامل في البحر.لا نعرف أي ملك أوجد جدولا بين ذلكما النهرين لعبور السفن مما هو حاله اليوم.وفي نفس الوقت، في شمال هذا الجدول، حيث يلتقي نهران، كانت القرية تُعرف باسم «بيان».وكانوا يسمون ذلك الجدول الجديد باسم جدول بيان.

في القرون الأولى للإسلام، كانت بيان تعدُّ إحدى مدن الاقليم.وبسبب وصول السفن ومغادرتها، كانت هناك تجارة مهمة.إحدى أعمال عضد الدولة الديلمي المهمة هي أنه جعل نهر بيان لتردد السفن الكبيرة وعلى هذا ازداد في إنعاش ورونق النهر.يبدو أنه منذ عهد عضد الدولة ونتيجة لذلك الأمر، أنه عاد كارون من نهره القديم (بهمن شير) وصُب جزء كبير من مياهها في شط العرب عبر جدول البيان.

كما يذكر المقدسي، كانت قرية بيان معمورة حتى القرن الرابع الهجري، ولكن بعد ذلك لا يوجد ذكر لها في الكتب، ولا نعرف متى ذهب أثرها، إلا أنه في نهاية القرن

---

(١) ناسخ التواريخ.

الثاني عشر الهجري نشاهد بدلها قرية باسم «المحمرة».

أول مرة نجد فيها اسم المحمرة في تاريخ قبيلة كعب الذي أطلق في أحداث زمن الشيخ غيث «كوت المحمرة».ويتضح من هذا أنها كانت حصنا وسكنت فيها جماعة من الكعبيين.ثم يحسبها ميجر كينيرا على أنها قرية من قرى الاقليم.وبعد فترة طويلة نجدها كمدينة يرأسها الحاج يوسف نجل الحاج مرداو (جد الشيخ خزعل خان)[1].

في عهد الشيخ ثامر، ازدهرت المحمرة وتوسعت على يد الحاج جابر ابن الحاج يوسف.شيدها الشيخ ثامر كميناء حر وفتح أبوابه للسفن التجارية.ومن هنا أصبح ازدهار تلك المدينة أكثر من ذي قبل.

ولكن لهذا السبب، انزعج علي رضا باشا، والي بغداد، وشمر عن ساعده لمعاداة الكعبيين.ولأن البصرة كانت الميناء الوحيد لشط العرب حتى ذلك الحين، فقد يربح الوالي بشكل كبير من الجمارك هناك.ولأن فتح ميناء المحمرة يقلل من ذلك الربح، قام الوالي من هنا بالعدوان وقرر تدمير المحمرة.كما قلنا، في ذلك الوقت، كانت الحدود بين إيران والإمبراطورية العثمانية معروفة.ولم يمتنع ولاة بغداد عن التدخل في عمل الاقليم ولا سيما في عمل الكعبيين.في ذلك الوقت، كان محمد شاه خارج هرات مشغولا بمحاصرة تلك المدينة، وكانت هناك فرصة جيدة لوالي بغداد.ربما تورط البريطانيون أيضا في استفزازه.

إلا أنه في عام ١٢٥٤هـ في شهر رجب قصد علي رضا باشا مع جيش كبير من أرناؤوط وقبائل العراق وبعض قبائل نجد من بغداد إلى المحمرة.انزعج منه الشيخ عبد الرضا من الكعبيين وهو قريب للشيخ ثامر واندفع معه إلى بغداد.والأكثر إثارة للدهشة أن الشيخ ثامر والحاج جابر لم يفهموا نية علي رضا باشا ولم يفكروا قط في

(١) يقول اللورد كرزن: أنه بني المحمرة سنة ١٨١٢ (١٢٢٧ش) على يد الحاج يوسف.على الرغم من أننا نجد اسم المحمرة منذ سنوات عديدة من قبله في تاريخ الكعب وفي كتاب كينيرا.

أن يأتي الجيش إلى المحمرة.يكتب البارون دبود: خدع شيخ كردي أحد أقاربه (أي عبد الرضا) الذي قربه الباشا إليه ووعده بأن يكون شيخ القبيلة، بحيث أمر أن حملة الباشا ليست نحو المحمرة بل البصرة، وعلى هذا، لم يكن شيخ كعب مستعدا للحرب.وعندما أمر معتمد الدولة محمد تقي خان بإرسال الفين من فرسان بختياري إلى الكعبيين، لم يقبلها الشيخ وأجاب أن حملة الوالي ما هي إلا من أجل البصرة.

على أي حال، في اليوم الثالث والعشرين من شهر رجب وصل الباشا فجأة إلى المحمرة مع ذلك الجيش الضخم واستولوا على الحصن، وبدأوا بالمدافع والبنادق. الحاج جابر، الذي قلنا أنه وكيل ثامر في المحمرة، لم يستطع فعل أي شيء أكثر من طار بنفسه والفرار إلى الفلاحية، وبدأت قوات والي بغداد التي دخلت الحصن من الأتراك والعرب بالقتل والنهب، وقتلوا الكثير من الفقراء ولم يترددوا في تحطيم المنازل وحرقها، ونهبوا كل ما لديهم، وعادوا إلى العراق مع مجموعة كبيرة من الأساري من النساء والفتيات والفتيان.

قام عبد الباقي أفندي العمري الشاعر العراقي الشهير الذي رافق علي رضا باشا في هذه الحملة والنهب بتأليف قصيدة طويلة جدا تشيد بذلك القتل والأفعال الشنيعة دون مروءة، وهو فخور بنفسه.في بداية القصيدة (قصائد مختارة):

فتحنا بحمد الله حصن المحمرة ... فأضحت بتسخير الاله مدمره
بسيف علي ذي الفقار الذي لنا ... لقد أخلصت صقلا يد الله جوهره
وجابر أورثناه كسرا بكعبه ... وليس لعظم قد كسرناه مجبره
غدا هاربا يبغي النجاة بنفسه ... وخلى قناطير التراث المقنطرة
ونخل أمانيه بمكتوم خبثه ... عثا كلها في غدر ثامر مثمره
على ساقها قامت لكعب قيامة ... فزلت بهم أقدامهم متعثره
فلم تغن عنهم مانعات حصونهم ... من الله شيئا في القضايا المقدره
مصيبتهم جلت ومن جمعهم خلت ... مساكن أمست بالخراب معمره

ترى الأرض قاعا صفصفا لا ترى بها اعوجاجا ولا امتاسباسب مقفره
ترى القوم صرفى في أزقة حصنها كأعجاز نخل خاويات مد عثره
غدوا طعمة للسيف إلا أقلهم قد اتخذوا من شط كارون مقبره
على حافيته كم قتل مجندل وفي جانبيه كم حباه معفره
مدافعنا كم اطلعت من بروجها عليهم شموسا بالعذاب مكوره

بعد سلسلة من الاهاجي يذكر قبائل كعب وذكر البدو الذين كانوا في جيش علي رضا باشا واحدا تلو الآخر، يقول عن أسر النساء والفتيات اللواتي تم إعادتهن لأهلهن بعد السلام دون الوصول إليهن:

ترى الحور مقصورا تهافى خيامنا كأقمار تم في الدجنة مسفره
ومن قاصرات الطرف في كل كلة بفضل إزار من عفاف موزره
وعادت عقب الصلح كل خريدة إلى أهلها وهي الحصان المخدره

يقول عن السود الذين تعرضوا للسرقة والبيع:

وبالبيض سقنا السود وأسردقه وسوق النجاشي روج السبى متجره

يقول: أتى الحاج جابر إلى الباشا بالكويت وقدم الخيول واعتذر عن الماضي ليعفو عنه، عفى عنه الباشا وخلع عليه ثوبا:

وجابر في حصن الكويت قد التجى إلينا وقاد الصافنات المضمره
وقد شملته من على مراحم وخلعته فخر فيه كمل مفخره
صفوح كسا كعبا ببردة عفوه واحقن منه كم دما كان أهدره

يقول: عين باشا عبد الرضا كأمير للكعب وأرسله إلى الفلاحية وهرب ثامر من الفلاحية إلى هنديان، والتحق الكعبيون إلى عبد الرضا وقبلوه.

يبدو أن قصة عبد الرضا كانت أنه بعد تدمير المحمرة ذهب إلى الفلاحية برفقة جيشه، وسمع ثامر خبره وهرب إلى هنديان، لكن بعد ذلك ابتعد باشا عن المحمرة ومحيطها، لم يستطع عبد الرضا المقاومة وذهب إلى بغداد. على أية حال، لم يرد ذكره

في تاريخ الكعب.ونعلم أنه بعد قصة المحمرة كانت مرة أخرى ثامر شيخ الكعبيين، وبعد ذلك لم تكن هذه القصة أكثر من غزو، ومنذ ذلك الحين تجري الحكومة الإيرانية محادثات مع الحكومة العثمانية وتتابع القضية.لكن من الواضح أن تأخير عبد الرضا في الفلاحية كان مستحيلا.

حملة معتمد الدولة العسكرية على محمد تقي خان:

ما يزال محمد تقي خان يحلم بالتعسف والتمرد بعد كل الحملات العسكرية ضده، ولم يدفع الضرائب، ووفقا لكاتب ناسخ التواريخ، كان لديه دائما عشرة آلاف راكب جاهزين.قلنا إن معتمد الدولة كان طيبا معه ولم يسمح للسلطان مراد ميرزا أن يقسو عليه.ثم أخذ شقيقه علي نقي خان رهينة إلى طهران ولكنه هرب من هناك ولجأ إلى معتمد الدولة في أصفهان، فآواه معتمد الدولة وطلب من الملك الإذن له بالاستقرار في أصفهان.ومع ذلك، في ذلك الوقت، كان معتمد الدولة حاكم أصفهان ولرستان و الأحواز ، عصى محمد تقي خان أمره ولم يدفع الضرائب.

السنبب الرئيسي هو أنه في هذا الوقت كان هناك استياء بين إيران وبريطانيا. وجلب البريطانيون جيشهم إلى جزيرة خارك.وكانوا مستعدين لغزو إيران.لقد جعل طاقمه السياسي في إيران محمد تقي خان والشيخ ثامر وآخرين أكثر شجاعة في عصيانهم من متمردي الجنوب، بما في ذلك الليارد الشهير الذي كان من الطاقم السياسي البريطاني.ويتجول باسم الاستكشافات العلمية والحضارية في إيران.هذه المرة عاش في بختياري مع محمد تقي خان، ومن المدهش أن حكومة قاجار لم تمنع هؤلاء الأعداء المؤذين وسمحت لهم بالتجول في إيران.

بعد عودة محمد شاه من هرات سنة ١٢٥٨هـ، أعد معتمد الدولة جيشا وذهب إلى الاقليم عبر بختياري ليجد مخرجا من عصيان محمد تقي خان وآخرين، فأخذ علي نقي خان معه وخرج من أصفهان.

وتجدر الإشارة إلى أن منوتشهر خان معتمد الدولة كان من أصحاب المهارة والقدرات.وهذه الحملة على الاقليم، قيمة للغاية من وجهة تاريخ مجتمع هذه الأرض ومن وجهة استقلال إيران.لأنه، كما سنرى، نتيجة لهذه الحملة، من ناحية، سقط جميع المتمردين في الأحواز وسيطرت عليها الحكومة الإيرانية، ومن جهة أخرى، قطعت اسباب الفتنة البريطانية من داخل إيران.

فيما يتعلق بأهمية حملة منوتشهر خان هذه، يكفي أنه من ناحية، كما قلنا، انضم ليارد إلى محمد تقي خان وأعطاه تعليمات بالوقوف ضد منوتشهر خان.من ناحية أخرى، في الوقت نفسه، يرسل بارون دبود، أحد أهم موظفي السفارة الروسية من طهران، قاصدا بحجة السفر إلى فارس والاقليم.ومن الواضح أن الهدف كان معرفة كيفية عمل البريطانيين ومحمد تقي خان، وإلا لما كان الشتاء القارس مناسبا للسفر والمراقبة.

نعم، اجتاز منوتشهر خان الجيش والمدفعية عبر تلال بختياري الصعبة ووصل إلى سهل مالمير.كان محمد تقي خان قد حشد جيشا على الأقدام والركبان وبقي في ذلك السهل، لكن منوتشهر خان لم يقبل إلا الحرب واستقبله.وفقا لليارد، تأخر كلا الجيشين لمدة أربعين يوما في سهل مالمير.وفي كل يوم يأتي أحد أقارب منوتشهر إلى محمد تقي خان ويتباحثون.في النهاية، قرروا أن يسحب منوتشهر خان جيشه ويذهب إلى تستر، وأن ينضم محمد تقي خان إلى منوتشهر خان في تستر بعد الاحتفال القادم بعيد النوروز.

بعد هذا العقد، أصبح منوتشهر خان ضيفا على محمد تقي خان في حصن التل ذات ليلة.ومن هناك أخذ علي نقي خان وشفيع خان معه وغادر إلى تستر، ولكن بسبب الاحتفال بعيد النوروز، خلافا لوعد محمد تقي خان الذي لم يأت إلى تستر، ولم تسفر المباحثات و الوساطة عن نتيجة، طلب علي نقي خان الإذن بالذهاب وإحضار أخيه إلى تستر بنفسه.وعندما غادر، أخذ محمد تقي خان وذهب إلى تستر،

ولكن بعد ثلاثة فراسخ، عاد كلاهما إلى حصن التل.

علم منوتشهر خان أنه قد خدع.وقرر أن يأخذ الجيش إلى حصن التل.في ذلك الوقت، انضمت مجموعة من بختياري كانوا مستائين من محمد تقي خان إلى معسكر الحكومة.وعندما غادر منوتشهر خان تستر مع الجيش، لم يستطع العديد من قبائل محمد تقي خان الوقوف بمفردهم وتركوا حصن التل واندفعوا إلى الفلاحية مع زوجاتهم وأطفالهم ومع أقاربهم عبر رامهرمز وبهمن شير، ولجأوا إلى الشيخ ثامر الكعبي.

دخل منوتشهر خان حصن التل، وعين علي رضا خان بختياري الذي قتل محمد تقي خان والده، رئيسا للقبيلة وحاكما للبختياريين واستقر هناك.وربط نفسه مع الجيش والمدفعية، محمد تقي خان إلى الفلاحية، فلما اقترب أنزل الجيش، وأرسل شخصا إلى الشيخ ثامر ليرسل إليه محمد تقي خان الذي أذنب في حق الدولة، لقد أصر الشيخ ثامر على موقفه بعدم تسليمه، ولكنه دبر خطة وكتب رسالة إلى شيخ البحرين يطلب منه الوساطة، ويستعفي معتمد الدولة لمحمد تقي خان، قبل شيخ البحرين طلبه واتخذ في النهاية الترتيبات مع منوتشهر خان لإرسال أحد أقاربه إلى الفلاحية لإنقاذ محمد تقي خان وإحضاره إليه، ثم يرسل ثامر نسائه وأولاده.أرسل معتمد الدولة سليمان خان العميد ابنة أخته، وشجع محمد تقي خان واحضره معه إلى معسكر منوتشهر خان.

سلم منوتشهر خان محمد تقي خان لأحد الشيوخ لحراسته، وكافأ ثامر بشكل جيد وأعاده إلى الفلاحية ليرسل علي نقي خان وأشخاص محمد تقي خان الآخرين إليه[1].

(١) ناسخ التواريخ، تاريخ البختياريين.

عصيان الشيخ ثامر:

كان الشيخ ثامر مثل محمد تقي خان والمتمردين الجنوبيين الاخرين.لأنه كان قويا جدا في تلك الأرض.وهذه المرة، وفقا لناسخ التواريخ، كان عنده خمسة عشر ألف راكب مستعد.وهذا، وأن البريطانيين لم يتركوه وشأنه وأجبروه على التمرد.يكتب ليارد علانية أن ثامر كان صديقا للبريطانيين وتراسل مع قادة الشركة الهندية على السفن الحربية في شط العرب ومع ممثليهم في ميناء البصرة.وكانوا قد وعدوا ثامر بأنهم لن يحجبوا عنه أي مساعدة أو حماية إذا لزم الأمر.

خدعت هذه الوعود ثامر، وأخذ يشاكس مع الحكومة الإيرانية.وعندما عاد إلى الفلاحية من مخيم منوتشهر خان، ندم على تسليم محمد تقي خان للحكومة ورفض إرسال علي نقي خان وآخرين.

ويشاور البختياريين الذين كانوا معه ومع الإنجليزي ليارد الذين هرعوا إلى الكعبيين بعد نهاية أمر محمد تقي خان، وقرروا أن يهجموا على معسكر معتمد الدولة ليلا كي يفرجوا عن محمد تقي خان، وفي الليل استخدموا هذا التكتيك وهاجمت مجموعة كبيرة من العرب والبختياريين فجأة الجيش الحكومي.وحدث اضطراب غريب من جراء إطلاق النار وقتلت مجموعة من الجانبين، لكنهم لم ينجحوا في إطلاق سراح محمد تقي خان وعادوا يائسين.

علم هذه الحادثة منوتشهر خان بنيّة ثامر وقرر أن يرسل الجيش على الفلاحية لمعاقبة ثامر.في ذلك الوقت، جاء المولى فرج الله خان، والي الحويزة، وشيخ العشيرة وآخرين معه إلى معسكره.والشيخ عبد الرضا الذي كان لا يزال يعيش في بغداد كتب رسالة إلى منوتشهر خان الذي جاء إليه بعد إذنه.

كما أنه التحق به منصور خان فراهاني والذي جاء بمجموعة من الجيش من قبل فرهاد ميرزا لجلب الخراج من الكعبيين، والي فارس، وانضم إلى جيشه.عبر منوتشهر خان مع الجيش من نهر الجراحي وأجبر الجيوش على بناء الجسور فوق الجداول

والمياه الوفيرة حول الفلاحية.في غضون ذلك، أرسل الشيخ ثامر، الذي يرى نفسه عاجزا ولم ير من البريطانيين أي مساعدة، قام علماء الفلاحية للتوسط إلى منوتشهر خان.أخيرا، قرروا أن ثامر سيدفع ضريبته لعدة السنوات، والتي لم يدفعها خلال فترة حكم منوتشهر خان في فارس، ويترك أهل محمد تقي خان أيضا.دفع ثامر الأموال التي أرادها منوتشهر خان وطلب مهلة لتسليم البختياريين.وعهد باثنين من أقاربه الشيخ مريد والشيخ قدعم، غادر منوشهر خان الفلاحية وعاد إلى تستر.

ولكن لأن ثامر لم يرغب في تسليم البختياريين وعدّه عارا عليه، قال لهم أن ينهضوا ويغادروا الفلاحية.كريم خان الأخ الأصغر لمحمد تقي خان وشفيع خان من أقاربه قتلا في الجبال على يد أهالي بهمئي وبختياري.وتورط نساء وأطفال محمد تقي خان وأرسلوا إلى تستر عند معتمد الدولة.تمكن علي نقي خان وعدد قليل من الآخرين تمكنوا من الوصول إلى طهران بأي صعوبة والجلوس في المدفعية.من ناحية أخرى، عندما علم منوتشهر خان بسلوك الشيخ ثامر تجاه البختياريين، أرسل فدعم ومريد، اللذين كانا كرهائن عنده، إلى سوق تستر وأمر بقتلهم، ولكن عفا عنهما بشفاعة علماء تلك المدينة.

وحينما جاء فصل الخريف وانخفضت درجات الحرارة، قصد مرة أخرى مع الجيش والمدفعية إلى الفلاحية.لكن قبل أن يصل إلى الفلاحية، أخذ الشيخ ثامر زوجاته وأطفاله وممتلكاته وهرب إلى كوت الشيخ، وبعد فترة ذهب إلى الكويت.جاء منوتشهر خان إلى الفلاحية وسلم حكم كعب للشيخ عبد الرضا، وأرسل حكاما إلى بختياري ومناطق أخرى، لكن في هذه الأثناء فر الشيخ عبد الرضا دون داع من الفلاحية وشقيقه من معسكر معتمد الدولة.وعين معتمد الدولة المولى فرج الله المشعشعي حاكما للأحواز، وأمره بالجلوس مع مجموعة من فرسانه في الفلاحية حتى لا يتمكن ثامر من العودة، كما أمره بمحاولة العمران في المحمرة، وخرج مع تستر ودزفول وخرام آباد مع الجيش، وأرسل محمد تقي

خان إلى طهران مقيدا بالسلاسل[1].

إتفاقية أرضروم وحدود العراق و الاقليم:

نشأ استياء وعداء بين حكومتي إيران وتركيا منذ أن دمر علي رضا باشا المحمرة. وبحسب مؤلف ناسخ التواريخ، طالبت الحكومة الإيرانية بخمس سبائك ذهبية مقابل فدية وقتل ونهب وتدمير حصلت في المحمرة، ويستفيد أحيانا من انشغال العثمانيين بحرب محمد علي باشا المصري وارسال الجيش إلى بغداد.يقول العثمانيون إن المحمرة كانت أرض عثمانية وأن والي بغداد الذي دمرها، في الحقيقة دمر مدينة عثمانية.كما دعم البريطانيون الأتراك بكل الطرق.بعد مباحثات عديدة، قرر السفراء، بوساطة السفراء البريطانيين والروس، أن ترسل كل من الحكومات الأربع ايران، والإمبراطورية العثمانية، وروسيا، وبريطانيا ممثلا لتشكيل لجنة في أرضروم لمناقشة وضع حدود الإيراني - التركي بأكمله.ممثل إيران في تلك اللجنة كان ميرزا تقي خان أمير نظام (أمير كبير).وكما هو مكتوب في التواريخ، فقد عاش في أرضروم لمدة ثلاث سنوات، وبعد محادثات وبعض الأحداث، أخيرا في شهر جمادى الثانية سنة ١٢٦٣هـ تم توقيع عقد يعرف باسم «عقد أرضروم».في الفقرة الثانية من الاتفاقية عينوا الحدود بين العراق واقليم الاحواز بهذه الكلمات.

كما تتعهد «الحكومة العثمانية» بشدة بأن تكون مدينة وميناء المحمرة وجزيرة الخضر والعشائر المتعلقة الشهيرة من إيران أرض إيرانية.فضلاً عن ذلك، سيكون للسفن الإيرانية الحق في المجيء والذهاب في المدينة بحرية كاملة من المكان الذي يقع فيه المصب إلى ملتقى الأطراف.

(١) ناسخ التواريخ، تاريخ البختياريين.

كما أن التفسيرات التي قدمها سفراء بريطانيا وروسيا ردا على أسئلة الحكومة العثمانية تكتب حول هذا البند: «يقع مرسى المحمرة على حافة المدينة الداخلية في مستنقع الحفار».

كانت هذه هي المرة الأولى منذ ظهور الإسلام التي يتم فيها الاعتراف بالحدود الغربية لإيران، ومنذ ذلك الحين، لم تبق ذريعة لولاة بغداد للتعدي على الأراضي الإيرانية والتحريض على الفتنة بين عشائر الاقليم.

بعد توقيع هذا العقد، ولى الحاج ميرزا آغاسي، «الشخصية الأولى في إيران»[1] المولى فرج الله خان المشعشعي، إلى طهران وكلفته حكومة الاقليم ببناء قلعة في المحمرة، وأمره أن يضع وحدة عسكرية للحراسة هناك ويقوم بتمهيد الطريق أمام حجاج البيت الحرام عن طريق نجد والجبل، لأنه في عهد فتح علي شاه كتب بن سعود ملك نجد رسالة إلى البلاط الإيراني وطالب الحجاج الإيرانيين بالسفر إلى مكة عبر نجد.

لكن أفكار الحاج ميرزا آغاسي هذه، سواء كانت مفيدة أو غير مفيدة، لم تستخدم تلك التوجيهات ولم يكن حكم المولى فرج الله في الاقليم سوى وقت قصير، لأنه في سنة ١٢٦٤ توفي محمد شاه، وتوفي الحاج ميرزا آغاسي أيضا بأحلامه.

بعد محمد شاه جاء عهد الحكم لابنه المراهق ناصر الدين ميرزا، ولأن عمله كان في يد أمير نظام، في السنة الأولى، كلف ميرزا جعفر خان مشير الدولة مع ممثلين عن العثمانيين والروس والبريطانيين، بتحديد حدود إيران وتركيا من أرضروم، وإنشاء

---

(١) كان الحاج ميرزا آغاسي صوفيا وادعى أنه شيخ، وكان ذلك، وأنه حينما وصل إلى وزارة محمد شاه، لم يرض أن يسميه أحد «وزيرا» أو «مستشارا»، وكان يرى أن الوزارة والرئاسة هما دون شأنه.وكان سفراء الحكومات الأوروبية الذين كانوا في طهران لأنهم علموا أن حاج يكره لقب المستشار، كعادة الأوروبيين الذين يسمون المستشار بـ «بريمير».أطلقوا على الحاج لقب «الشخصية الأولى في إيران»، وقد أحب الحاج ميرزا آغاسي ذلك اللقب وأمر بأن يدعونه دائما بذلك اللقب.

الشارات والعلامات، وقد استغرق ذلك الأمر أربع سنوات.يقول مؤلف ناسخ التواريخ: أقنع درويش باشا الممثل العثماني بخداع الكعبيين في تسمية أنفسهم بالرعايا العثمانيين، ووعدهم بعدم أخذ ضريبة العشر سنوات منهم.

لكن الكعبيين لم يرضخوا لذلك الهوان، ورغم أن مشير الدولة أضاف ألفي تومان إلى ضريبتهم، وقرر ستة آلاف تومان تدفعها ولاية الحويزة.مع كل هذا، كان الجميع سعداء بأن يكونوا من رعايا إقليم الاحواز وامارة كعب.

سكرتير درويش باشا في هذه الرحلة كان خورشيد باشا الذي كتب كتابا عن رحلته.ويتضح من كتابه أن الكعبيين لم ينحازوا للعثمانيين.وهذا أن خورشيد باشا صنع فيهم أشياء كثيرة قبيحة[1]".

نهاية عهد حكومة الفلاحية:

حملة منوتشهر خان على الاقليم والتي انتهت بذلك النصر، كانت من الأعمال المفيدة والتاريخية في فترة القاجار وثبت أساس الحكومة في تلك الأرض.نتيجة لذلك، أصبح الجيش في جميع أنحاء الاقليم تحت سيطرة الحكومة واختفت جميع الحكام.وفي ذلك الوقت، عاد جنوب الأحواز ، التي كانت تحت سيطرة الفارس منذ بداية عهد القاجار، إلى الاقليم نفسها.الشيخ ثامر الذي طرده معتمد الدولة من الفلاحية، كان آخر شيخ قوي ومتمرد من الفلاحية، بعده لم تكن الأسرة قادرة على التمرد على الحكومة أو أن ترفض دفع الضرائب.

وكذلك قبائل خميس التي كانت تعيش بالقرب من رامهرمز، وآل المحسن وهم من الكعبيين في المحمرة أيضا الأعراب فصلوا عن الفلاحية معه.منذ ذلك الحين، كانت عائلة مشايخ المحمرة (عائلة الشيخ خزعل خان) من أكثر العائلات احتراما

---

(١) ناسخ التواريخ، وكتاب خورشيد باشا.

من بين عرب الاقليم.وشيخ الفلاحية، على الرغم من تسميته بـ«شيخ المشايخ»، كان في مرتبة أدنى، لدرجة أنه في عهد الشيخ خزعل خان تمت الإطاحة بهذه العائلة، وعيّن الشيخ خزعل أحد أقوامه لحكم الفلاحية.

كان أول شيوخ الفلاحية بعد ثامر شيخ فارس ابن الشيخ غيث، وبعد سنوات قليلة، لعدم قدرته على دفع الضرائب، أزاحه حاكم الاقليم، وعين الشيخ لفته مكانه. وهذان الشخصان كانا منافسين بعضهما البعض ومختلفين لسنوات عديدة، وكان حاكم الاقليم أحيانا يعين هذا ويعزل ذاك.حتى أخيرا، قُتل الشيخ لفته على يد الكعبيين.وأصبح الشيخ جعفر خان نجل الشيخ محمد شيخ المشايخ بدلا منه، وكان خلفه وشريكه الشيخ رحمة خان ابن الشيخ غيث، وحكموا متتالين.ولما توفي الشيخ رحمة حل محله أخوه الشيخ عبد الله في منافسة مع الشيخ جعفر.وبهذه الطريقة، في سنة ١٣١٦، قبل الشيخ خزعل خان ضريبة الفلاحية من الحكومة وعين أحد قومه رئيسا لكعب الفلاحية، ومنذ ذلك الحين تفرقت فلول عائلة شيخ مشايخ الفلاحية واضطربت[١].

في خريف سنة ١٣٤٣، عندما أرسلت الحكومة الجيش على الاقليم، فر الشيخ عبد الحسين خان، أحد الناجين من تلك العائلة، من الفلاحية مع مجموعة من العرب والتحق بجيش الحكومة في بهبهان ومحيطها، وبقوا هناك حتى انتصرت الحكومة وانتهت فتنة الشيخ خزعل خان.وعين الشيخ عبد الحسن خان كمكافأة له على موالاته للدولة كشيخ للمشيخة بدلا من سابقيه، وعهد إليه بأعمال الكعبيين، وزرته مرات عديدة في مدينة الأحواز في شتاء تلك السنة[٢].

(١) كتيب تاريخ كعب.

(٢) يبدو أنه الآن في طهران وعاطل عن العمل.

حكومة المحمرة:

الإقليم في بداية عصر ناصر الدين شاه:

حينما توفي محمد شاه، لم يكن أحد من العائلة المالكة يريد العرش باستثناء ولي العهد الأمير ناصر الدين ميرزا.ومع ذلك، اندلعت أعمال شغب في معظم أنحاء ومدن إيران من خراسان وكرمان وشيراز وبروجرد ومازندران.في هذا الوقت، اندلعت أعمال شغب في الاقليم، بما في ذلك القصة الفكاهية لشاه حداد.

كان هذا الرجل من شيوخ آل الكثير وكان يدعى الشيخ حداد، ولكن لما سمع بخبر مقتل محمد شاه وثورة إيران جاء إلى تستر برفقة مجموعة من العرب واستقر في حصن السلاسل.وأخذ بالاتفاق مع الأوباش في التمرد والعصيان، وأطلق على نفسه لقب «شاه حداد» وطالب الناس بفرض الضرائب.ولكن نظرا لخفة عقله، فإنه افتضح أمره في وقت قصير، وصار إلعوبة بيد الناس.ينقل أهالي تستر العديد من القصص المضحكة عنه وتتناقلها أفواه الناس، ويستشهدون بجمل من شاه حداد بلهجة خاصة لدى عرب الاقليم للحوار الفارسي[1].

في الوقت نفسه، دخل شيوخ العرب في عصيان في كل مكان في الاقليم.ورفع علم ميرزا قوما[2] من السادات في بهبهان سنة ١٢٦٥ علم الثورة في تلك المدينة وازدهر

(١) يتحدث أهالي تستر ودزفول بلهجة خاصة، تختلف تماما عن الفارسية الأدبية.وعندما يتحدث العرب هناك بالفارسية، فإنهم يتحدثون تلك الهجة التسترية بلهجة أخرى.وينقل من كلام شاه حداد: أنه مر في يوم من الأيام على سوق تستر، ولأن الناس لم يقموا احتراما له، يصرخ: «اجلس بنفسك واقم بنفسك».وكان يعني (قم واجلس).يقال أنه حينما وصل إلى طهران ورأى المدافع والأسلحة الأخرى، كان خائفا جدا ويقول: «كيف بدنا نعلم مع كل هاي المدافع والجيش» (كيف كان علينا أن نفهم أنه هناك الكثير من المدافع والجيوش).

(٢) كان ميرزا قوما من أشهر المتمردين في ذلك الوقت، وكان مثل محمد تقي خان والشيخ ثامر، ألعوبة بيد الساسة البريطانيين، وحتى الآن ثار مرارا وتسبب في مشاكل للحكومة، وفي كل مرة، عصى وتمرد تحت عنوان ولقب جديد.ذكر ليارد اسمه في كتابه.

سوق السطو والنهب والقتل في تلك المناطق.وكان شيوخ الاقليم كلهم متورطين في هذه الثورة، ويذكر في كتاب ناسخ التورايخ اسم هؤلاء الشيوخ وهم: الشيخ حاكم وشاه حداد والشيخ جابر والشيخ عبد الله والشيخ قادر.

يقال أن الشيخ حاكم هو شقيق الشيخ فارس وفي بعض الكتابات يُدعى أيضا بشيخ الفلاحية.ولكن لم يرد اسمه في كتاب تاريخ كعب.شاه حداد هو ما قلناه، لكننا لا نعرف كيف خرج من تستر.ويقال أن الشيخ جابر هو الحاج جابر أمير المحمرة والاثنان الآخران غير معروفين.

نعم، أرسل ناصر الدين شاه بعد توليه العرش عمه أردشير ميرزا إلى حكم لرستان والاقليم.وجاء إلى لرستان وفي سنة ١٢٦٦ استهدف الاقليم بالمدفعية.وجاء أولا إلى دزفول ومن هناك إلى تستر.وبحسب ناسخ التواريخ، فإنه اعتقل المشاغبين في المدينتين وأرسلهم إلى طهران.ثم أرسل سلمان خان وهو قائد الجيش إلى رامهرمز بخمسة آلاف جندي ومدفعية وعاقبهم وجمع ضرائب تلك المناطق.عندما وصل سليمان خان إلى منطقة رامهرمز، تكاتف شيوخ العرب واندفعوا لمحاربته، وأعدوا ضده جيشا.كما أتى نجل ميرزا قوما لمساعدتهم مع مجموعة.أُبلغ أردشير ميرزا، الذي تبع سلمان خان واقترب منه، بالوضع.وكتب رسائل تهديد للشيوخ العرب فدفعهم إلى التفرق بالوعد والوعيد.لكن سليمان خان تبعهم واعتقل شاه حداد والشيخ حاكم والشيخ جابر، وأرسلهم إلى أردشير ميرزا، واحتفظ بهم في حصن تستر لمدة شهر بسلسلة، ثم أرسل الثلاثة إلى طهران[1].

---

(١) ناسخ التواريخ.

حكومة خانلر ميرزا في الاقليم:

في سنة ١٢٦٧، أصبح خانلر ميرزا حشمة الدولة، عم آخر لناصر الدين شاه، حاكما لرستان والاقليم.وحكم لسنوات عديدة وعهد بالاقليم لابنه إبراهيم ميرزا واستقر في لرستان، في بعض الأحيان كان يذهب إلى الاقليم.

ومن أعماله بناء سبعة ينابيع من جسر فتح علي خاني في تستر، الذي هدمه الفيضان وأغلق طريق العبور في وجه القوافل.

والشيء الآخر هو إغلاق سد هاشم في الحويزة الذي كتبنا قصته مسبقا.حتى وقته، كان ولاة الحويزة وحكام الاقليم دائما يبنونه، ولم يتمكنوا من بنائه كاملا.بذل خانلر ميرزا مزيدا من الجهد وأنفق أموالا كثيرة من أجل بنائه، وعلى الرغم من عدم قدرته على تحمل تكاليف ذلك لفترة طويلة، إلا أنه في النهاية تمكن من بناء السد وأطلق عليه اسم «سد الناصري».

يقول حاجي نجم الملك، الذي كان في الاقليم سنة ١٢٩٩ ورأى هذا السد: إنه لم يُبنى كما كان ينبغي، رغم أنه يقول إن خانلر ميرزا أنفق عليه خمسين ألف تومان.

الحاج جابر خان نصرة الملوك:

كما قلنا، بعد حملة معتمد الدولة على الاقليم ، فقد شيوخ كعب والحكام المحليين الآخرين السلطة، ورسخ هناك بنيان الحكومة.ولكن منذ بداية عهد خانلر ميرزا ، نمت عائلة جديدة في الاقليم.وكما سنرى، تتولى هذه العائلة مرة أخرى شؤون الاقليم وتجعل الحكومة عاجزة هناك، وهذه هي عائلة شيوخ المحمرة التي نتحدث عنها في هذا القسم.

مؤسس هذه العائلة هو الحاج جابر ابن الحاج يوسف الذي ذكرنا اسمه واسم والده من قبل.الحاج جابر، كما قلنا، عين جابر في المحمرة، لكن في قصة حملة معتمد الدولة على ثامر، لم يذكر اسمه قط.بعد ذلك، عندما يكتب ناسخ التواريخ

قصة أسره على يد أردشير ميرزا وإرساله إلى طهران، لا نعرف أي شيء عن كيفية إطلاق سراحه[1].لكن منذ بداية حكم خانلر ميرزا، نجده مرة أخرى في الاقليم، وهو أحد مؤيدي الحكومة هذه المرة، فضلاً عن حكومة المحمرة، شغل أيضا منصب قائد حرس الحدود، ويوما بعد يوم، يرتفع موقعه في نظر الحكومة.

يبدو أن أول محاولة لحكم الحاج جابر الذي تسبب في رونق عمله هي أنه في سنة ١٢٦٧، عندما وصل خانلر ميرزا لتوه إلى الاقليم ، انتشر وباء في المحمرة، وعدد من الجنود الذين كانوا حراسا هناك، فقد بعضهم طاقتهم وفرّ بعضهم الآخر خوفا من المرض.في غضون ذلك، اجتمعت مجموعة من الأعراب ووصلت إلى الحصن في جزيرة الخضر ورفعوا راية التمرد والعصيان.وحاكم البصرة يؤجج في الخفاء نيران الفتنة.في مثل هذا الوقت العصيب، ذهب الحاج جابر خان للعمل تطوعا وقاتل المتمردين، وبعد أن قتل عدداً من الناس من الجانبين طردهم من الحصن والجزيرة، وهكذا جعل اسمه مشهورا كطالب للحكومة[2].

ثم، في سنة ١٢٦٩، وقعت حادثة أخرى، وهي أنه انتشر من جديد وباء في المحمرة، ومرض الجنود مرة أخرى.ومجموعة منهم والذين كانوا بصحة جيدة يخططون للهروب. يتواصل القادة مع الحاج جابر خان ويطلبون منه المساعدة، ويرسل مجموعة من المسلحين العرب الذين يأخذون الهاربين في الطريق ويعيدونهم.لكن لم يمض وقت طويل حتى أصبح الوباء شديدا لدرجة أن ستة من القادة ومائة وخمسين من الجنود أصيبوا بالوباء وماتوا.والناجون دخلوا المستشفى أو هربوا دون أن يوقفهم أحد. وهكذا، فإن قلعة الجزيرة لا تزال بلا حراسة، ونظرا لعدم إمكانية الوصول إلى خانلر

(١) بالرغم من أن كاتب الناسخ يذكر فقط اسم «الشيخ جابر» وليس من المؤكد أنه يعني هنا الحاج جابر، ولكن بما أننا لا نعرف جابرا أخر بين شيوخ العرب في ذلك الوقت، وكذلك قصة اعتقال الحاج جابر وإرساله إلى طهران، مشهورة في إقليم الأحواز ، على هذا، نرى الشيخ جابر ذلك هو نفسه ولا نرى غيره.

(٢) لدينا سلسلة من الأوامر عن الحاج جابر خان والتي تكتب هذه النصوص مستندا على تلك الأوامر.

ميرزا، طلب القادة مرة أخرى المساعدة من الحاج جابر خان، ويرسل نجله الشيخ محمد العقيد مع مائة مسلح عربي لحراسة الحصن.

الحرب البريطانية مع إيران وسيطرتهم على المحمرة والاقليم:

خلال فترة القاجار، هزم فتح علي شاه في الحروب التي خاضها مع الروس، تضررت سمعة إيران ولأنهم حاربوا البريطانيين في عهد ناصر الدين شاه، فقد هُزموا ولم يعد لديهم سمعة لإيران.

هذه الحرب لها قصة طويلة وتستحق أن تُكتب في كتاب منفصل.هنا سنناقش جزءا منه فقط ونذكره بإيجاز.

في سنة ١٢٧٢هـ، عندما فتح السلطان مراد ميرزا ، بأمر من ناصر الدين شاه، هرات بالحرب وسفك الدماء.والبريطانيون، الذين كانوا منزعجين من إيران لسنوات في هذا الوقت وكانوا يحاولون تعطيل عمل هذا البلد، أظهروا في هذا الوقت العداوة وأرسلوا سفنهم الحربية إلى الخليج العربي، وسيطروا على مدينة بوشهر ومحيطها.كما دخلت الحكومة الإيرانية في الحرب وشنت حرب استنزاف. لكن بسبب الخوف من مهاجمة موانئ الاقليم، طلب خانلر ميرزا، الذي قلنا أنه حاكم الاقليم، جنوداً من عامة البلاد وجاء إلى المحمرة مع ابنه إبراهيم ميرزا وأقام معسكرا.وفي جزيرة الخضر وعلى الجانب الآخر من المحمرة، بجانب الشط، وضع الخنادق ووضع حملة البنادق فيها.

كتب الكابتن هنت، الذي كان أحد القادة البريطانيين في حملتي بوشهر والمحمرة، كتابا عنهم، وهو متاح الآن.كما ألف ياوري وهو من قادة فوج فراهان، وكان في جيش خانلر ميرزا، ما رآه من البداية إلى النهاية، ولدينا كتابه أيضا.مما يفهم من كتاباتهما أن الجيش الإيراني لم يكن أدنى من البريطانيين في الشجاعة والحرب، ولم يقصروا أبدا.وكانت الخنادق أيضا في مكانها ومستقرة.يقول ليوتنان جنرال أوترم

الذي كان قائداً للجيش البريطاني كتب بنفسه في رسالة إلى القائد الهندي بعد معركة المحمرة، والآن لدينا نسخة منها حول تحصينات الإيرانيين: وضعوا خنادق في نواحي شمال وجنوب المنطقة وكانت بسمك عشرين قدما وارتفاع ثمانية عشر قدما، وكانوا قد وضعوا مدافع ثقيلة فوقهم لدرجة أنها تصوب جميعا من أعلى وأسفل شط العرب وما وراءه والتي كانت في مرمى الرصاص.يمكن القول أنهم قد استخدموا كل شيء من المعرفة والتجريب حتى الآن حتى لا يسمحوا لسفننا بالمرور خارج حصونهم»[1].

إذن ما الذي تسبب في هزيمة الإيرانيين؟ يمكن القول أن أمرين تسببا في ذلك: أولا وجود خانلر ميرزا وثانيا فقدان القيادة.رغم أنه كان ابن عباس ميرزا ، إلا أنه كان جبانا وما كان عنده خبرة بالحرب.في أيامه الأولى، جلس في الأحواز وعين ابنه إبراهيم ميرزا قائدا للمعسكر.كان منشغل بصيد الدراج أكثر من غيره، وربما يأخذ رؤساء العشيرة معه.ساءت الأمور عندما جاء خانلر ميرزا نفسه إلى المحمرة.مهما كان ما قدموه لرؤساء العشيرة، لم يسمعوا أي جواب سوى الوقاحة.إذا تحدث أي شخص عن نظم الجيش البريطاني، ويقول كان يجب أن نكون أفضل استعدادا لهذه الحرب عندما يسمع ذلك يكون غاضبا وشرسا.كان يقول دائما ما الذي يمكن أن تفعله بريطانيا في الحرب ولماذا نخاف منها.بسبب جهله، عقد رؤساء العشيرة اتفاقا سرياً مع بعضهم البعض على عدم التحدث معه في هذا الباب من بعد، لكن بعضهم سلك طريق المحاباة والتملق، ويبدأون بتقليل حجم القدرة البريطانية وإذلال جيوشها، بحيث يقول أحد رؤساء العشيرة بعدم المبالاة، «دعني آخذ السفينة بين ذراعي في يوم الحرب وأقوم بإحضارها إلى هنا»، يقول آخر، «سأقاتل وفي يدي نارجيلة وبالأخرى سيف».

---

(١) ونشر رسالة أوترم في جريدة أوقات العراق بالبصرة (السنة الرابعة رقم ٦١، الطبعة الجديدة).

يكتب ياور فراهاني عن أدوات العمل أنه في اليوم الأول لم يكن لديهم مجارف ومعاول ولم يتمكنوا من العثور على سهام وخشب لبناء الخندق، وبهذا السبب أنهم بنوا خنادق قليلة.

احتل البريطانيون مدينة بوشهر في الشتاء (يناير ١٨٧٥م).لكن مع اقتراب من عيد النوروز، ينوي الذهاب إلى المحمرة.كان لدى خنلر ميرزا سلسلة من الخنادق في جزيرة الخضر سلمها للحاج جابر خان ونجله العقيد محمد (شيخ محمد) وأرسل مجموعة من الجنود والفرسان لمساعدته.كما كان لديه سلسلة من الخنادق الأخرى في شمال المحمرة، وخلف هذه الخنادق نصبت خيامه الخاصة وخيام وزيره وخيام ابنه في مكان منفصل.

كان البريطانيون، الذين أتوا إلى شط العرب من البحر واقتربوا من الخنادق الإيرانية، كانوا يريدون أن يعبروا من جانب هذه الخنادق ويصلوا إلى الضفاف فوق المحمرة ويقيموا معسكرا.كان ذلك في يوم الخميس التاسع والعشرين من زجب، بعد ستة أيام من نوروز (٢٦ مارس ١٨٧٥م)، بدأت سفنهم بإطلاق النار قبل الفجر. عرف الإيرانيون نواياهم وكانوا مستعدين.هم أيضا ردوا بالعبوة الناسفة.دارت معركة شرسة لعدة ساعات وقاوم الإيرانيون من دون أدوات.خاصة في جزيرة الخضر إذ أظهر الحاج جابر خان ورجاله الشجاعة والمروءة، في هذه الأثناء ألحقت قذائف هاون بريطانية في عدد من الخنادق خسائر كثيرة، وأصيب أحد رؤساء العشيرة، وهو أغا جاني خان، بجروح.من ناحية أخرى، لم يستطع خانلر ميرزا وابنه، اللذان كانا قائدين للجيش، أن يحافظا على الخنادق ويمنعا الجنود من التفرق.يكتب إبراهيم ميرزا ، "كان جالسا في وسط حفرة، وكلما يأتي جندي هارب من الخندق يسأل: هل ما زالوا يقاتلون؟" ومع ذلك، من الواضح أنه لم يستطع الجيش الإيراني أن يفعل شيئا. وكان ذلك عندما مرت سفينة أو سفينتان بريطانيتان بلا خوف أمام الخنادق وهبط طاقمها فوق الخنادق الإيرانية.ووصلت الأخبار إلى خانلر ميرزا والآخرين، بدلا من

إرسال الفرسان لإيقافهم، تروّعوا هم أنفسهم وحاولوا الهروب.سارع إلى استدعاء الجنود من الخنادق وأضرم النار في ترسانته.واتجهوا نحو الأحواز متشتتين ومبعثرين.

وهكذا انتهت حرب المحمرة.هبط البريطانيون بشكل مريح وأمضوا الليل بحذر بالقرب من الشط.وفي اليوم التالي تقدموا إلى المعسكر الإيراني.وتطاولوا على خيام خانلر ميرزا وغيره التي نصبت مع أشياء أخرى كثيرة.كما قادوا الجيش إلى مدينة المحمرة وسيطروا عليها.

يكتب الكابتن هنت: لقد تم ترك ثمانية عشر مدفعا وبندقية جديدة وفعالة، وكان أحد المدافع تبلغ قيمته اثنا عشرة جنية والذي أرسله الإمبراطور الروسي إلى شاه إيران في سنة ١٨٢٨.يقول: لقد تركوا كمية كبيرة من الحنطة والطعام: عدد الموتى الباقين على الأرض كان من سبعين إلى ثمانين، لكن مما يبدو من القبور الجديدة التي شوهدت في الجوار أن الكثير قد دفن.ويقول هذا يظهر عدد القتلى ما يقرب من ثلاثمائة شخص.

لكن بسبب كثرة إطلاق النار عليهم لا بد أنه قد قتل أكثر عدد من هذا.وقال «لكنه قتل عشرة اشخاص منا وأصيب قائد وثلاثون جنديا».

يعد هروب خانلر ميرزا هذا من البريطانيين إحدى القصص الفاضحة في تاريخ إيران.يكتب ياور فراهاني أشياء يخجل الجميع من قراءتها.يقول: في حين كانوا يعتزمون الرحيل، وعلم الحاج جابر خان أنه هرع من الجزيرة إلى خانلر ميرزا، وأراد أن يحفظه ولا يتركه يرحل، فقال: لماذا ترحل؟! لم يحدث شيء ولم يقتل عدد كثير منا.وقال خانلر ميرزا: "ليس لدينا خيار سوى أن نخجل".ومهما تضرع وقال لا ترحلوا وقاوموا، فلم ينفع، وبكى وقال أنكم فضحتموني بين العرب، ولم أعد استطيع العيش بين العرب.

فضيحة أخرى هي أنهم تركوا العديد من الجرحى والمرضى وراءهم بحيث تم اكتشاف بعضهم وعولجوا من قبل البريطانيين.وبعضهم هلك أو أوصلوا أنفسهم إلى

خيام الأعراب.

وصل خانلر ميرزا إلى الأحواز في أربعة أيام.لكن لأن ثلاث سفن من البريطانيين كانت ستتبعه ويقصدون الأحواز.لم يمكث هناك خوفا على حياته واتجه إلى تستر. وأخذ معه بعضا من جيوشه إلى تستر وأرسل بعضه الآخر إلى دزفول، ليدخلوا تستر عبر ذلك الطريق.

جاء البريطانيون إلى الأحواز ووصلوا إلى تلك المدينة واستقروا فيها.بعد فترة طويلة، أعد خانلر ميرزا جيشا وأرسله إلى الأحواز لمحاربة البريطانيين، للتعويض عن الماضي.لكن في هذا الأثناء وصلت أنباء مصالحة إيران مع بريطانيا ولم يبق داعي للحرب.وترك البريطانيون الأحواز والمحمرة بحالهم وغادروهما.

يشار إلى أن المصالحة بين إيران وبريطانيا جرت في مدينة باريس، في السابعة من شهر رجب، وأبرمت المعاهدة.وبعد اثنين وعشرين يوما من يوم التاسع والعشرين من رجب، كما قلنا، وقعت حرب المحمرة.والسبب في ذلك أنه في ذلك الوقت، لم يكن هناك سلك تلغراف بين إيران وأوروبا أو الهند وأوروبا.من ناحية أخرى، لم يتم حفر قناة السويس واضطرت السفن للانعطاف من رأس الرجاء الصالح للوصول إلى أوروبا أو الهند أو الخليج العربي.وكان هذا نبأ تلك المعاهدة والمصالحة وصلت إلى الهند بعد وقت طويل وأخبر البريطانيون إيران بذلك الأمر(1).

هدوء الاقليم في عهد ناصر الدين شاه:

بعد ١٢٧٣هـ عندما اندلعت الحرب البريطانية الإيرانية.حتى عهد ناصر الدين شاه، الذي استمر أربعين سنة، لم تكن هناك حرب أو تمرد في الاقليم.ويبدو أنها كانت هادئة دائما: في هذا الوقت، كانت القبائل العربية مقسمة إلى عدة أقسام وكان

(1) كتاب الكابتن هنت.كتيب ياور فراهاني.ناسخ التواريخ.

لكل قسم شيخ منفصل: الكعبيون الذين سكنوا في المحمرة إلى الأحواز مع قبيلة باوي كانوا تحت أمر الحاج جابر خان.وكان للكعبيين في الفلاحية وما حولها شيخ آخر يلقب باسم شيخ المشايخ.وكانت عشائر الحويزة وتلك النواحي تحت أمر عائلة المشعشعيين.كان لكل من آل الكثير في وسط تستر ودزفول وآل الخميس بالقرب من رامهرمز شيخ منفصل.هؤلاء الشيوخ الخمسة كانوا زعماء القبائل العربية، وكان لكل منهم شيوخ أُخر تحت نفوذه.

كما قلنا، من بين كل هؤلاء، اشتهر الحاج جابر خان بدعمه للحكومة.وكانت حاله تتحسن وظروفه يوما بعد يوم، بعد قصة الحرب البريطانية التي قدمت فيها تضحيات، وفي سنة ١٢٧٤هـ منحه خانلر ميرزا سلطة قبيلة باوي.في مرسوم من خانلر ميرزا الذي موجود في هذا الصدد، فكتب بالمرسوم: «تركنا أمر قبيلة باوي له، وهي أقل العرب أدبا، ونكتب هذا الحكم بخط أيدينا بأن الحاج جابر خان مير بنج «لا تأخذه بهم رأفة» يجب أن يجعل هذه القبيلة مهذبة لدرجة أنها تنسى تماما الوقاحة.إنه حر في إقالة كبار السن وتنصيبهم معه ومعاقبة هذه القبيلة وتأديبها وقتلها ونهبها.«أكتب بشكل صريح أنه إذا قام الحاج جابر خان بقتل قبيلة باوي كلها، فهو مختار من قبلي وآذن له بذلك الأمر».

في مرسوم آخر كتبه ناصر الدين شاه بنفسه سنة ١٢٨٤هـ أعرب عن رضاه لأعمال الحاج جابر خان، ورفعه من مير بنجي إلى رتبة العميد الأول.

بعد الحاج جابر خان، كان لوالي الحويزة شأن في الحكومة.لم يقترب الآخرون من الحكومة.كان كل من هؤلاء الشيوخ حاكما لقبيلته ومسؤولا عن ضرائبهم، وإن لم يكن أي واحد منهم قادرا على دفع ضرائبهم، عزله حاكم الاقليم وعين مكانه شيخا آخر.

علمت الحرب البريطانية حكومة قاجار درسا بعدم ترك الاقليم من دون قوات ومدفعية.كان لديهم دائما فوج من الجنود بخمسة عشر أو ستة عشر مدفعا في تستر

وفوج آخر بأربعة أو خمسة مدافع في المحمرة واستقر عدد من جند المدفعية بمدفع واحد في كل من الفلاحية والحويزة.وضعوا جدارا حول المحمرة وشيدوا الأبراج.أيضا، تم بناء ثكنة في مدينة الأحواز، ودائما كانت تعيش هناك مجموعة من الجنود.

نشأ السلام من وجود هذه القوات والمدفعية في الاقليم، ولم يستطع أحد أن يثور. انخرط الأعراب في الزراعة، بدلا من الغزو، وحدث تطور وعمران في تلك الأرض.

ولكن منذ ذلك الوقت كان بإمكان البختياريين الوصول إلى الاقليم، وأخذها مشتى لهم.وكما هو الحال مع كل هؤلاء، فقد تسببوا في الكثير من الدمار للقرى والنواحي المعمورة.في كتيب تعداد تستر الذي سنذكره، يكتب عن قرية ديمجه: «في السابق، كانت قرى وأراضي معمورة كبيرة في تلك القرية، ودمر تلك القرى بسبب سيطرة الأثوار وسطوهم.الآن لا يمكن العثور على أي شخص هناك باستثناء الفلاحين من تستر الذين يحملون الخيام وبعض الأشياء هناك في بداية موسم الأمطار ويزرعون في الشتاء ويعودون إلى أن يحملوا الخيام والأدوات مرة أخرى أثناء الحصاد، ويحصدون الحصاد ويأتوا به إلى المدينة.

والمثير للدهشة، أنه على الرغم من كل هذا الاستبداد البختياري، في عهد رئاسة حسين قلي خان ايلخاني، خولت السلطات، جمع ضرائب الاقليم (باستثناء ضرائب المحمرة والعشائر الموكلة إلى مزعل خان) والبختياريين وتسليمها إلى رئيس القبيلة الذي كان بمثابة ترك القطيع للذئب.

كتب حاجي نجم الملك في رحلته عن الشكاوى حول صرامة وقساوة رئيس القبيلة لأهل الأحواز ويقول: «يرسل حسين قلي خان ايلخاني قبائل بختياري إلى نواحي اقليم الاحواز من دزفول إلى رامهرمز ومدينة الأحواز في كل سنة خمس مرات في الشتاء والربيع، ويشتتون في المروج والحقول».ويقول إن «سياسة رئيس القبيلة الرئيسة في اقليم الاحواز كانت إثارة الفتنة والعداوة بين الشيوخ، ويخلق العداوة كي يقتل مجموعة وفي غضون ذلك يحصل على النقود.

لكن عهد رئيس القبيلة لم يدم طويلا، ففي نفس السنة ١٢٩٩هـ عندما كتب الحاج نجم الملك رحلته، أسر ظل السلطان ايلخاني الذي جاء إلى أصفهان وقتله.بعد ذلك، يدفع كل من شيوخ العرب ضرائبه لحاكم الأحواز مباشرة.لكن يبدو أنه من عادة تلك الأوقات أن ضريبة بختياري لا تزال أعلى من قرى حول تستر.خلال فترة من السنة الحالية[١] عندما كنت في الأحواز، اشتكى أهالي تلك القرى دائما من طغيان البختياريين.وقالوا إن الضرائب التي يدفعونها للحكومة عن كل قرية، يأخذون أضعافها من الفقراء والمساكين[٢].

الإحصاء في الإقليم:

في سنة ١٢٧٦ عندما كان الأمير بهرام ميرزا معز الدولة واليا لاقليم الاحواز ويعيش هناك، بأمر الملك قاموا بإحصاء عدد السكان في المدن والقرى.وبما أن كتيب التعداد السكاني للمدينتين متاح لنا الآن، فإننا نأتي بالأرقام من كل منها هنا:

في هذه الكتيبات، تمت كتابة الأحياء والقرى من منزل إلى منزل.وذكر عدد الساكنين في كل منزل على حدة.يوجد في تستر اثنا عشر حيا، أربعة منها في الشمال من بيوت حيدري وثمانية منها في الجنوب من بيوت نعمتي.خارج تستر، توجد أربع قرى (كتل): عقيلي ومياناب، وهما من الأراضي المزروعة بماء القناة والنهر فاریاباست، وکرکر ودیمجه، وهما من أراضي المزروعة بالمطر.

(١) سنة ١٣٠٣ ش.

(٢) رحلة الحاج نجم الملك، تاريخ البختياريين.

حول تستر نفسها، ذكر الأرقام التالية:

المنازل ٢٤٦٧

الذكر ٧٤٦٧

الأنثى ٨٣٧٢

الجميع ذكورا وإناثا ١٣٨٣٨

عن مدينتها وقراها، ذكر الأرقام التالية في مكان:

المنازل ٣٥٢٨

البقاع ٣٥

المسجد والمدرسة ٣٦

الذكر ١٠٩٠٩

الأنثى ٨٧٣٦

ذكر عن دزفول وحواليها الأرقام التالية:

المنازل ٣٤٣٤

المسجد والمدرسة ٤٩

الحمام ١٥

محط القوافل ٤

المحل ١٤١

الذكر ١٤٣٦٧

الأنثى ١٣٠٦٩

الجميع ذكورا وإناثا ٢٧٤٣٦

عشائر الأعراب والألوار حوالي المدينة ٧٨٠٠

المدينة كلها وحواليها	٣٥٢٣٦

ذكر عن الفلاحية وحواليها الأرقام التالية:

المدينة وحولها	٣٨٣٨
عائلة شيخ المشايخ (من بين تعداد الأعلى ذكره)	١١٦٥
عشائر الفلاحية	٢٥٤٣٤
كل أهل المدينة وحولها والعشائر	٢٩٢٧١
جراحي	٢٧٨٤
قرية ملا	١٠٠٤
هندجان	٢٠٠٠
ميناء معشور	٧٥٠
كل المدينة وحواليها والعشائر وهذه القرى الأربعة	٣٦٦٠٩

الشيخ مزعل خان معز السلطنة:

توفي الحاج جابر خان في المحمرة سنة ١٢٩٧ أو ١٢٩٨هـ بعد أكثر من ثلاثين سنة من الحكم.كما قلنا، كان رجلا حكيما ويقظا، وفي بداية عمله يتصرف مع الحكومة الإيرانية بالتعاون.لكن يبدو أنه بعد هزيمة إيران في حرب المحمرة وتلك الفضائح، لم يعد جابر خان يحب إيران، ووجدت سرا طريقته مع الموظفين البريطانيين.لأنه كان يتعامل دائماً مع البريطانيين خلال سنوات عمله في التعامل على التخوم.وكان على كل سفينة بريطانية مرت عبر شط أن تطلق نار السلام أمام فيلية، قصر الحاج جابر خان.ويجب أن يرد من فيليته بإطلاق النار، والتي كانت تقليدا ثابتا حتى زمن الشيخ مزعل خان.كانت هذه الصفقة مع البريطانيين ذريعة جيدة في يد الحاج جابر خان لتكوين صداقات معهم في السر.

بعد وفاة الحاج جابر تشاجر ولديه الشيخ محمد والشيخ مزعل على خلافة والدهما.ورغم أن الشيخ محمد كان الابن الأكبر، فقد اختارت عليه القبيلة الشيخ مزعل، وجاء الشيخ محمد إلى طهران وشكا للشاه من عمله.قال البعض إنه لا يزال يسكن في طهران في عهد والده.على أي حال، كان ناصر الدين شاه يحمي الشيخ محمد وأمر بحكم المحمرة والحدود باسمه وأرسله إلى الإقليم.لكن لأن القبيلة لم تكن تريده، وفق مزعل في هذه الساحة، واضطر الشيخ محمد للذهاب إلى البصرة والاستقرار هناك.كما أعطى الشاه للشيخ مزعل لقب «خان» و «نصرة الملوك» وهو لقب الحاج جابر خان.

كان مزعل، مثل والده، يظهر دائما دعمه للحكومة.لكنه تحالف سراً مع البريطانيين.تدريجيا، زاد مجده إلى مجد أبيه.وأعطاه الشاه لقب «معز الدولة» ورتبة أمير توماني النظام، وسلمه قيادة المدفعية والجنود الذين كانوا حراسا في المحمرة، وسلمه أمر الخراج من القصبة إلى حدود البصرة، ومن الأحواز إلى المحمرة، لجميع القبائل التي ذكر عددها الحاج نجم الملك أنها ستة آلاف أسرة، ويأخذه من القبيلة ويدفعه لخزينة الدولة أو لوالي مدينة إقليم الأحواز مباشرة.ورغم أن الضرائب الأخرى كانت مجموع شيوخ بختياري والذين يدفعونها لرئيس القبيلة، كما ذكرنا من قبل، أنه كانت لمزعل سفن وتتنقل في شط العرب وكارون.ومن كل الجهات كان حرا وكان الطريق لتجميع الثروة مفتوحا أمامه.

رحلة الحاج نجم الملك إلى الاقليم:

كان ناصر الدين شاه في منتصف عهده شديد التعلق بعمران إقليم الأحواز، ويرسل أشخاصا للزيارة هناك.كان أحدهم من أفراد الحاج نجم الملك، وهو عالم فلك أرسله سنة ١٢٩٩هـ لزيارة السد المكسور في الأحواز وتقدير تكلفة إغلاقه وبنائه، ويكتب أيضا أي معلومات يحصل عليها حول الإقليم.

استغرقت جولة الحاج نجم الملك في اقليم الأحواز ثمانية أشهر.وقد كتب تقريراً وكتابا بعنوان الرحلة ورسم خرائطاً، وكلها الآن متوفرة عندنا.حول سد الأحواز في ذلك الوقت، كانت هناك ظنون غير صحيحة تجري على أفواه الناس، واعتقدوا أنه إذا تم بناء ذلك السد، فإنه سيصبح كل الأراضي في جميع أنحاء الاقليم مزروعة بماء النهر، وستصبح مرة أخرى أرضا لزراعة قصب السكر في إيران.الحاج نجم الملك اكتسب القيمة الحقيقية لسد الأحواز ويكتب عن ذلك في تقريره: «كلما أرادوا بناء وعمران الاقليم تضطر الحكومة للمضي قدما في ترتيب تصرفات القدماء، لأن مياه كارون عالية ومئة وعشرة أو مئة وخمسة عشر حصنا، الذي لا يمكنه أن يقاوم، وأيضا، ولو تم حفر نهرين في مقابل هذا السد على كلا الجانبين، ومهما كان العرض، ما مقدار سعة المياه التي ستحصل عليها؟ ولو افترضنا، إذا قمنا بتضمين كل مياه كارون فيها، فلن تتمكن الأرض المحيطة به من الاحتفاظ بالمياه».

معناه أنه إذا كانت هناك حقول في جميع أنحاء الاقليم في العصور القديمة، فإن مصدرها جميعا لم يكن سد الأحواز فقط.ولكن، كان هناك من بضعة فراسخ من شمال تستر إلى أسفلها عشرة أو أحد عشر سدا أخرى، والتي نشاهده اليوم انكسارها.وكل من هذه السدود هي مياه عشرة أجزاء من الأراضي التي لا تروى من سد الأحواز.ثم كان لتلك السدود أيضا هذه الميزة، إذ قلل كل منها بدوره من قوة الماء وحجمه الكثير، الذي لا يبقى حتى سد الأحواز بأكثر من نصف قوة الماء وحجمه.والآن، يجب إغلاق كل هذه السدود حتى تصبح الأحواز عامرة.و إلا، لن يكون السد في الأحواز وحده قادرا على تحمل قوة الماء، وإن كان سيتم ري جزء صغير فقط من الأرض من هذا السد.

نقطة أخرى لم يفهمها الحاج نجم الملك، والآن نضيف إلى كلماته أنه في العصور القديمة كان ثلث مياه كارون فقط يتدفق من مجرى سد الأحواز.

والثلثان الآخران، كما قلنا من قبل، يصب بالكامل في البحر من مجرى آخر باسم مسرقان.قلنا أيضا أنه يبدو أن إحدى طرق حفر نهر مسرقان كانت تقليل قوة

المياه على سد الأحواز والسدود الأُخر. ويبدو أن من أسباب سقوط سد الأحواز، الذي حدث في القرنين الخامس والسادس، عودة كل المياه إلى نهر واحد كما ذكرنا هذه الأحاديث من قبل.

كتب الحاج نجم الملك في رحلته وتقريراته تفسيرات كثيرة عن الزراعة والملاحة في الأنهار وعن محنة الشعب وطغيان الحكام والبختياريين والشيوخ وغيرهم. فضلاً عن ذلك، أجراء إحصاء للقبائل العربية، والتي، على الرغم من أنها تخمين، إلا أنها غير مبالغ فيها. لأنه قام بتعداد كل عشيرة من عائلة إلى عائلة ومن قرى إلى قرى وكان دقيقا في عمله. ربما كان قد طلب المعلومات من الشيوخ. ويقول إن عرب الاقليم لا يقل عددهم عن عشرين ألف عائلة(١)(*)(٢).

كما قدم الحاج نجم الملك تقديرات من أهالي المدن بحيث أن عدد سكان تستر يزيد عن عشرين ألف نسمة، ويقدر تعداد دزفول نحو أربعين ألف نسمة(٣). يكتب عن المحمرة: لديه ما يقرب من ألف منزل مبني وسقيفة.

يكتب عن الحويزة: «حسب تقرير الوالي، هناك الآن ستمائة عائلة تسكن في السقائف». ويكتب عن رامهرمز: «ليست فيها أكثر من مائتي عائلة وجميعهم فقراء ويسكنون في منازل طينية متبنة وسقائف»، يقول عن الفلاحية: يوجد بها ثلاثون أو

(١) (*) تشير الدراسات الحديثة أن عدد السكان العرب في اقليم الاحواز بلغ أكثر من خمسة عشر (١٥) (مليون نسمة) في مطلع القرن الواحد والعشرين وتلك الاحصائية كانت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي وبالتحديد بتاريخ (١٣٠٠هـ) ونحن الآن بعام ١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م.

(٢) يذكر اللورد كرزن، الذي جاء إلى إيران في نفس الوقت، عدد العرب في إقليم الأحواز من ١٧٠،٠٠٠ إلى ٢٠٠،٠٠٠. كتاباته لا تختلف كثيرا عما قاله نجم الملك، بحيث إذا افترضنا أن كل بيت في المدينة= =به خمسة أفراد، يمكن أن يعد بسبعة أو ثمانية أشخاص في القرى والصحراء، ومن هنا يصل تعداد الحاج نجم الملك إلى حوالي ١٥٠ ألفا، وهو قريب من كتابات كرزن.

(٣) يجب أن يقال أن هذه التقديرات ضيقة الأفق، لأنه في إحصاء سنة ١٢٨٦ خمن سكان تستر أقل من أربعة عشر ألفا وأهل دزفول أقل من ثمانية وعشرين ألفا. ولا يصدّق تلك الزيادة في التعداد، في الثلاث عشرة سنة التي مرت على زمن الحاج نجم الملك.

أربعون منزلا من الطين المتبن، ومائة إلى مائتي منزل من سقائف وعشرين إيوانا، وهو محل كامل بدون أبواب وألواح»[1].

حرية الملاحة في كارون السفلى:

كارون، وهو أكبر نهر في إيران اليوم، يصلح للملاحة من مصبه في البحر أو شط العرب من ميل ونصف إلى مدينة تستر. ومنذ العصور القديمة كانت السفن في حالة تنقل دائما، وما يظهر مقابل مدينة الأحواز هو حاشية حجرية في مجرى النهر تمتد من جانب إلى آخر، وفي ظل نتوءه، يخلق ما يشبه شلالا. ومع ذلك، يوجد في وسطها حفرة في مكانين، أو بعبارة أخرى، واد يمر من خلاله جزء كبير من المياه ويملأ النهر في الربيع عند الفيضانات وتمر السفن أيضا عبر تلك الممرات. ولكن لأنه في أوقات أخرى يصعب على السفن المرور عبر تلك الممرات، أو أمر مستحيل. لهذا السبب السفن التي تبحر في كارون، حينما تصل إلى مدينة الأحواز وتصل إلى قرب هذه الحاشية، كان عليهم أن يقفوا ويدخلوا بأنفسهم إلى اليابسة ليؤخذوا إلى مكان آخر بواسطة سفينة أخرى على الجانب الآخر من تلك الحاشية.

ما نعتقد أن الأمر الذي تسبب في وجود مدينة الأحواز كانت هذه الحاشية والسفح. لأن السفن التي اضطرت إلى التوقف عند هذا الحد كانت بحاجة إلى ميناء لتفريغ حمولتها إلى سفينة أخرى هناك، والميناء نفسه هو الذي زاد في اتساعه تدريجيا وأصبح مدينة كبيرة[2].

على أي حال، بسبب هذه التلال الصخرية، ينقسم نهر كارون إلى قسمين، نسمي شماله كارون العلوي وجنوبه كارون السفلى.

(1) النسخة الأصلية من رحلة الحاج نجم الملك وتقريره وخريطته موجودة بمكتبة الدولة، كما يوجد مخطوطة من رحلة وتقرير في وزارة المالية.

(2) كما تم بناء سد مدينة الأحواز على سفح الجبل ذلك.

حتى سنة ١٣٠٦ ق، لم يكن أي من جزأي كارون متاحا للملاحة.ولم يتنقل أحد غير الإيرانيين أنفسهم في تلك النهر، وفي ذلك السنة جعل ناصر الدين شاه كارون السفلى والتي تمتد من الأحواز إلى شط العرب، حرا لأجل إنعاش التجارة والملاحة الأجنبية.

شعر الأوروبيون بسعادة غامرة وأول من شغل سفنهم هناك كان إخوة لنج من رجال أعمال بريطانيين وقاموا أيضا ببناء سكن لموظفيهم في الأحواز، والتي كانت حتى ذلك الحين مجرد قرية.ويمكن القول إنهم بنوا أول قاعدة لعمران تلك المدينة.

وأما كارون العليا ظلت الملاحة فيها غير مرخصة، ولا أحد يستطيع أن يبحر هناك سوى الإيرانيين، إلا بإذن خاص من الحكومة.ولأن إخوة لنج قد تبرعوا بإحدى سفنهم للحكومة، فقد سمح لهم باستخدام نفس السفينة كعامل حكومي في كارون العليا.ثم حصل الحاج معين التجار بوشهري وعدد من الأشخاص الآخرين على إذن بالإبحار في ذلك الجزء من كارون.حيث تعمل الآن عدة سفن وعدة «زوارق بخارية». كما تأتي سفن شركات النفط الإيرانية والبريطانية وتذهب إلى هناك.

عمل إخوة لنج الآخر هو أنه في سنة ١٣١٤هـ، بمساعدة الحاج علي قلي خان سردار أسعد، أخذوا امتياز طريق القافلة من الناصري إلى الأحواز من الحكومة وجعلوا ذلك لطوال الوقت.وفي كارون، وفي ثلث الطريق، تم بناء جسر حديدي تأتي منه القوافل وتذهب من الناصري إلى أصفهان[١].لأن الطريق إلى خرم آباد أقرب وأسهل من هناك، بعد افتتاحه، فيسقط هذا الطريق من الازدهار والاعتبار.

كلمة قصيرة؛ كارون هو الممر المائي الوحيد الذي تملكه إيران للخليج العربي، وكلما أصبحت الحكومة أقوى وكلما أصبحت أكثر استقرارا في البحر سيضيف إلى قيمة كارون أهمية أخرى.

(١) تاريخ الجنرال سايكس، والمجلد الثاني من تاريخ البختياريين.

ظهور الناصري أو الأحواز الحديثة:

حرية كارون السفلى كانت خطوة أخرى نحو تطوير الاقليم، كانت النتيجة الأولى ظهور الناصري أو الأحواز الجديدة الذي أقيم على أنقاض الأحواز القديمة.

تدمير الأحواز القديمة هو أحد الغاز تاريخ إقليم الأحواز، بحيث لم يكتب تاريخه ولا سببه في أي مكان.ما توصلنا إليه من البحث أنه يعود إلى نهاية القرن الخامس أو بداية القرن السادس[1].ويكمن سبب التدمير في أمرين: أحدهما تحطيم السد والآخر عودة مسرقان من نهره وانضمامه إلى دجيل الذي ذكرناه من قبل.

لتوضيح ذلك، يجب أن نعرف أوضاع المدينة القديمة في زمن عمرانها: كانت الأحواز تقع على الجانب الشرقي من دجيل (كارون) وكان يمر عبرها نهر كبير للغاية بعرض عشرين ذراعا، تم فصل هذا النهر الذي كان يسمى «شاه جرد» عن الدجيل بثلاثمائة ذراع فوق السد.وكان المصدر الرئيسي للمياه في المدينة هو هذا النهر، إذ كان الناس يستعملون ماءه للأكل والطبخ والزرع.قسم هذا النهر المدينة إلى قسمين، أحدهما يسمى «المدينة» والآخر «الجزيرة».الجزيرة كانت تسمى الحي الواقع بين شاه جرد والدجيل، وبينهما نهران.المدينة، على الجانب الآخر من شاه جرد، قيل أنها الجزء الأكبر من المدينة ولديها العديد من الأسواق والمساجد والجوامع.لقد ذكرنا من قبل أن مسرقان، في ذلك الوقت، انسحب جنوبا بشكل منفصل ويصب في البحر ويمر عبر الجانب الشرقي من مدينة الأحواز.يمكن القول إنَّ الأحياء الشرقية البعيدة من المدينة استفادت أيضا من مياه مسرقان.على أي حال، كانت عمران البساتين والحدائق الشرقية في مدينة الأحواز بسبب مسرقان أي من دجيل أو شاه جرد.

---

(١) تاريخ الجنرال سايكس، والمجلد الثاني من تاريخ البختياريين.

نعود الآن إلى الوقت الذي عاد فيه مسرقان من نهره القديم وانضم إلى نهر الدجيل في سد قير.(كما سبق وصفه) النتيجة الأولى لهذا العمل أنه جف الجزء الشرقي من مدينة الأحواز والحقول والحدائق في الجزء الذي كان يروي من مسرقان.ودمرت الأحياء الشرقية من المدينة.والنتيجة الثانية هي أنه بسبب غزارة المياه في مجرى الدجيل، فإن السدود التي كانت في ذلك المجرى وأكبرها هي سد الأحواز، لم تتحمل وانكسرت واحدة تلو أخرى وحطمت.وبهذه الطريقة جفت جميع الأنهار التي انفصلت عن النهر وكانت مصدر تنمية الأراضي والمدن ودمرت الحقول والحدائق في كل مكان.وكذلك أصبح شاه جرد الذي قلنا أنه سبب في عمران الجزء الشرقي بلا ماء، وعلى هذا، إنّ الجزء من المدينة أيضا أصبح من دون ماء ودمر.

هذا ما كسبناه من عمليات البحث التي لا حصر لها عن تدمير مدينة الأحواز.على أي حال، في الأوقات التي نتحدث فيها عن مدينة الأحواز (في زمن المشعشعيين وبعد ذلك)، لم تكن الأحواز أكثر من خراب، إذ كانت مجموعة من آل الكثير حتى وقت قريب قد بنوا سقائف أو طبقات وبنوا قرية، ثم ذهبوا وأقامت هناك مجموعة من الكعبيين وزرعوا قرب تلك الأرض.ولأن هؤلاء الأعراب لم يتوقفوا عن السرقة وقطع الطريق، فقد عدت الأحواز من أخطر الأماكن في الأوقات غير الآمنة في الاقليم. والركاب الذين سافروا بالقوارب أو السفن فوق كارون، ويجب أن تكون القوافل التي تأتي وتذهب على الأرض بأعداد كبيرة دائما، حتى يكونوا قادرين على حماية أنفسهم من لصوص مدينة الأحواز أو غيرهم من اللصوص.يحتمل أن تكون القوافل قد أبلغت قبل شهر أو شهرين وانتظرت لتجد عددا كافيا من الرفاق، وإلا لكانوا قد توقفوا عن السفر.

حسين قلي خان نظام السلطنة الذي حكم اقليم الأحواز لسنوات عديدة في عهد ناصر الدين شاه وكان رجلا من أصحاب المهارة والقدرة، ولا يزال تتناقل اسمه الألسن في الاقليم.لقد عمل بجد من أجل سلامة تلك الأرض ودائما ما يقسو على

قطاع الطرق في الصحراء ومتمردي المدن.من أجل سلامة الطريق إلى الأحواز، حتى يمكن للقوافل أن تأتي وتذهب بسهولة ويمكن للسفن أن ترسو هناك، قام ببناء مبانٍ بالقرب من قرية الأحواز عند سفح الحجر، ووضع جنوداً ورجال شرطة فيها.ولأنه حوّله إلى ميناء للسفن أطلق عليه اسم «سد الناصري».

ثم في سنة ١٣٠٦هـ، كما قلنا، كانت الملاحة حرة في منطقة كارون السفلى.شغل إخوة لنج وغيرهم من الأوروبيين سفنهم هناك.ولأنهم جلبوا الكثير من الممتلكات التجارية إلى هناك، هرع التجار من تستر ودزفول ومدن أخرى إلى هناك.وكل واحد بنى لنفسه بيتا أو كوخا.في غضون ذلك، قام الحاج معين بوشهري، الذي حصل على إذن من الشاه للإبحار في كارون العليا، ببناء سوق وقافلة في سد الناصري. ولتسهيل نقل السفن من جانب واحد من سفح الحجر إلى الجانب الآخر، فقد رسم خطا حديديا وأقام عربة يجرها حصان.

خلال هذا الوقت، كان سوق الأوباش في تستر مشتعل جدا.قسم المتمردون أحياء المدينة فيما بينهم، كان لكل حي «آغا» حوله.وأقيمت محكمة لرعاية شؤون الأهالي في كل حي. وكلما سنحت لهم الفرصة، قاموا على الفور بتأجيج نيران الحرب وإراقة الدماء في الأحياء. قبل القيام بأي شيء، نهبوا المنازل والأسواق.هذا، وأنه فقد أمان في هذه المدن، وخاصة للتجار والأثرياء، الذين كانوا دائما في خوف على حياتهم وممتلكاتهم.

كان نظام السلطنة قد قمع هؤلاء المتمردين وأذلهم.ولكن بعد مغادرته، استعادوا قوتهم وشرعوا في أعمالهم من جديد.أصبح هذا أحد أسباب عمران الناصري، لأن تجار تستر ودزفول هاجروا من تلك المدن واستقروا في ناصري ومدينة الاحواز الجديدة.وهكذا أصبحت ناصري مدينة في وقت قصير.

في زمن مظفر الدين شاه، عندما أصبح الشيخ خزعل خان أقوى شخص في الاقليم وكان له أنصار في البلاط، أعطى الملك الساذج أراضي اقليم الأحواز المعمورة

له.وبما أن أرض الأحواز كانت أيضا ملكا للحكومة، فقد ذهب الشيخ إلى هناك وسلم الحكم في مدينة الناصري إلى أحد أبنائه.كان على من أراد بناء منزل هناك أو إنشاء مؤسسة أخرى شراء الأرض بالمال من الشيخ وأفراد أسرته.في بداية الحرب الأوروبية العظمى، أغلق الطرق الشمالية لإيران إلى أوروبا، جاءت جميع البضائع التجارية إلى إيران من الموانئ الجنوبية، كان هذا دليلا آخر لتطوير وتنمية الناصري، وخرج التجار من كل مدينة وبنوا منازل ومتاجر.

باختصار: ناصري الآن هو الأفضل والأكبر مدينة في اقليم الأحواز.وبعد وصول قوات الحكومة، أصبحت مكانا لحكام الاقليم.المخطط الذي يقال إنه من السلطنة جميل جدا، لأن الشوارع كلها مستقيمة وعندما يلتقي الشارعان، فإنهما يخلقان «زاوية قائمة».باستثناء شارع أو شارعين وأن بهما قليل من الاعوجاج، تعد قرية الأحواز القديمة، التي لا تزال قائمة، حيا من أحياء المدينة الجديدة.وأظن على ما قدرت أن عدد البيوت يزيد أو يقل عن ألفين.شعبها خليط من العرب والأصفهان وتستر والدزفول والهنود والأرمن، ويمكن رؤية مجموعة من الأوروبيين هناك.بصرف النظر عن البريطانيين والأبنية التي أقيمت في هذه المدينة.

في نهاية الخطاب، يجب أن يقال، تكونت ناصري بجوار أنقاض الأحواز، كشتلة نمت جذعها من شجرة قديمة.وهذا هو السبب في أن معظم النـاس، ولاسيما الأوروبيين، يسمونها «الأحواز»، وربما ينسى بعد سنوات اسم الناصري(١).

انكسار شادروان شاهبور وتدمير جسر فتح علي خان وخلافة خزعل خان:

لقد ذكرنا من قبل قصة شـادروان، الطبري وآخرون اعتبروا هذا الأسـاس كأحد عجائب الكون في (عجائب الدنيا).قبل ستة عشر قرنا، صمد هذا السد في مواجهة

(١) كما حدث مؤخرا، لم يعد اسم ناصري مذكورا.

فيضانات مدمرة في كارون ولم يكن هناك أي اختراق فيه.في ربيع سنة ١٣٠٣ ق (شهر جمادى الأولى)، نشب اعصار عارم واقتلع فجأة أكثر من ثمانين ذراعا من شادروان مع بضعة أقواس من جسر الفتح علي خان الذي كان يقف عليه وانهار في الوادي.من جراء هذا التدمير لشادروان وتدمير الجسر من جهة انقطع طريق القوافل والأشخاص الذين كانوا يسافرون من وإلى دزفول وقرية ديمجة وأراضيها.والذي يتنقل الآن مع القوارب.وربما أنهم يضيعون حياتهم بسبب عدم موثوقية تلك السفينة.من ناحية أخرى، انخفض الماء في نهر داريان.وأصبح جزء كبير من مياناب، والذي كان محمد علي ميرزا وآخرون بنوا سد ميزان لأجل عمرانه، بلا ماء مرة أخرى، لأنه قبل تكسير مياه داريان تصل إلى قرب سد القير، وهو يقع في آخر مياناب ويبعد ثمانية فراسخ من تستر.وكل تلك الأراضي كانت مزروعة بماء النهر.لكن بعد كسرها، وصل مياه داريان إلى قرب خزينة فقط، التي تبعد ثلاثة فراسخ ونصف عن تستر، وتبقى الأراضي الأخرى جافة وبلا ماء.

نظام السلطنة الذي أصبح حاكما لاقليم الأحواز مرة أخرى سنة ١٣١١ وظل هناك حتى سنة ١٣١٣ عندما قُتل ناصر الدين شاه.ولقد بذل الكثير من الجهد والمال لبناء شادروان وأقواس الجسر المتساقطة.لكنه لم يستطع أن يفعل شئيا خاصا، منذ ذلك الحين، سنة بعد سنة، زاد تغلغل شادروان وانكسرت أقواس الجسر وسقطت واحدة تلو الأخرى، وما يتبقى سيختفي تماما في غضون بضع سنوات وسيسقط.

مقتل مزعل خان وخلافة خزعل خان:

كما قلنا، كان للحاج جابر خان ولد آخر هو مزعل، وكان أحد أبنائه الآخر يدعى خزعل، وعاش معه لأنه كان أصغر من الشيخ مزعل خان.لكن يعامله مزعل معاملة سيئة، وكما يقولون إنه يشدد عليه، والسبب في ذلك أنه عندما تعاون خزعل مع

آخرين، كان ينوي قتل شقيقه، وهذا السر الذي اكتشف أثار استياء مزعل وعداوته. من يعلم أنه لم تكن لديه الرغبة في قتل أخيه في الباطن ولكن الخوف من العار منعه؟

السنة الماضية تحدث الشيخ خزعل خان عن أيامه الماضية في جمعية في ناصري إذ كنت أنا أيضا موجوداً. ويقول: «كنت خائفا جدا من أخي لدرجة أنني كنت أستيقظ من الفراش كل صباح معتقدا أن اليوم سيكون نهاية حياتي. وفي الليل، عندما أخلد إلى الفراش، لم يكن لدي أمل في البقاء على قيد الحياة حتى الصباح. هذا، وأنه في العشرين ونيف من عمري بسبب هجمة الحزن أصبح شعري أبيض مثل رجل عجوز».

نعم، قضى مزعل وخزعل ما يقرب من عشر سنوات بهذه الحال، وكل منهما أفرغ قلبه من الخوف والاستياء من الآخر. وأخيرا، تغدى به خزعل، قبل أن يتعشي به مزعل، بحيث تعاون مع عدد من أفراده، وقتلوه بالرصاص بينما كان ينحدر من كوخ الفيلية ويركب القارب. كانت هذه الحادثة في اليوم الأول من شهر محرم ١٣١٥هـ[١].

كتب اللورد كرزن، الذي ذهب إلى المحمرة في زمن مزعل خان: كان لديه خمس عشرة زوجة ولكن ليس لديه أبناء. بعد اغتيال مزعل خان، حل محله الشيخ خزعل خان، وأعطاه مظفر الدين شاه جميع الألقاب والمناصب التي كان يتمتع بها مزعل من حكم المحمرة وحراسة الحدود ولقب معز السلطنة ورتبة أمير توماني للشيخ خزعل.

التنقيب في خرائب الشوش:

كانت الشوش من أشهر المدن في العالم القديم. على حد علمنا، كانت مأهولة بالسكان حتى القرنين الرابع والخامس الهجريين ودمرت في ذلك الوقت، لم يكن

(١) رثاه السيد جعفر الحلي، وأنشد هذا المصرع كتاريخ شعري: «يا على محل الخلد يقبر مزعل».

هناك مستوطنة أخرى في المدينة باستثناء العتبة التي يعرفها الناس بقبر النبي دانيال ويزورونه.إلى أنه في القرن الماضي، كان يفكر بعض الأوروبيين في الاستكشاف هناك.ويبدو أنه نتيجة لعملهم، ظهرت الآن قرية صغيرة التي يوجد فيها أكثر من سوق ومحطة للقوافل.

كان أول أوروبي الذي قام بالتنقيب في أطلال الشوش هو السيد ليفتوس، وهو عضو بريطاني في لجنة الحدود.قلنا أنه بعد عقد أرضروم سنة ١٢٦٦هـ جاءوا إلى المحمرة ومحيطها مع ميرزا جعفر خان مشير الدولة.ذهب السيد ليفتوس والسيد تشرشل لأول مرة في سنة ١٢٦٦هـ لرؤية أنقاض الشوش وعادا، ثم بعد سنة ذهبوا إلى هناك مع السيد ويليام، الذي كان يقود الوفد البريطاني إلى اللجنة، للاستكشاف، فوجدوا قصر داريوس.بعد عدة زيارات أخرى، جاء السيد ليفتوس إلى الشوش ومعه ٥٠٠ ليرة من رأس المال الذي أوكلته إليه جمعية لندن للآثار ليقوم بالتنقيب، وحصل على مطبوعات حجرية من الملوك الأخمينيين وعاد إلى لندن.

بعد ذلك، حوالي سنة ١٣٠٠ ق، أخذ السيد ديولافوا العالم الفرنسي، بمساعدة السفير الفرنسي في طهران، امتياز استكشاف الشوش من الشاه.وكان شرط هذا الامتياز هو أن تُمنح إيران أيا كانت من الجواهر والأدوات ونصف الأشياء الأخرى التي تم الحصول عليها.كما أخذ ديولافوا زوجته معه وعمل مع عدد من الآخرين لمدة سنتين، وعثر على أشياء كثيرة وأخذها معه إلى باريس.

حوالي سنة ١٣١٥، طلبت الحكومة الفرنسية من مظفر الدين شاه امتياز استكشاف الآثار في جميع أنحاء إيران.في هذا الامتياز، قام بتقسيم المدن المدمرة في إيران، وأشهرها الشوش، وتخت جمشيد، وهمكاتان (همذان القديمة) وري، وفرّقوا بين الشوش وأنقاض أخرى.هذه هي الطريقة التي تم بها التعامل مع عقد ديولافوا للآثار الأخرى.تكون الجوهرة ونصف من كل شيء آخر للحكومة الإيرانية.لكن في الشوش، كل ما تم الحصول عليه كان لفرنسا، والأكثر غرابة، أنهم لم يعطوا الوقت المحدد

للامتياز، كما لو كان التضامن إلزاميا.

بعد الحصول على هذا الامتياز، رشحت الحكومة الفرنسية السيد ديمرجان، أحد العلماء المشهورين، لتنقيب الشوش.وهو الذي طالما شجع الحكومة الفرنسية على الحصول على مثل هذا الامتياز، والآن حققت حلمه، جاء إلى الشوش على الفور سنة ١٣١٥ وقام بالتنقيب هناك حتى سنة ١٣٢٠.في سنة ١٣١٨ (١٩٠٠ م)، عندما أقيم معرض كبير في فرنسا، أخذ ما اكتسبه من التنقيب إلى باريس في ١٨٣ صندوقا، ووضعها في المعرض الذي فاجأ جميع علماء الآثار.ثم وضعها في متحف اللوفر في قاعة تسمى «قاعة إيران».واحدة من الآثار الرائعة في العصور القديمة التي حصل عليها ديمرجان من الشوش هي عمود كبير أقام عليه الملك حمورابي ملك «الكلدانية» قانونه.وكما يقولون، إنه أقدم قانون في العالم.

يأتي المستكشفون الفرنسيون إلى إقليم الأحواز كل شتاء منذ ذلك الحين، وكانوا يقومون بالتنقيب في الشوش.وبنوا حصنا من الطوب والحجارة لسكنهم هناك.وكل سنة يحصلون على الكثير من الأشياء تحت الأرض.لكن في السنة الماضية، منعتهم الحكومة الإيرانية، وطلبت إعادة التفاوض بشأن الامتياز، ولم يتم منح أي عقد بعد، ولم يقوموا بالتنقيب الشتاء الماضي وهذة السنة[1].

امتياز نفط الجنوب وبداية عمله:

من الأحداث العظيمة التي أصبحت سببا في عمران وتنمية اقليم الأحواز في أوقات لاحقة وجعلتها أكثر شهرة هي قضية نفط الجنوب.

اشتهرت ينابيع اقليم الأحواز النفطية منذ العصور القديمة، وتحدث عنها سترابو منذ ألفي سنة.قبل امتياز البريطانيين[2]، استخدم أهالي الاقليم، وخاصة قبائل تستر

(١) كنز شايغان (كنج شايكان) تأليف: جمال زاده، وتاريخ الجنرال سايكس.

(٢) تم إلغاء ذلك الإمتياز.

والبختياريين، النفط الذي ينبع من الأرض ويجمعونه في البراميل ويستخدمونه. فالزفت أيضا أحد منتجات الاقليم التي تم الحصول عليها من الينابيع، وقد جمعت الحكومة ضريبة قدرها ألفي تومان سنويا من تلك الينابيع.

ينقل في تذكرة تستر أنه حينما نادر شاه خاض حربا مع العثمانيين في العراق سنة ١١٤٤هـ، أمر أبا الفتوح خان بإرسال الزفت من مناجم الزفت بالقرب من تستر لبناء سفن في العراق.

نعم، في سنة ١٣١٩ (١٩٠١ م) أخذ السيد دارسي من البريطانيين في أستراليا امتياز استخراج النفط في جميع أنحاء إيران (باستثناء أذربيجان وجيلان ومازندران واستر آباد وخراسان) من مظفر الدين شاه، ويدفع عشرين ألف ليرة نقدا وبهذا الميزان يعطي حصة الشركة للحكومة الإيرانية، وعليها أن تكون الفائدة على المصروفات ستة بالمائة من مصلحة إيران، ومدة الامتياز ستون سنة.

عمل دارسي أولا بالقرب من قصر شيرين.لكنه لم يقم بعمل يذكر حتى سنة ١٩٠٤هـ، وصرف ثلاثمائة ألف ليرة خسارة.أصيب دارسي بخيبة أمل وأراد بيع امتيازه لبعض أثرياء الألمان.لكن علمت الإدارة البحرية البريطانية وأدركت بأضرار ذلك العمل، ومنعت دارسي من تلك التجارة.وبعد سنة، ساعد لور ستراسكو من شركة نفط بورما السيد دارسي واستثمر في رأس ماله.

عملت شركة دارسي في الاقليم ولم تحقق أي ربح هناك لفترة طويلة.أيضا قاموا بحفر الآبار في مكان يطلق عليه حقل نفتون.وهي اليوم واحدة من أكبر مراكز النفط، ولم تسفر عن نتيجة هنا أيضا.وفي سنة ١٩٠٨ أمر من لندن بأن يوقف عن العمل.ولما وصل الأمر من لندن، كان العمال لا يزالون يعملون إلى أن ظهر الماء الأسود فجأة في الأحواز، ولقد نزع جميع أدوات العمال من حوله وكاد يختنق العمال أنفسهم.

لما وصل هذا الخبر الثمين إلى لندن، حرص دارسي وشركائه وبقوا في مكانهم وبدأوا بالعمل مرة أخرى.وفي السنة التالية أسسوا شركة النفط الأنجلو إيرانية، التي لم

يكن رأس مالها في ذلك الوقت، يزيد عن مليوني ليرة.ولكن في سنة ١٩١٤، اشترت الحكومة البريطانية مليوني ليرة أخرى من أسهم الشركة، وبعد انتهاء الحرب الأوروبية الكبرى، زاد رأس مال الشركة إلى عشرين مليون ليرة، منها خمسة ملايين ليرة من سهام الحكومة البريطانية.

إن آبار نفط اقليم الأحواز معروفة في جميع أنحاء العالم اليوم.والآن تنتج ثلاثة ملايين ونصف المليون برميل نفط من الآبار يوميا.وفقا لصحيفة التايمز، يعمل ١٠٠٠ عامل بريطاني وأمريكي و ٥٠٠٠ عامل هندي و ٣٠ ألف عامل إيراني في نفتون وحولها. ومازالت وفي سنة ١٩٣٣ تمتلك الشركة مائتين وأربعين سفينة صغيرة وكبيرة التي تشغل في الخليج وشط العرب وكارون.

قال الجنرال سايكس:

«خلال الحرب العظمى، قدمت هذه الشركة الكثير من الخير للحكومة البريطانية وقدمت الوقود للسفن التي تبخر في المياه الشرقية والبحر الأبيض. وكذلك في العراق، كانت أفضل مساعد للسفر والمواصلات في الأنهار.كما أنها ترسل بتوصيل الكثير من الوقود والبنزين والزفت إلى ساحات القتال الأخرى، وخاصة في ساحة المعركة العراقية.لو لم تحدث هذه الأشياء، لما تمكنا من تحقيق تلك الانتصارات في الحرب»[1].

الاقليم في عهد مظفر الدين شاه:

في عهد مظفر الدين شاه، عندما لم تكن الحكومة الإيرانية تتمتع بالقدرة والسمعة، وكان اقليم الأحواز في وضع سيء.لأنه من ناحية، قام الشيخ خزعل خان بأمور وبالطرق

(١) تاريخ الجنرال سايكس، ترجم حبل المتين مقالة تيمس، واستفدنا نحن من هذه الترجمة.

التي سنذكرها وحاول زيادة قوته يوما بعد يوم، ولم يتردد عن الظلم بالناس.من جهة أخرى، لم يتردد خانات بختياري، الذين اعتادوا على الاقليم في الشتاء، في مضايقة الناس والتعدي على أراضيهم.كما تم أخذ العديد من أراضي وقرى تستر ورامهرمز وغيرها من الأماكن التي أصبحت الآن في أيدي البختياريين بالقوة من الآخرين في ذلك الوقت.

في تستر ودزفول أيضا، ازداد أمر المتمردين وفي كل مرة تبدأ فتنة أخرى.تآزر عدد من الآغاوات، أو كما أطلقوا على أنفسهم، الآغاوات، ويأججون نار الحرب مع الآخرين، ويحفرون الخنادق في الأزقة وأسطح المنازل ويطلقون النار ليلا ونهارا.وهكذا حرموا الناس من الراحة.

في هذه الصراعات، كان السبب الرئيسي ازدواجية بين طائفتي حيدري ونعمتي، وكان رئيس طائفة نعمتي عائلة كلانتر وكان زعيم طائفة حيدري سلالة المرعشي. ولأن الأحواز في ذلك الوقت، كان بين خزعل خان وخانات البختياريين، في هذه التصنيفات، تلحق تستر ودزفول طائفتهما على أحد الجانبين.كما حدث مرة، وقصد السيد باقر خان كلانتر، بمساعدة جميع سادة نعمتي، إلى الحرب مع محمد زمان خان مرعشي وسادة حيدري، وحاصرهم من جميع الجهات، حتى لم يتمكنوا من الوصول إلى ماء النهر.استمر الصراع أكثر من شهر وقتل الغديد من الأبرياء.لدرجة أن الشيخ خزعل خان قام بمساعدة محمد زمان خان وأرسل مجموعة من العرب إلى تستر.لم يقاوم السيد باقر خان ولم يتحمل الهجوم وهرب من المدينة ولأنه كان يعتمد على البختياريين ذهب إليهم وبعد فترة عاد إلى تستر وبدعم من البختياريين بدأ بالفتنة والحرب.

كانت عادة هؤلاء الأوغاد والأوباش أنه عندما يأتي الحاكم إلى إقليم الأحواز من طهران، فإنهم يظهرون الطاعة ويجلسون بهدوء.لكن بمجرد أن أتيحت لهم الفرصة، ثاروا على الفور.وانضم إليهم الناس خوفا على أنفسهم والممتلكات، وهكذا يجعلون

الحاكم خاضعا لهم أو يخرجوه من المدينة.

في مثل هذه الأوقات، كثيرا ما تترك الحكومة قمع هؤلاء المتمردين لخزعل خان. وهو الذي كان يتوق دائما لمثل هذه الفرصة، أرسل مجموعة من العرب لغزو تستر، ويلقي القبض على من لم يكونوا من أنصاره ويسجنهم، وبعد أن يأخذ منهم ميثاق الموالاة يطلق سراحهم بعد فترة طويلة.

وهكذا حال تستر ودزفول حتى نهاية عهد مظفر الدين شاه.ما أكثر من الدماء التي أريقت في أعمال الشغب تلك، ما أكثر من السمعة السيئة التي شهرت، وما أكثر من المنازل التي دمرت.كما قلنا، خلال هذه السنوات قام العديد من تجار هاتين المدينتين بنقل منازلهم إلى الناصري.

وأما شيوخ العرب، في سنة ١٣١٦، رفض الشيخ جعفر في الفلاحية دفع الضرائب وكشف عن عصيانه.قصد إليه حاكم تستر، الذي يُفترض أنه يُدعى سردار أكرم، مع جيش واعتقله.وعين شخصا باسم مريعي لجباية ضرائب الفلاحية.لكن لأنه في ذلك الوقت، كان الشيخ خزعل خان يحاول استلام الفلاحية وتلك النواحي إليه، ومن جهة أخرى قتل مريعي بيد بعض الناس، أخذ ميرزا علي أصغر خان أتابك أمر شيخ الفلاحية من الشاه باسم الشيخ خزعل خان وأرسله إليه.وهكذا حكم الشيخ على كل الكعبيين في إقليم الأحواز ويدفع ضرائبه للحكومة مباشرة.أما الشيوخ الآخرون فكانوا تابعين لحاكم إقليم الأحواز وكان يسافر إلى الحويزة كل سنة وهناك يأتون إليه كل الشيوخ ويدفعون ضرائبهم عن السنة الواحدة وهو أيضا يعطيهم الهدايا والملابس المناسبة لكل واحد منهم.

في سنة ١٣٢٤هـ دفع شيوخ بني طرف، الذين انفصلوا عن شيخ الحويزة، ضرائبهم بشكل منفصل، أظهروا العصيان وامتنعوا عن دفع الضرائب.أرسل مظفر الدين شاه سالار معظم إلى الأحواز مع الجنود والمدفعية.وقد جاء أولا إلى تستر واعتقل كلانتر، الذي كان زعيم الأوباش، ورتب شؤون تلك المدينة ودزفول ثم ذهب إلى مدينة الأحواز

مع الجيش، ومن هناك قصد إلى بني طرف.كما أرسل معه الشيخ خزعل خان ابنه مع مجموعة من العرب.هرع سالار معظم إلى الحويزة مع ذلك الجيش، وبعد حرب أخضع بني طرف.وأخرج الشيوخ العصاة وجعل مكانهم رجالا آخرين.وهذه هي آخر حملة من عهد قاجار على إقليم الأحواز.

الشيخ خزعل خان سردار الأقدس:

كان الشيخ خزعل خان على درجة عالية من الدهاء لأنه يعرف جيدا الفوائد التي سيحصل عليها من اضطراب أمر إيران في عهد مظفر الدين شاه ومن جشع رجال البلاط في ذلك الوقت.

كان من بين تكتيكاته إرسال شخص قريب منه إلى طهران بمبالغ هائلة وجعله حارسا للبلاط.ولقد استغل كل فرصة وأقام صداقات مع ميرزا علي أصغر خان أتابك وغيره من رجال الحاشية وكان دائما يسعى إلى مودتهم بالعطاءات والمال.كانت نتيجة هذه الإجراءات أن حكومته في المحمرة والفلاحية كانت منفصلة عن حكومة إقليم الأحواز وتعامل مع طهران مباشرة.

ثم أعطوه حكم الأحواز.وفي سنة ١٣١٩هـ أيضا، سلم الشاه إليه الأراضي الواقعة على هذا الجانب من كارون، والتي كانت تابعة للحكومة، مع عدد قليل من القرى.

يبدو أن أتابك كان دائما من أنصار الشيخ وحاول تحسين عمله.كما تزوج الشيخ ابنة نظام السلطنة من أقارب الشاه في ذلك الوقت.كما كانت ابنة شقيق الأمير عبد المجيد عين الدولة زوجة له أيضا، والذي كان من كبار رجال الحاشية. وبفضل دعمهم كان عمل الشيخ يزداد يوما بعد يوم ويتحسن لدرجة أنهم أطلقوا عليه بدلا من معز السلطنة لقب «سردار الأقدس».ورفعوه من رتبة أمير توماني إلى رتبة أمير نوياني.

من ناحية أخرى، في إقليم الأحواز، قام الشيخ خزعل بقمع العرب ونشر عليهم

جواسيسه في كل مكان.حالما شك في شخص ما قتله، فامتلأت قلوب الجميع بالخوف.ومن أعمال الشيخ في هذه الفترة أنه في سنة ١٣٢٠ ق، قام شيوخ نصار وإدريس ومقدم (مجدم)، وهم ثلاث قبائل من قبيلة كعب يقيمون في جزيرة الخضر، وتعاهدوا وأقسموا أن يقضوا على الشيخ خزعل.قام أحدهم بخرق المعاهدة وأبلغ الشيخ بالموقف.والقى الشيخ القبض على أربعة منهم وأرسلهم إلى سجن الفيلية. وسُجنوا هناك، حتى مات كل منهم بدوره وخلص من سجن الحياة.

وهكذا كان عمل الشيخ خزعل خان في تطور، وزاد مجده وقوته يوما بعد يوم.حتى سنة ١٣٣٤هـ اندلعت انتفاضة دستورية في إيران، وكما سنرى، فإن هذا الحدث جعل الساحة أوسع للشيخ.

إقليم الأحواز خلال سنوات الثورة الدستورية:

سنة ١٣٣٤هـ عندما اندلعت الثورة الدستورية في إيران.كما نعلم، ابتلي هذا البلد منذ سنوات بخبث وجهل محمد علي ميرزا وظلم الروس، وكان مجرى الأمور مجزأ لدرجة أنه في المحافظات القريبة من العاصمة لم يخش المتغطرسون من الحكومة، ناهيك عن المقاطعات البعيدة.لمدة ثماني سنوات من بداية الدستورية إلى بداية الحرب العالمية الأولى في أوروبا، كانت إيران دائما في حالة اضطراب وعجز.حظي الشيخ خزعل خان بفرصة جيدة لتأسيس قاعدة عمله في إقليم الأحواز بأكبر قدر ممكن من الحزم والثبات.في ذلك الوقت، قضى على مشايخ العرب الذين لم يكونوا تحت حكمه، مثل شيخ الحويزة وشيخ آل الخميس وشيخ بني طرف وغيرهم، وأخذ قبائلهم تحت سيطرته.وكان من روائع الشيخ خزعل أن كل شيخ امتنع من دفع الضرائب عن قبيلته، أن الشيخ خزعل طلب من الحكومة بإضافة ضرائب تلك القبيلة على الشيخ الممتنع أيضا.والحكومة أيضا التي لم تكن مستقرة في تلك السنوات وانشغلت بأحداث أخرى، أصبحت مسرورة من اقتراح الشيخ ذلك

وسلّمته على الفور سلطة تلك القبيلة. وأول شيء يقوم به هو إخراج الشيخ من القبيلة أو وضعه في السجن ويستبدل مكانه أحد أقاربه.

كان الشيخ خزعل خان شديد التعلق بأحلامه لدرجة أنه لم يتردد في إراقة الدماء للوصول إليها. يذكر أهالي الاقليم كثيرا من قسوته وخروجه عن الحد ويذكرون من قتله بالسم أو قتله بالتعذيب في سجن الفيلية.

على أية حال، قام الشيخ خزعل خان، بذرائع مختلفة، بقتل شيوخ آخرين واحدا تلو الآخر وجعل كل قبائل الاقليم تحت سيطرته.

أيضا خضع آل الكثير له، الذين كانوا منذ بداية وصولهم إلى الأحواز لم يكونوا خاضعين لأحد سوى شيوخهم، لم يكن لدى أي من شيوخ الكعب هذه القوة والمجد اللذان يتمتع بهما الشيخ.

في هذا الوقت، أخذ دارسي أيضا بالعمل في الاقليم وأصبح البريطانيون أكثر ارتباطا بهذه الأرض ويحاولون عدم احداث ثورة هناك كي لا تعيق عملهم. وأفضل طريقة للقيام بذلك هي مساعدة الشيخ خزعل وزيادة هيمنته بمساعدة عشائر وأهل إقليم الأحواز. هذا، وإنهم كانوا دائما يدعمون الشيخ أكثر من دعمهم لوالده وأخيه.

يبدو أنه منذ السنوات الأولى للدستورية أزال الشيخ خزعل خان قيود الوطنية الإيرانية من رقبته وحاول أن يعرفه الناس كحاكم منفصل ويطلقون عليه لقب «سلطان عربستان». وسمح لنفسه بتكوين صداقات مع حكام عرب مثل مبارك بن صباح شيخ الكويت وابن سعود سلطان نجد وغيرهم، وأن يعقد معهم المعاهدات. واكتشف عن اعتماده على بريطانيا لهم. وقبل ذلك أن الشعراء امتدحوه وبالغوا في مدحه إلا أنهم يعدونه أحد قادة إيران. لكن في سنة ١٣٢٥هـ جاء عبد المسيح أنطاكي إلى المحمرة وعرف نفسه من أقارب الشيخ. وفي قصائده، تملق إلى الشيخ وأذل نفسه، واصفا إياه بـ«ملك عربستان». مضحك جدا أن هذا الشويعر الجاهل وصف الشيخ خزعل خان بـ «الملك» ونجله الأكبر الشيخ جاسب بـ «ولي العهد» والحاج

محمد علي رئيس التجار الذي كان خادم الشيخ بـ «الوزير الأكبر».على الرغم من أن الشويعر نفسه يقول إنه يرفع على قمة جناح فيلية وعلى سفن الشيخ علم الأسد والشمس، وسيتم إنشاء مكتب التوظيف ومكتب الجمارك الإيرانية في المحمرة.ولم يترك الشيخ الحكومة بعد في تلك السنوات ويدفع الضرائب سنويا»[1](*).

خلال هذه السنوات الدستورية في تستر، انخرط جميع «السادة» بسهولة في الفتنة والحرب.وكانوا يضايقون الناس أكثر من ما مضى، ودائما ، كان هناك صراع بين الأحياء وكانت هناك حروب وسفك دماء على الدوام.يقول أحد معارفى فى مدينة الأحواز إني في إحدى السنوات التى ذهبت فيها إلى تستر كان الحديث في كل الأماكن؛ في البيوت والأحياء وبين الناس حول الحدود، وكانت جماعة فخورين على أنهم سيطروا على الحي المجاور وتوغلت في حدود حيهم في زقاق واحد أو عدة منازل.وكان بعضهم مغمومين ومكتئبين لأنهم فقدوا عدة منازل أو زقاق في حيهم، وقد تقدم العدو بخنادقه.لا يدرك إلا من رأى تستر (خاصة تستر في ذلك اليوم) بالضبط لماذا حارب هؤلاء الحقيرون ويحرمون الناس البؤساء والمساكين من الراحة.يتألف كل حي من أحياء تستر من أكثر من مائتي منزل وبضعة أزقة متعرجة وملوثة بعضها فوق البعض،.وفي هذه الأزقة غير النظيفة نشأت تلك الفتن.

عمران عبادان ومدن أخرى:

منذ سنة ١٣٢٧، عندما حفر البريطانيون آبار النفط في حقل نفتون، جاء العمال من إقليم الأحواز وأماكن أخرى إلى هناك، وهكذا تم تشكيل المستوطنات هناك.

(١)·(*) مع الأسف إنّ الكاتب يبالغ في استهانته بارادة شعب الأحواز الوطنية والقومية، بماذا يختلف شعب هذا الاقليم عن اقاليم الجزيرة العربية المجاورة التي اعترفت باستقلالها بريطانيا ولم تعترف باستقلال الأحواز وفلسطين والسبب معروف وهو الارادة والمصالح الاستعمارية وكانت صاحبة النفوذ في المنطقة.

ولأنهم اضطروا إلى إنشاء مصانع في عدة أماكن أخرى، أينما بنوا المصانع، صارت معمورة إذا كانت خربة، وازدهرت أكثر فأكثر إذا كانت عامرة.وازداد تنقل السفن في كارون، ووجدت حركة أخرى في كل مكان، كما وفرت سيارات ومصابيح كهربائية ومنتجات أوروبية أخرى.

كما قلنا، فإن أول مستوطنة يتم العثور عليها عبر نفط الجنوب في إقليم الأحواز هي حقل نفتون نفسه، والذي يسمى اليوم «مسجد سليمان»؛ وهو المكان الذي يقع فيه سفح جبل بختياري، وتلف الوديان أكثر أو أقل من فرسخين، وهي في شرق تستر وتبعد ثمانية فراسخ عن تلك المدينة.وفي عدة أماكن شيد البريطانيون منازل وأكواخ لأنفسهم وعمالهم، وفتحوا حمولتهم، ومهدوا الشوارع.كما أنه من نهر كارون، الذي يبعد أكثر من عشرة فراسخ، أوصلت عن طريق المضخة المياه العذبة والنظيفة إلى هناك.وذكرنا بحسب تيمس، يعمل هناك ١٠٠٠ أستاذ أوروبي وأمريكي، و ٥٠٠٠ عمال هندي، و ٣٠ ألف عامل إيراني، وإذا أضفنا التجار والعاملين في السوق، فيمكننا القول إن من خمسة وأربعين إلى خمسين ألف رجل من الغربيين والشرقيين يعيشون هناك.

في خريف السنة الماضية، عندما ذهبت لمشاهدته من تستر، قيل أن عدد الآبار يزيد عن مائة.عندما ذهبنا لرؤية المصانع، أحضروا جميع الآلات والأدوات من أوروبا واستخدموها.كما أنشأت الشركة مستشفى للعمال وغيرهم، وزرناها أيضا.

وظهرت مستوطنة أخرى هي مكان يسمى «در خزينة» بجانب نهر كارون، والذي يبعد ٣٦ ميلا عن مسجد سليمان، وميناء سفن الشركة موجود هنا، ويفرغون الحمولة في هذا المكان والتي تشمل آلات حديدية وسيارات وأشياء أخرى ويأخذونه إلى مسجد سليمان بالسكك الحديدية.لديهم أيضا مصنع هنا يأخذ المياه من كارون وتوصله بالمضخة إلى مسجد سليمان.لقد أقاموا سوقا صغيرا وبعض المؤسسات والبنايات هناك.

مستوطنة أخرى في جنوب در خزينة على طول نهر كارون، هي «ملا ثاني» وتبعد سبعة أو ثمانية فراسخ منها، وأقاموا مصنعا وظّفوا عمالا من الهند وفارس والعرب. لقد أنشأوا أيضا حدائق جميلة وساحة، وشارع تصطف عليه أشجار الزيتون، وتتنقل السيارات بينها.

أيضا في الناصري شمال غرب المدينة في مكان يسمى «خزعلية»، كانت للشركة منازل ومصانع.ومن المصانع التي ذهبت لزيارتها مصنع النجارة والحدادة. يعمل في هذا المصنع مجموعة من الإيرانيين من أصفهان ومدن أخرى ويتعلمون النجارة والحدادة.

أيضا بين الناصري وفي المحمرة في كوت عبد الله ودارخوين، وهما مكانان بجوار كارون، تمتلك شركة النفط مصانع فيها.وفي كل واحد منها بنوا منازل وحدائق جميلة.

وللشركة أيضا مكتب في المحمرة، ويعيش هناك الرئيس الأكبر، لكن مصانع الشركة الكبيرة، التي أقيمت لتكرير النفط، تقع في عبادان.وهنالك واحدة من أكبر مراكز الشركة، إذ يتم استخدام آلات كبيرة جدا من أي نوع ويعمل في ذلك المصنع ثلاثون ألف عامل أو نحو ذلك من الشرق والغرب.يتم نقل النفط إلى أوروبا والهند وأراضي أخرى عبر شط العرب والخليج العربي بمساعدة السفن.

كانت عبادان مدينة في القرون الأولى للإسلام ثم دمرت، ولم تبق منها إلا قرية. لكنها الآن تعد من إحدى المدن الكبيرة والمعمورة، والشوارع ممتدة هناك، وهي مضاءة بالكهرباء ليلا.وكما قلنا يسكنون هناك أكثر من ثلاثين ألف نسمة من هندي و إيراني وأوروبي.

الحرب العالمية في أوروبا وانضمام الشيخ خزعل إلى إنجلترا:

في سنة ١٣٣٢هـ عندما اندلعت الحرب الأوروبية، انضم العثمانيون إلى الألمان

بعد شهرين أو ثلاثة أشهر من «الإطاحة».لهذا السبب، كان الخليج العربي، أحد ساحات معارك القوات البريطانية والتي كانت قد وصلت بالفعل إلى جزر البحرين، وثارت من هناك وهاجمت حصن «فو» بجانب البحر في نهاية العراق، والذي كان ملكا للأتراك، وفتحته ودخلت سفنهم الحربية شط العرب وطردت القوات العثمانية من هناك.ونزلت القوات البريطانية في مكان ما في البر بجانب الشط وأقاموا معسكرا. وبعد أن انضمت إليها جيوش أخرى، تقدموا مرة أخرى وبعد معركتين، في اليوم الأول من محرم ١٣٣٣هـ فتحوا البصرة أيضا، وبعد أيام قليلة، سيطروا على القرنة.

كان الشيخ خزعل خان حليفا للبريطانيين في هذه الحملات، وعلى الرغم من أن الحكومة الإيرانية كانت على حياد من الحرب وأعلنت حيادها لجميع الحكومات، انضم الشيخ إلى بريطانيا وكان يعادي الأتراك.لقد كتبنا عن صداقة الحاج جابر خان والشيخ مزعل خان مع بريطانيا.ولكن لم يفتح أي منهم الباب الذي فتحه الشيخ خزعل.قبل بضع سنوات، ساوم الشيخ علنا مع البريطانيين وصالحهم، لدرجة أنه في سنة ١٣٢٩هـ أرسل له حاكم الهند شارة K.C.I.E.[1]

في هذا الوقت أيضا، انضم الشيخ مستبدا برأيه إلى البريطانيين.وكما يقول أهل إقليم الأحواز، فإن عمله الأول كان ذلك أنه حرض مجموعات من الكعبيين الذين يسكنون في الجانب الغربي من شط العرب من سفح قوة إلى البصرة، مع بعض القبائل الأخرى التي يطيعونه، على عداوة العثمانيين، ويقولون إن أحد أسباب هزيمة الأتراك ضد البريطانيين هو خيانة هؤلاء العرب.ويقولون: في الهجوم الذي شنته القوات البريطانية على البصرة وفتحت تلك المدينة، كانت مجموعة من حاشية الشيخ وبعض الأعراب مع البريطانيين وهم الذين نهبوا جمرك البصرة.

(1) Knight Commander of the (Most Eminentorder of the Indian Empire).

ثم، حينما أراد البريطانيون، بعد الاستيلاء على البصرة والقرنة، أن يرسلوا جيشا إلى المحمرة ومدينة الأحواز ويهاجموا من هناك قاعدة الجيش العثماني في العمارة عبر الحويزة والكرخة، هنا أيضا لم يمتنع الشيخ خزعل خان عن مساعدتهم ونصرتهم.

يكتب الجنرال سايكس:

كانت إرسال القوات إلى المحمرة والأحواز لحراسة أنابيب النفط التي فجرها الثوار. على الرغم من أن الحكومة البريطانية في ذلك الوقت، كانت بحاجة إلى نفط الأحواز وتلك الأنابيب، فلا يمكن إنكار أن البريطانيين لم ينووا الإطاحة بإيران.وبالطبع، لم يكن الجيش قد أحضر إلى إيران فقط من أجل حراسة أنابيب النفط.لأننا سنرى أنهم أرسلوا الجيش نفسه على العثمانيين عبر الحويزة.

نعم، في الوقت الذي كان فيه قادة بريطانيون يخططون لمهاجمة مدينة العمارة وجاء وفد إلى الأحواز لزيارة الطرق.من ناحية أخرى، أنه في منتصف شهر صفر، أتى زعيم عثماني بفوجين من الجنود برفقة الشيخ غضبان وقبيلة بني لام والحاج السيد محمد يزدي مع مجموعة من علماء النجف الذين انضموا إلى العثمانيين باسم الجهاد، إلى الحويزة من العمارة، ويحرض الحاج السيد محمد العشائر وغيرهم في كل مكان على محاربة البريطانيين.من هذا الحادث، نشأت حركة في جميع أنحاء الأحواز .وثارت عشائر العرب؛ بعضهم لتلبية دعوة الحاج السيد محمد وبعضهم الآخر بسبب معاداتهم للشيخ خزعل.والكثير منهم، وخاصة قبيلة بني طرف، التي تبدو أنهم من أشجع عشائر الأحواز، والتي شهدت اضطهادا من الشيخ خزعل وكانت دائما مليئة بالاستياء ضده، انضموا إلى الجيش التركي ونشأ ذلك الجيش الكبير في الحويزة، وتقدم على بعد فرسخين من مدينة الأحواز واستقروا هناك.

من ناحية أخرى، بنى البريطانيون مركزا للشرطة في مكان ما أمام مدينة الأحواز غربي كارون.لم تحدث الحرب بينهم إلى أن وفي ليلة ١٦ ربيع الثاني، هجم أحد

الأفراد من الجيش البريطاني، بمساعدة رجال الشيخ خزعل، على معسكر الأتراك ليلا، واندلعت معركة شرسة، وهزم البريطانيون وعادوا، لكن الأتراك والعرب الذين كانوا معهم هاجموهم وقتلوا مجموعة كبيرة منهم.

يكتب الجنرال سايكس:

«كان عدد جيش العدو اثني عشر ألفا، وقد هُزم البريطانيون، رغم شجاعتهم الشديدة.وأصابتهم الجروح والصدمات الكثيرة وقتل عدد كثير منهم.»

السيد الشيخ مرتضى تستري، الذي سيتم سرد قصة مقتله لاحقا، كتب مذكرة حول هذه الحرب ويقول: أغار الجيش البريطاني ليلا وكان عددهم ألفين، وقتل منهم ألف ومئتان وخمسون، ومن بينهم قائدهم العقيد كلنل ليوتنان بول.وسقطت مدفعيتهم وترسانتهم في أيدي العثمانيين والعرب.

ثم، في أواسط جمادى الأولى، اندلعت معركة مدفعية أخرى بين الجيشين، ولمدة يومين أو ثلاثة أيام اشتعلت نار الحرب.في غضون ذلك، وصل محمد فاضل الداغستاني إلى إقليم الأحواز ومعه عشرة آلاف عنصر من الجيش العثماني وانضم إلى معسكر المسلمين، وعلى الرغم من أنه زاد من عدد جيشهم، إلا أنه لم يمض وقت طويل، وفجأة أخذ في التراجع وانسحب إلى الكرخة.

يقول الجنرال سايكس:

«لأن قائد جيوش البريطانية في البصرة والقرنة كان ينوي الهجوم، فقد أمر جيش الأحواز، الذي كان له اليد اليمنى لتلك القوات، بالتقدم، ودفعوا الجيش التركي والعربي إلى الوراء حتى الكرخة والعمارة.لكن السيد الشيخ مرتضى يكتب في مذكرته: «في غرة جمادى الثانية، تحرك محمد جاجان بمعسكر المجاهدين بسبب سوء ظنه من الشيوخ، وتوجه إلى الكرخة، وفي الوقت نفسه وصل نبأ عصيان عشائر

العثمانيين وهزيمة معسكر الشعيبة للعثمانيين.آغا السيد محمد وقائد الجيش العثماني غادرا الأحواز بالكامل».

حينما غادر الأتراك الأحواز، انضم إليهم من الأحواز بني طرف وعشائر آخرين وعاد كل منهم إلى مكانه.لكن البريطانيين، أخذوا في معاداة بني طرف ولم يمتنعوا عن إلحاق الضرر بهم ومضايقتهم.في غضون ذلك، حظي الشيخ خزعل خان، أو بحسب البريطانيين نفسه «شيخ المحمرة»، بفرصة جيدة، وبدعم من حلفائه، رسخ قواعد عمله أكثر من ذي قبل، واكتسب أي سلطة في قمع القبائل العربية، ولاسيما أولئك الذين جاءوا لمساعدة العثمانيين.كانت إحدى مهامه إلقاء القبض على القنصل الألماني وممثله التجاري في المحمرة وسلمه للموظفين البريطانيين.كما قدر البريطانيون حسناته تجاهه ولم يترددوا في نصرة الشيخ.وسنة ١٣٣٤ أعطوه وسام K.C.S.I.[1] وأقام الشيخ في المحمرة احتفالا كبيرا بسبب حصوله على هذا الوسام والذي لم ينس الناس حتى الآن عظمة ذلك الاحتفال.

وضع القوات البريطانية في الإقليم وتطاولهم على كل شيء:

بعد أن طرد البريطانيون الأتراك من الاقليم، أحرزوا الكثير من التقدم في العراق، وسيطروا على كل الاقليم.ووضعوا القوات في مدن المحمرة والأحواز والشوش (في حصن كاو شكران في فرنسا).وأنشأوا مكتب سياسي أو قنصلية في كل من تستر ودزفول، واستقروا قنصلية مع مجموعة من القوات، وافتتح القضاء في هاتين المدينتين.واستحوذت على مكاتب البريد والتلغراف في كل مكان، وعينوا أفرادهم في تلك الدوائر.وكذلك عينوا أشخاصا لجباية الضرائب، ويدفعون من تلك الضريبة رواتب القضاة وحكام المدن.

(1) Knight Commander of the (Most Exalectder of the Star of the India).

استمرت هذه الحالة من سنة ١٣٣٣ إلى سنة ١٣٣٩، على الرغم من إرسال شخص يسمى «حاكم عربستان» أحيانا من طهران، إلا أن رأس كل الأمور كان في أيدي العملاء البريطانيين والشيخ خزعل وأفراده. يمتلك القنصل في تستر ودزفول كل أنواع السلطة والقدرة، ويأمر العشائر بالخارج أيضا. وأيضا في الشؤون القضائية يجب أولا تقديم الشكوى إلى القنصل وهو يرسله إلى القضاء.

من أعمال البريطانيين في هذه السنوات هو إغلاق الجسر الحديدي لسد قير. وعند خروجهم من الاقليم باعوه للشيخ عبد الحميد نجل الشيخ خزعل، وهو لا يزال مستقر وثابت، وتنقل الناس والسيارات عبر ذلك الجسر.

وكان عملهم الآخر هو إصلاح جسر دزفول وإغلاق الجسر على أقواسها الثلاثة المكسورة. لأن جسر دزفول الذي يقال أنه بني بعد زمن نادر شاه[1]، وله عشرين ينبوعا كبيرا، قبل سبعة وعشرين أو ثمانية وعشرين سنة اختفت ثلاثة من ينابيعه، ومنذ ذلك الحين اضطرت القوافل لعبور النهر بالزورق.

في سنة ١٣٣٣هـ، أعلن البريطانيون في المدينة أنهم يريدون بناء شركة لإغلاق الجسر وأنهم سيشترون نصف أسهم الشركة بأنفسهم. قبل أهل دزفول هذا الأمر عن طيب خاطرهم ويسارعون لشراء أسهم الشركة. ويتم توفير اثنين وسبعين ألف تومان من رأس المال. ومن تلك الأموال، قاموا أولا بإصلاح وترميم ينابيع الجسر الأخرى، التي لم تسقط بعد ولكنها كانت على وشك السقوط، ثم يبنون جسرا صامدا من جانب إلى آخر. مقابل هذا الجسر العائم، الذي قمت بقياسه بقدمي سنة ١٣٤٣، كان حوالي خمسة وثلاثين ذراعا، والآن يتم عبور الناس والماشية والسيارات كلها عبر ذلك الجسر. ويأخذ موظف النقل خراجا من المارة، وباع البريطانيون حصصهم في الشركة للحكومة الإيرانية عندما غادروا الإقليم وهي الآن في أيدي مكتب الضرائب.

---

(١) كتب ميرزا مهدي خان أنه في سنة ١٢٤٢، عبرت قوات نادر شاه نهر دزفول بالقارب، وهذا هو سبب إنكسار الجسر في ذلك الوقت.

ومن الأحداث التي وقعت في تستر إبان الحكم البريطاني أحدها مقتل آغا الشيخ مرتضى مجتهد والأخرى قتل الحاج السيد عبد الله إمام الجمعة.قام السيد الشيخ مرتضى بمعاداة الإنجليز ويحرض الناس عليهم، إلى أن قتل ليلة سنة ١٣٣٥ على يد أناس مجهولين.لكن الحاج السيد عبد الله الذي كان من عائلة السادات الجزائريين وأحد زعماء علماء تستر، كان قد عين من قبل البريطانيين رئيسا للقضاء في تستر.

ذات يوم، عندما كان جالسا أمام منزله وكان بعض أفراد عائلته معه، فجأة خرجت مجموعة من الأوباش من زاوية وأطلقوا النار عليه وقتل.في ذلك الوقت، ذهب القنصل البريطاني إلى دزفول.وانتهز بعض السادة، خاصة كلانتريون، الفرصة وأعادوا تهييج سوق الفتنة التي أخفقت منذ وجود البريطانيين، هذا، وأنهم جعلوا هذه الحادثة ذريعة للثورة.عند سماع هذا النبأ، جاء القنصل إلى تستر وحاول إخماد الفتنة.وألقى القبض على عدد من كلانتريين مع السيد رضا، والسادة الآخرين الذين قاموا بإثارة الفتنة أكثر من الآخرين.كما ألقى السيد باقر القبض على زعيم كلانتريين وأرسله إلى الهند، وصادر بيوته التي كانت من أفضل البيوت في تستر، وجعلها مكتبهم[1].

(١) حاولت الحكومة الإيرانية تحرير السيد باقر، واستعادته من الهند، وأعيدت الخسائر التي تكبدها من البريطانيين.لكن في حادثة سنة ١٩٦٤ سنرى أنه كان من ألد خصوم الحكومة الإيرانية.

الفصل الثالث

نهاية الحكم العربي للأقليم

إجراءات ومتابعات الشيخ خزعل خان:

في تأليف تاريخ إقليم الأحواز، وصلنا الآن إلى وقت يتعين علينا فيه سرد بقية القصة في قسم منفصل.لأنه في هذا الوقت حدث وضع مختلف داخل إيران واتخذت التقارير لونا مختلفا.في شتاء سنة ١٣٢٩، في عهد قائد إيران الشهير (حضرة أشرف، رئيس الوزراء)[1] تصاعدت أعمال الفوضى في إيران، وانتشر المستبدون والمتغطرسون في كل أنحاء إيران.في ذلك الوقت، كان الشيخ خزعل خان سردار يعدّ من أقوى المتمردين في إيران، ولسنوات لم يدفع الضرائب للحكومة، وهيأ السفن الحربية والمدفعية، وبدعمهما يحكم بشكل تعسفي ويطلق على نفسه لقب «أمير عربستان».

في ذلك الوقت، انقسم إقليم الأحواز مرة أخرى إلى قسمين، كان الجزء الأكبر منهما بيد الشيخ خزعل بالكامل، والجزء الآخر، على الرغم من أن الحاكم يعين من طهران، لكن في الخفاء كل سلطتهم كانت تحت إشراف الشيخ خزعل عهد عبادان، والمحمرة، والفلاحية، والحويزة، والأحواز، وقيادة جميع القبائل العربية، وكذلك حماية قبائل لور التي تعيش في إقليم الأحواز، إلى الشيخ من قبل الحكومة، ثم ضرائب كل هذه المدن والمستوطنات كانت تحت سيطرته، وليس بإمكان أحد أن يتدخل في شؤونها، ما كانت هناك مكاتب حكومية إلا دائرة التلغراف، ومكتب البريد، والجمارك

---

(1) يعادل اليوم، جلالة ملك الملوك.

في الناصري والمحمرة، دائرة التوظيف والجمارك في المحمرة.

وبالاختصار: كل هذه الأراضي في إقليم الأحواز، من هندجان إلى منحدرات بشتكوه ومن جانب شط العرب إلى قرب تستر ودزفول، والتي تشكل أكثر من ثلثي أراضي الأحواز، أصبحوا جميعا للشيخ.وحكم على أرواح الناس وممتلكاتهم في جميع أنحاء هذه الأرض، ويمكن القول أنه بعد زمن الشاه إسماعيل الصفوي لم يصل أحد في الاقليم إلى هذا المجد والقدرة.

في تستر ودزفول، حيث أرسل الحاكم من طهران، كانت كل السلطة في يد الشيخ خزعل، وكان على الحاكم أن يطيعه ويتصرف كما يشاء، وإلا فإن الأوباش ومجموعة من أرباب العمائم الذين كانوا من أنصار الشيخ ومن مرتزقيه يمنعونه من تقدم عمله ويطردونه من الأحواز مهانا مذموما.كما حدثت هذه القصة سنة ١٣٤١ لظهير الملك حاكم الاقليم في تستر الذي طرد طرداً مخزيا وسفك دم أحد قومه في وضح النهار.

والبختياريون الذين ذكرناهم كانوا منافسي الشيخ في الاقليم.في ذلك الوقت، لم يكن لديهم نفوذ في المدن، وكانت سيطرتهم على القرى الغربية لتستر ودزفول فقط. ويضايقون الناس المساكين ولم يكفوا عن الظلم والنهب.وكذلك رامهرموز وحواليها كانت تحت سيطرتهم.أيضا في مسجد سليمان، التي تقع في امتداد إقليم بختياري، كان الحكم في أيدي إيلخاني والذي يعين أحد أقوامه هناك.

كما قلنا، هذه المرة أطلق الشيخ خزعل على نفسه لقب «أمير عربستان».لقد حاول دائما أن يجعل نفسه حاكما لإقليم الأحواز في جميع الأوقات.بعبارة أخرى، كان يسعى إلى استقلال الاقليم، ولتحقيق هذه الرغبة، يساوم سرا مع الأجانب وأعداء إيران، وخاصة مع شيوخ العراق وشيخ الكويت.

يقال إن أول مرة كشف فيها الشيخ عن هذه الرغبة كانت سنة ١٣٣٢.وبذل جهودا في تلك السنة لكنه لم يفعل شيئا.مع انتهاء الحرب الأوروبية العظمى بانتصار البريطانيين، يرى الشيخ، الذي قدم كل التضحيات من أجل النهوض بعملهم،

حلمه الذي طالما حلم به متحققا.وعلى هذا، أنه يرفض دفع الضرائب للحكومة.بل يقولون إنه حينما يختار الشعب العراقي حاكما عراقيا، فإنه ينفق الكثير من الأموال في هذا السبيل.

على أي حال، بذل الشيخ جهودا في طريق حلمه، وفي سنة ١٣٤١ قام برحلة إلى دزفول.وأنه جعل علماء تلك المدينة يقبلون أفكاره الخاصة، وقضى على أي من شيوخ الإقليم الذين لم يكونوا موافقين لهذه الرغبة.في نفس السنة، من أجل القبض على السيد أحمد آل التفاح، الذي كان يعاديه، أرسل الجيش إلى القرية من (قرية السيد طاهر).بعد تضارب قصير، ألقى القبض عليه واقتاده إلى مدينة الأحواز، حيث حوصر لفترة طويلة.

ثروة الشيخ خزعل خان الهائلة:

وما أضاف إلى شجاعة الشيخ خزعل خان ثروته الهائلة، فقد جمع كل من الحاج جابر خان والشيخ مزعل خان ثروة في عهدهما.وعندما جاء دور الشيخ خزعل، تكدست الكنوز من الذهب والفضة.المعلومات التي لدينا عن ممتلكات الشيخ هي أنه أولا سلم ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه العديد من الممتلكات إلى نظام السلطنة، وباعها هو وأصحابه للشيخ بعد وفاته.ثانيا، سلمت الحكومة العديد من الممتلكات إلى أب أو ابن الشيخ خزعل وثالثا، سلمت الحكومة العديد من الممتلكات إلى الشيخ خزعل نفسه.نحن لا نذكر قائمة هذه الأموال ونقول كلمة واحدة: أن جميع أنواع الأراضي الصالحة للاستخدام في قرى الاقليم، كانت ثلثاها أو أكثر من ثلثاها للشيخ، وغني عن القول إن الشيخ استفاد منها كثيرا.

فضلاً عن ذلك، فإن الضريبة المفروضة على معظم الاقليم، والتي كانت ضمن مسؤولية الشيخ، كان عليه دفع ٤٠ ألف تومان سنويا للحكومة.وكما هو معروف في

الاقليم، فإنه يأخذ أكثر بخمس أو ست مرات من الناس[1].من بين جميع البساتين في الأحواز، أخذ الشيخ الخمسين باسم الضرائب وخُمسها باسم حقوق الملكية من غالبية تلك البساتين التي كان يملكها.ويأخذ من بساتين أخرى خمسي الضريبة فقط.أولئك الذين شاركوا في عمل الشيخ يعرفون جيدا مقدار الأموال التي يكسبها سنويا من خلال ذلك.يقال إنه يكسب في بعض السنوات ١٠٠ ألف جنيه إسترليني أو أكثر من بيع التمور.الشيخ نفسه، وكنت عنده، تحدث يوما عن كثرة التمر: «في الهند يسمونني ملك التمر".

كما أن الشيخ خزعل لم يجعل بيع الخبز واللحوم والمواد الغذائية الأخرى في المحمرة وعبادان والناصري حرا، بل إنه يبعيه بالتضمين (التلزيم)، وبهذه الطريقة، كان يكسب الكثير من المال كل سنة.كما في السنة الماضية بلغ تلزيم المحمرة إلى مائة وعشرين ألف تومان وتلزيم عبادان إلى مائتين وعشرة آلاف تومان.في الناصري، لا نعلم سوى كمية عقود اللحوم التي تم منحها لعدة أشخاص من عرب كربلاء مقابل خمسة عشر ألف تومان.والأكثر غرابة في هذه الصفقة أنه قد أخذ رشاوى أحد أقارب الشيخ، مبلغ مائة وخمسون ليرة، وآخر، ستمئة ليرة، وأحد أبنائه، ألف ليرة[2].خلاصة القول، يمكن القول أن ربح الشيخ سنويا كان خمسمائة ألف تومان، وربما يكسب حاشيته وأبنائه مائة ألف تومان أو أكثر من هذا رشوة.

علاوة على هذا، يمتلك الشيخ العديد من العقارات في العراق وسوقا في مدينة البصرة، ويكسب سنويا ربحا كثيرا منها، لكنه ليس لدينا معلومات صحيحية بخصوص هذا الأمر.

---

(١) في السنة الماضية، جاء الشيخ عوفي، الشيخ بني طرف، إلى منزلي في الناصري، ويريني قائمة ضريبة عشيرته، ويظهر فيها أن خزعل يأخذ من عشيرته أحد عشر ضعفاً مما تأخذه الحكومة منه.

(٢) وبما أن هذه القضية كانت مطروحة في القضاء، بعد وصول القوات الحكومية إلى الأحواز، فقد أدركت حقيقتها.

وهكذا يتم الحصول على مقدار ثروة الشيخ خزعل خان، كما نتعرف على جشعه وخروجه عن الحد؛ لأنه وفي أرض بها كل هذه الممتلكات، فإنه يتدخل في رزق الناس، ويضيق مجال الحياة للفقراء والمساكين.كانت نتيجة عقد الخبز ومنتجات اللحوم أن الناس اشتروا كل شيء بضعف السعر، كما في السنة الماضية، عندما كان اللحم في تستر «من» منه بثمانية «قران» يباع في الناصري «من» منه بتومانين.كانت الأشياء الأخرى باهظة الثمن بهذا الحد.

هناك العديد من الروايات في الاقليم عن تشدد الشيخ في مجال الضرائب.ومنها «الخراص» الذي يذهب إلى البساتين لتقدير مقدار التمور لمعرفة نسبة الضريبة، في بعض الأحيان كان يبالغ في تقدير المحصول ضعف ما هو عليه، وبالتالي فإن المزارع البائس، الذي عانى لمدة سنة حراسة البساتين، لا يربح شيئا خاصا، وتذهب جميع الممتلكات إلى مستودع الشيخ بإسم الضرائب وحقوق الملكية.

أتجنب عن هتك الستار، وإلا فإن أهل إقليم الأحواز لديهم العديد من القصص القبيحة عن الشيخ خزعل خان وأبنائه وأقاربه.وأنا شخصيا شاهدت الكثير من أعماله القبيحة.

والأكثر إثارة للدهشة أن الشيخ مع كل هذه المظالم، كان يجمع الذهب والفضة، ويضايق الناس الفقراء أكثر مضايقة.من ناحية أخرى، كان يصرف أمواله في غير محلها، ويخسر بفسوقه ما ربحه بالظلم.كانت إحدى مهامه رشوة حكام الاقليم وموظفي الحكومة الآخرين، الذي يشتريهم بالمال كي يكونوا أنصاره ويخضعون له.كما قدم العديد من الهدايا لأي شاعر أو شيخ تمسك به.على سبيل المثال، كان يرسل آلاف الليرات سنويا إلى عبد المسيح الأنطاكي وغيره من الصحفيين المصريين والعراقيين ليكتبوا عنه بصفته «أمير عربستان» في صحفهم ومجلاتهم.دفع مبالغ طائلة للشعراء المتملقين والثرثارين، ولسياح العراق والشام ومصر والحجاز المتسولين، كي يعرفوه بين العرب بـ «المحسن الكبير».

أسس عبد المسيح مطبعة في مصر تسمى «المطبعة الخزعلية» ويحرر مجلة اسمها «العمران» وكلها كانت ثناء على الشيخ خزعل.في سنة ١٣٣٣، عندما توفي عبد المسيح، نشر ابنه فتح الله أنطاكي تقويما بعنوان «التقويم الخزعلي»، وعليها وأسفل صورة الشيخ كتبت هذه القصائد:

هـذا هـو الـمـلـك الـذي فـي عـدلـه نـالـت رعـيـتـه الـبـشـائـر والـنـعـم
هـذا الـذي سـاس الـرعـيـة جـازمـا ومـشـى بـهـا لـلـرقـي تـحـدوه الـهـمـم
بيمينه السيف الصئول على العدى حـتـى إذا أفـنـاهـم مـسـك الـقـدم
ويـسـاره لـلـسـر قـد خـلـقـت ولـلـسـردار أقـدس خـزعـل خـلـق الـكـرم

من الواضح أن هذا التقويم طُبع بأموال الشيخ وفي الاقليم كان هو الذي يرسل هذا التقويم إلى المنازل وأيضا إلى الدوائر الحكومية.

ومن عجائب أمر الشيخ أنه أرسل مالا لشخص ما وألف كتابا بعنوان «الرياض الخزعلية» ونُشر مرتين في مصر بمساعدة عبد المسيح كما أنه كتبه الشيخ نفسه. على الرغم من أنه من يقرأ ذلك الكتاب، فمن السهل أن نكشف أن مؤلفه عاش في النجف خلال تلك السنوات، ونعرف أن الشيخ لم ير النجف قط.وكذلك نعلم أن الشيخ ليس عالما أو مؤلفا حتى لو كان رجلا ذكيا يقظا.

إرسال أول مجموعة من الجيش إلى تستر:

السيد رئيس الوزراء، منذ أن بدأ العمل في سنة ١٣٣٩، بدأ في اقتلاع جذور المتعجرفين والمتمردين.خلال سنتين، تم قمع تمرد أمير مؤيد في مازندران وأعمال الشغب التي قام بها جنكليون في جيلان وفتنة إسماعيل السيد سميقوا في أذربيجان وكردستان، والتي كانت كل منهم سبب في ارتباك إيران لسنوات عديدة.وبعد هذه الانتصارات التاريخية، ثم قاموا بقمع العشائر الذين كانوا متمردين ومستبدين منذ بداية الدستورية ولم يكن لديهم ما يفعلونه سوى الغزو وقطع الطريق.

لا شك أن المجموعة الرئيسة من هؤلاء العشائر هم البختياريون والألوار.ومزق الألوار خط الطاعة لسنوات عديدة وأغلقوا طريق خرم آباد وبروجرد، وهو أحد الطرق السريعة في إيران، إلى القوافل.على الرغم من أن البختياريين أظهروا الأعمال الصالحة في بداية الثورة الدستورية وأن شيوخهم كانوا يعيشون دائما في طهران، إلا أنهم لم يكونوا خاضعين للحكومة.ووفقا لأحد الأوروبيين، فقد اتبعوا دائما سياسة أن الآباء أصدقاء وأن الأبناء أعداء، وباختصار، لم يكونوا سوى متمردين وعصاة.

ولأن هاتين المجموعتين من العشائر العصاة بجبالهم القاسية وغاباتهم الصعبة كانت في وسط العاصمة والاقليم، لم تستطع الحكومة أن تقوم بحل مسألة الشيخ خزعل مادام أنها لم تحل مسئلة هؤلاء العشائر.لهذا السبب، حاول الشيخ دائما إبقاء الألوار في عصيانهم والبختياريين في السياسة المزدوجة، وكما يقولون، فقد أنفق الأموال الضخمة في هذا المجال.

على أي حال، لأن الحكومة كانت لا تزال مشغولة بعمل هؤلاء العشائر، ومن ناحية أخرى، لم يتخذ الشيخ خزعل أي إجراء بعد، وكان يتصرف ببعد النظر.لهذا السبب، قرر السيد رئيس الوزراء أنه فيما يتعلق بالاقليم، بإرسال مجموعة صغيرة فقط من القوات كحراس في تستر.هذا، وإنه سنة ١٣٤٢، قصد مائتا جندي بقيادة عقيد من أصفهان إلي تستر عبر جبال البختياري، لكن هذه المجموعة لم تصل إلى مبتغاهم، وقتلوا في إحدى وديان البختياري على يد مجموعة من الناس الذين يسكنون في الجبل وكانوا بالمرصاد.ويبدو أن القليل منهم نجى.

لقد قيل الكثير عن هذا الحدث الأسود في ذلك الوقت، كتبت مقالات في الصحف عن ذلك.وبعض الناس عللوا بأموال الشيخ من الفضة والذهب، لكننا لا نعرف كيفية ذلك وعلينا أن لا ندخل في هذا البحث.مهما كان الأمر، فإن الحكومة لم تتخل عن قرارها وفي بداية سنة ١٣٤٢ ذهب عقيد آخر (السيد العقيد باقر خان) بمئتي جندي إلى الاقليم عبر نفس طريق بختياري ووصلوا إلى تستر سالمين أقوياء

واستقروا في قلعة السلاسل.

وغني عن القول أن الشيخ خزعل خان كان غير راضٍ عن ذلك الأمر، ولكنه كان سعيدا في الظاهر، وأرسل ٤٠٠٠ تومان لإنشاء مستشفى للقوات.وكان متواضعا ومطيعا مع رئيس الوزراء.ولكن بكل طريقة كان يعرفها، حاول أن لا يزيد في رقم تلك المجموعة، وأن لا تتجاوز تستر، وكان دائما يخشى أن يتم فتح الطريق إلى خرم آباد وأن تصعب له الأمور، وكان يفكر في مثل هذا اليوم الذي كان يظهر التواضع.في نفس الأيام، وصل ممثلون عن وزارة المالية إلى الأحواز لتفقد حساب الشيخ لعدة سنوات وحددوا أقساطا لدفعه.ومرة أخرى أبرموا معه العقود الضريبية.وفي الوقت نفسه، أنا أيضا باسم رئيس قضاة الاقليم، غادرت طهران ومن طريق بغداد والبصرة في ١٧ جمادى الثانية، و في ليلة الثاني عشر من رجب وصلت إلى المحمرة، التقيت بالشيخ داخل السفينة في عبادان وعدت إلى المحمرة ومن هناك توجهت إلى الناصري ومن هناك إلى تستر التي كانت مكان العدلية.

كشف عصيان الشيخ خزعل خان:

كما قلنا، كان الشيخ خزعل خان خائفا من فتح الطريق المؤدية إلى خرم آباد. لأن قمع الألوار وفتح هذا الطريق لم يكن سهلا كما كان يُعتقد، واستغرق وقتا طويلا، فذهب خوف الشيخ، وغير تصرفه مع موظفي الحكومة.وكنت أكثر من عانى، لأن القضاء كان الجهة الحكومية الوحيدة التي تدخلت في شؤون حكم الشيخ.وقد أدى هذا العمل إلى الصراع عدة مرات، ولكنني تحملت وواصلت العمل.من ناحية أخرى، في تلك الأيام تتحدث الصحف العراقية عبثا، وتكتب عن الاقليم بـ«الإمارة العربية المستقلة» وأطلقوا على الشيخ لقب «سلطان عربستان».

رداً على هذا الهراء، نشرت مقالات في مجلة «عرفان» في مطبعة صيدا التي تنتشر في الاقليم، وهذه المقالات التي وصلت إلى مسمع ومرأى الشيخ ونجله، أخذوا بوضع

العراقيل أمامي ويضايقونني»[1](*).

كانت هناك سلسلة من الأحداث في العاصمة الإيرانية في ذلك الوقت: الأولى: الحركة الجمهورية وفشلها، والثانية اغتيال القنصل الأمريكي السيد أمبري، وما تبعه من ضجة.ثالثا، استجواب أقلية المجلس عن رئيس الوزراء.عدَّ الشيخ هذه الواقعة سببا في سعادته، واعتقد أنها ستقلل من قدرة الحكومة في ظلها، هذا، وإنه يوما بعد يوم يضاف إلى شيء سلوكه السيئ.

في نهاية شهر ذي الحجة، وصلت برقية من طهران للشيخ لتسليم العقارات المملوكة للدولة التي بحوزته إلى مكتب الضرائب.أرسل رئيس الوزراء هذه البرقية بناء على طلب إدارة المالية، وثار الشيخ لدرجة وكأنه مجنون.في تلك الأيام ذهبت إلى ناصري لمناقشة بعض الأحاديث التي أجريناها مع الشيخ عبد الحميد نجل الشيخ، وعند وصولنا أهانوا أحد مرافقي ثم اعتذروا.

وبما أن ثقة الملك والي الأحواز والعقيد باقر خان قائد الجيوش كانوا أيضا في الناصري وكانوا يحاولون أن يهدءوا الشيخ بالكلام ذهبت أنا أيضا إلى بيت الشيخ معه.يتحدث الشيخ بجنون معقباً؛ أحيانا ينشد الملاحم العربية، وحينا آخر يقول أشياء مضحكة وأحيانا كان يخاطبني ويخلط العتاب وإداناته.وكان من كلماته: «لقد عشت اثنين وستين سنة ولن أعيش أكثر من أربعين سنة.ولكن إذا أخذت الحكومة هذه الممتلكات مني، فإن أطفالي سيتسولون».

على أي حال، أرسل الشيخ برقية إلى رئيس الوزراء تفيد بأن مظفر الدين شاه قد سلمه الممتلكات بأمر منه وأنه قام بعمرانها.والآن بعد أن وصل الأمر بتسليمهم إلى إدارة المالية، شعر بخيبة أمل كبيرة واستياء.ولإرضاء الشيخ، أرسل رئيس الوزراء برقية أخرى بأن العقار سيبقى في يديه لكنه لازم أن يكف عن بيعها للأجانب، وأن يرسل ما

---

(1) (*) هنا بدأت تظهر مهمة الكاتب والمؤرخ.

تحتويه الوثيقة عن تلك الممتلكات إلى طهران.قبل وصول هذه البرقية، كان الشيخ قد حشد الجيش وأبلغ العشائر بإرسال فرسانهم إلى مدينة الأحواز.بعد تلقي البرقية، اقترح والي الاقليم، ثقة الملك، على الحكومة عزل العقيد باقر خان، الذي كان قائد جيش تستر والذي لم يكن الشيخ واثقا به.قبل رئيس الوزراء هذا الطلب أيضا، وأصبح ياور رضا قلي خان، رئيس الدرك، قائدا للقوات بدلا من العقيد باقر خان.

بعد ذلك كان يعتقد أن غضب الشيخ سوف ينتهي.لكنه أضاف الشجاعة من جراء برقية تسلية رئيس الوزراء وقرر إزالة الستار.تتحدث علانية عن العصيان.وفي بداية شهر الصفر أرسل أشخاصا إلى كل ناحية ليجمع المسلحين راكبا وراجلا إلى مدينة الأحواز.من ناحية أخرى، انضم إليه خانات البختياري الأخرى وهم: مرتضى قلي خان نجل صمصام السلطنة وميرزا يوسف خان وأمير مجاهد وآخرين.

على ما اعتقد، كانت هناك عدة أمور دفعت الشيخ إلى تلك الاجراءات وهي:

أولا: أراد ثقة الملك ورضا قلي خان استفزاز الشيخ إلى العصيان، وفي غضون ذلك، يجمعون الليرة والمال بأنفسهم.ثقة الملك رجل طماع ومن يوم وصوله إلى الأقليم أمضى معظم وقته في الناصري في منزل الشيخ.رضا قلي خان هو أيضا واحد من أكبر المحتالين في ذلك الوقت، والذي لم يوجد في الكذب والنفاق شخص مثله.

ثانيا: اضطر أمير مجاهد إلى مغادرة إيران بأمر من الحكومة.وهو، الذي كان مطرودا من قبل الحكومة، يريد آخرين أن يكونوا مثله.

ثالثا: كان بعض عائلة بختياري يعرفون جيدا أنه إذا يدخل الشيخ في العصيان، فليس عنده جيشا محاربا، وسيضطر أن يطلب المساعدة من البختياريين.ولهذا، سينفق الكثير من الفضة والذهب.ولهذا، إنهم يستفزونه على العصيان.في ذلك الوقت، كانت قصة الشيخ خزعل خان وليراته مشهورة في الأقليم ولكن أيضا في جميع أنحاء إيران.

رابعا: كان الشيخ نفسه يعلم أن الحكومة لن تتركه وحيدا مع تلك القوة المتنامية، وكان دائما يعيش في خوف من العقاب على أفعاله.هذا، وإنه أراد أن يبذل الجهد الأخير، ربما يجد طريقا لهروبه في النهاية.

ثقة الملك ورضا قلي خان، اللذان عبرا في ذلك الوقت، أيضا عن العصيان، ونهضا علانية لمساعدة الشيخ، يعلمان أنه إذا تصرفا دون أي دليل أو ذريعة، فلن يكون لديهم أمل في التقدم.هذا، وإنهما بحثا عن دليل والذريعة وخططا أخيرا لتشكيل مجموعة فيما بينهما تسمى «لجنة قيام السعادة» وبحجة الحفاظ على الدستور يقومان بنصرة السلطان أحمد شاه الذي كان في أوروبا[1].لقد استخدما هذه الخطة وأرسل الشيخ برقية إلى دار الشورى وإلى كل من السفارات في طهران، ومخالفة لأنه «سردار سباه (رئيس الوزراء)، يتصرف بشكل غير دستوري، وهضم حق السلطان أحمد شاه، انا نهضت عليه وعلى حكومته.وبما أن الأمة تكره جنوده، يجب أن يسقط النظام الحالي».ثم أرسل برقية إلى أحمد شاه يطلب منه الحضور إلى الإقليم، كما أرسل شخصا إلى النجف ومعه أموال طائلة ليجعل العلماء شركاء له.

كما أرسل مبعوثين إلى خانات البختياري والألوار والقشقايين.وكان أسوأ عمل قام به في هذا الوقت هو إجبار بعض الصحفيين العراقيين الذين كانوا من مرتزقيه على كتابة مقالات معادية لرئيس الوزراء، وسبوا إيران والإيرانيين ولم يترددوا في إهانتهم والسب بلا مروءة.

خيبة أمل الشيخ خزعل خان:

بما أن الشيخ أرسل هذه البرقيات والأشخاص إلى هنا وهناك، وفتح كنوزه وأعطى الذهب والفضة لهذا وذاك، ما كان عنده شك أنه يتجاوب معه الناس في جميع

(١) لم يتم عزله بعد.

تحتويه الوثيقة عن تلك الممتلكات إلى طهران.قبل وصول هذه البرقية، كان الشيخ قد حشد الجيش وأبلغ العشائر بإرسال فرسانهم إلى مدينة الأحواز.بعد تلقي البرقية، اقترح والي الاقليم، ثقة الملك، على الحكومة عزل العقيد باقر خان، الذي كان قائد جيش تستر والذي لم يكن الشيخ واثقا به.قبل رئيس الوزراء هذا الطلب أيضا، وأصبح ياور رضا قلي خان، رئيس الدرك، قائدا للقوات بدلا من العقيد باقر خان.

بعد ذلك كان يعتقد أن غضب الشيخ سوف ينتهي.لكنه أضاف الشجاعة من جراء برقية تسلية رئيس الوزراء وقرر إزالة الستار.تتحدث علانية عن العصيان.وفي بداية شهر الصفر أرسل أشخاصا إلى كل ناحية ليجمع المسلحين راكبا وراجلا إلى مدينة الأحواز.من ناحية أخرى، انضم إليه خانات البختياري الأخرى وهم: مرتضى قلي خان نجل صمصام السلطنة وميرزا يوسف خان وأمير مجاهد وآخرين.

على ما اعتقد، كانت هناك عدة أمور دفعت الشيخ إلى تلك الاجراءات وهي:

أولا: أراد ثقة الملك ورضا قلي خان استفزاز الشيخ إلى العصيان، وفي غضون ذلك، يجمعون الليرة والمال بأنفسهم.ثقة الملك رجل طماع ومن يوم وصوله إلى الأقليم أمضى معظم وقته في الناصري في منزل الشيخ.رضا قلي خان هو أيضا واحد من أكبر المحتالين في ذلك الوقت، والذي لم يوجد في الكذب والنفاق شخص مثله.

ثانيا: اضطر أمير مجاهد إلى مغادرة إيران بأمر من الحكومة.وهو، الذي كان مطرودا من قبل الحكومة، يريد آخرين أن يكونوا مثله.

ثالثا: كان بعض عائلة بختياري يعرفون جيدا أنه إذا يدخل الشيخ في العصيان، فليس عنده جيشا محاربا، وسيضطر أن يطلب المساعدة من البختياريين.ولهذا، سينفق الكثير من الفضة والذهب.ولهذا، إنهم يستفزونه على العصيان.في ذلك الوقت، كانت قصة الشيخ خزعل خان وليراته مشهورة في الأقليم ولكن أيضا في جميع أنحاء إيران.

رابعا: كان الشيخ نفسه يعلم أن الحكومة لن تتركه وحيدا مع تلك القوة المتنامية، وكان دائما يعيش في خوف من العقاب على أفعاله.هذا، وإنه أراد أن يبذل الجهد الأخير، ربما يجد طريقا لهروبه في النهاية.

ثقة الملك ورضا قلي خان، اللذان عبرا في ذلك الوقت، أيضا عن العصيان، ونهضا علانية لمساعدة الشيخ، يعلمان أنه إذا تصرفا دون أي دليل أو ذريعة، فلن يكون لديهم أمل في التقدم.هذا، وإنهما بحثا عن دليل والذريعة وخططا أخيرا لتشكيل مجموعة فيما بينهما تسمى «لجنة قيام السعادة» وبحجة الحفاظ على الدستور يقومان بنصرة السلطان أحمد شاه الذي كان في أوروبا[1].لقد استخدما هذه الخطة وأرسل الشيخ برقية إلى دار الشورى وإلى كل من السفارات في طهران، ومخالفة لأنه «سردار سباه (رئيس الوزراء)، يتصرف بشكل غير دستوري، وهضم حق السلطان أحمد شاه، انا نهضت عليه وعلى حكومته.وبما أن الأمة تكره جنوده، يجب أن يسقط النظام الحالي».ثم أرسل برقية إلى أحمد شاه يطلب منه الحضور إلى الإقليم، كما أرسل شخصا إلى النجف ومعه أموال طائلة ليجعل العلماء شركاء له.

كما أرسل مبعوثين إلى خانات البختياري والألوار والقشقاييين.وكان أسوأ عمل قام به في هذا الوقت هو إجبار بعض الصحفيين العراقيين الذين كانوا من مرتزقيه على كتابة مقالات معادية لرئيس الوزراء، وسبوا إيران والإيرانيين ولم يترددوا في إهانتهم والسب بلا مروءة.

خيبة أمل الشيخ خزعل خان:

بما أن الشيخ أرسل هذه البرقيات والأشخاص إلى هنا وهناك، وفتح كنوزه وأعطى الذهب والفضة لهذا وذاك، ما كان عنده شك أنه يتجاوب معه الناس في جميع

(١) لم يتم عزله بعد.

أنحاء إيران بمعاداة رئيس الوزراء، لكن سهامه من الأمل اصطدمت بالصخرة.لأن دار الشورى أرسلت الجواب بأن مجلس النواب لديه ثقة تامة برئيس الوزراء، العداء معه بمثابة عداوة لشعب إيران.أرسل برقية إلى شيوخ العرب وغيرهم من شيوخ الاقليم حول الموضوع نفسه.وبما أن السيد ميرزا حسين نائينى والسيد ميرزا ابوالحسن أصفهانى واللذان كانا من كبار علماء النجف وكانا يعرفان الشيخ وكانا على علم بخروج الشيخ عن الحد وفسوقه خلال الحرب العالمية الأوروبية، كتبا فتوى مفادها أن من يقوم على عداوة الحكومة الإيرانية، يخرج من الإسلام، ونشرت هذه الفتوى في الصحف.لم يقبل إيلخاني قشقايي، وهو من العشائر، طلب الشيخ، وأيضا، كانت الألوار مكتئبين وخاضعين في ذلك الوقت، ولم يرد أحد من البختياريين ما عدا من انضم للشيخ من قبل، وذكرنا أسماءهم، لكن يبدو أن أحمد شاه لم يتلق شيئاً على الرد الذي كان يأمله الشيخ.

فضلاً عن هذا أنَّ خبر عصيان الشيخ انتشر في الصحف وانتشر بين الناس بشكل عام، وأرسلوا برقية في أغلب المدن إلى دار الشورى وطالبوا بمعاقبة عصيان الشيخ بأسرع وقت ممكن.هذا، وإن دار الشورى أعطت لرئيس مجلس الوزراء كل الصلاحيات في هذا الشأن.

بعد هذه البرقيات والأخبار، عرف الشيخ ما فعله حماقة، والعبء الثقيل الذي سوف يتحمله.ولكن هذه المرة، بلغ السيل الزبى، وأصبح مجال السلطة هذا في أيدي ابنه عبد الحميد وأمير مجاهد ومرتضى قلي خان وثقة الملك.

على أي حال، تجمع المسلحون من العرب، وسكوند والبختياريين في الأحواز، وأخذ الشيخ ينفق أكياسا من الليرات.

وعندما بدأوا العمل، أقاموا معسكرات في عدة أماكن: واحد في زيدان، على بعد أميال قليلة من بهبهان، إذ وقف شقيق مير عبد الله، والد زوجة الشيخ، مع حوالي ثمانية آلاف عربي.وآخر في قلعة الأعلى والمناطق التي استقر فيها حسين

خان بهمئي مع مجموعة من العرب وأهله.والثالث كان في جايزان بين رامهرمز وبهبهان، إذ استقر سالار أرفع بختياري مع مجموعة من البختياريين هناك.كما أنهم استقروا مسلحين في هنديجان وقرية الملا، واستقر مير مجاهد، الذي كان من المفترض أن يكون قائد جميع الفيالق، في رامهرمز وأحيانا يذهب إلى جبل البختياري ويعود.

وأقاموا في الدرك وفي الناصري نفسها خياما، وتجمعوا ٣٠٠٠ من العرب راكبا وراجلا.وأن رضا قلي خان أعطاهم تمارين كل يوم.ومن أناشيد وأهازيج أهواءهم حسب الشعراء «آذان السماوات صُممت» ومن لم يلحق بنصرة الشيخ وجلس في مكانه، يتعرض للاضطهاد من أفراده، واضطر الكثير منهم للانضمام إلى الشيخ، ومن بينهم الأفشاريين كندزلو، الذين ما زالت تعيش طائفة منهم في تستر وحولها، رفضوا الذهاب إلى الشيخ لفترة، ولكنهم انضموا بعد ذلك إلى الآخرين.

والمثير للدهشة أن الشيخ خزعل الذي يعطى أكياسا من الليرات للبختياريين وكان مسرفا في ذلك الأمر، من ناحية أخرى، من أجل إرسال الجيش إلى دار السلاح إلى رامهرمز وأماكن أخرى، فتحت يد القمع على الفقراء والمساكين، وصادر جميع السيارات، في مدينة الأحواز وفي المحمرة وقبكان.يجبر السائقين على العمل بالقوة والسياط والبنادق، ومع كل هذا، لم يدفع لهم أي راتب أو أجرة، وبدلا من ذلك، فإن أي سيارة تعطل في منتصف الطريق سيكلف السائق إصلاحها.

في غضون ذلك، شرع ابنه الشيخ عبد الحميد، وهو حاكم ناصري، بالقمع، ولم يتردد في مضايقة الناس.كما أنه قام بإعدام بعض الناس، بسبب ذنب وصولهم قبل تلك الانتفاضة إلى تستر وإرسال الشكاوي عن أفراده إلى القضاء.وكذلك جلد ميرزا عبد الحسين دهدشتي، رجل أعمال ناصري ومناضل من أجل الحرية، عدة مرات في ساحة الحكومة وبقي في السجن حتى نهاية الحرب والانتفاضة.

هجوم الحكومة وأسر واعتقال الشيخ خزعل خان:

كان عناد الشيخ خزعل هذا سبب معاقبة الله له على سنواته الطويلة من الأعمال البشعة.لأنه بعد وصول البرقية إلى طهران، نهض السيد رئيس الوزراء على الفور للعمل وأمر الجيش بمغادرة شيراز إلى بهبهان، ويندفع جيش آخر من أصفهان إلى الاقليم عبر بختياري وجيش ثالث من بروجرد عبر خرم آباد وكيالان.كما أرسلوا جيشا من أذربيجان ليقصدوا عبر كرمانشاه وبشتكوه إلى هناك.بالإضافة إلى ذلك، أرسل أفواجا من طهران إلى خرم آباد.يبدو أنه تم إطلاق ٢٢ ألفا من الجيش، على الرغم من عدم الحاجة إلى نصف ذلك العدد، وعادت بعض القوات في منتصف الطريق.

كانت المعركة الأولى التي وقعت في كيكاووس على بعد فرسخين ونصف من بهبهان مع مسلحي حسين خان بهمئي.استقر حسين خان في منطقة تاشان في حصن لكك، على بعد ستة فراسخ من بهبهان، وبما أن ابنته كانت واحدة من زوجات أبناء الشيخ، لم يجلس ساكنا وجاء لمساعدة أقاربه.وكان الملا عبد السيد أحد أفراد الشيخ ونجل أمير مجاهد برفقة مجموعة من المسلحين عنده.في أواسط ربيع الأول، عندما كانت الحكومة تحاول إرسال الجيش إلى الاقليم، أرسل حسين خان مجموعة من مسلحيه إلى كيكاووس، وطردوا مجموعة من العصابات التي وضعتها القوات الحكومية للحراسة هناك، وجلسوا هم أنفسهم بثبات في الخندق.أرسل قائد بهبهان كتيبة من الجيش بمدفع فوقهم، وفي المعركة التي دارت هزم بهمئيون وقتل ثلاثون منهم واعتقل واحد وعشرين وسيطرت القوات على كيكاووس مرة أخرى.

في بداية ربيع الثاني، وصلت قوات شيراز إلى بهبهان في مجموعات وذهبت إلى مناطق زيدان، وبنوا معسكرا على هذا الجانب من نهر هندجان، وكان معسكر العرب على الجانب الآخر من النهر.وعندما وصل قائد القوات بعد أيام قليلة، اندلعت الحرب فيما بينهم.والمثير للدهشة أن القوات مع العصابات لم يتجاوز عددهم الإجمالي ٣٠٠٠.ولكن يبلغ عدد العرب نحو ثمانية آلاف.رغم كل هذا لم تستمر

الحرب أكثر من ساعة، هزمت العرب وتفرقوا، وكل من ينجي من المعركة يفروا للتو حتى يصل إلى بيته، وقُتل الكثير منهم.بل وبحسب بعض الصحف ومبالغ فيها أنه بلغ عدد القتلى خمسمائة، وكان أخ مير عبد الله من بين القتلى، وقيل أنه يقود العرب.

بعد هذا الانتصار، ثبتت القوات الحكومية موقعها في زيدان.ثم هاجموا هندجان وقرية الملا وبقليل من القتال سيطروا على المكانين.

بعد أيام قليلة من معركة زيدان، في الثالث عشر من ربيع الثاني، توجه قائد قوات بهبهان إلى جايزان بالمدفعية وهو ينوي قتال سالار أرفع.وكان من المدهش أن هؤلاء المسلحين فروا دون قتال وتفرقوا لأن معظمهم كانوا من تجار السوق ومن المزارعين الصحراويين ولم يسبق لهم أن شهدوا حربا.

ومع انتشار أخبار هذه الهزائم المتتالية في الاقليم، علم الصديق والعدو بنهاية الشيخ وشركائه، والشيخ نفسه كان عاجزا جدا، خاصة وأن القوات تقترب من أصفهان وخرم آباد من جهة أخرى، وانتشرت أخبارهم في كل مكان.على الرغم من أنهم لم يصلوا إليهم بعد إلا أنه تعطل عملهم، واضطروا أخيرا إلى تجنيد المسلحين من البختياريين والقرويين حول تستر بالقوة وإرسالهم إلى أمير مجاهد في رامهرمز.

من ناحية أخرى، عندما رأى عرب الاقليم، الذين عانوا من ظلم الشيخ لسنوات عديدة ورأوا الكثير من لدغاته، حقارة الشيخ، قاموا بالعداوة والبغضاء؛ وهذا، وأنهم لم يعطوا البنادق أو يرسلوا الفرسان له قدر استطاعتهم.وأنه فجأة قامت بني طرف، التي يمكن أن يقال إنها أشجع عرب الاقليم، بعداوة الشيخ، وطردوا أفراده من بينهم. كما أضرموا النار في قصر الحميدية الذي كان للشيخ وفي تلك النواحي.وفي هذا الوقت، أطلق الشيخ سراح شيخهم، الشيخ عاصي، لتهدئتهم والذي كان في السجن منذ سنوات عديدة، وألبسه ملابس الشيخ وأرسله إلى الحويزة، ولكن توفي عاصي بعد يومين أو ثلاثة أيام، وظنت بني طرف أنه قد سُمّ على يد الشيخ، وهكذا ثاروا مرة أخرى.

نعم، كان الشيخ خزعل خان يرى العمل مقلوبا من كل الجهات.في هذا الوقت وصل رئيس الوزراء إلى شيراز قادما من طهران.ولأن لورن الوزير المفوض للإنجليز قد أتى إلى المحمرة قبل أيام قليلة في إجازة، فقد أعلن روتر أن وصول رئيس الوزراء إلى المحمرة كان للتوسط وأن يختم أمر الشيخ دون إراقة دماء.حاول البريطانيون منذ اليوم الأول منع الحكومة من غزو الاقليم بحجة الوساطة.لكن العمل أصبح مكشوفا للغاية، وقام الناس والصحف في طهران بالتحرك، ودارت محادثة في دار الشورى، توقف البريطانيون عن التدخل من بعد.وتعرض الشيخ للإذلال دفعة واحدة، ولم يكن لديه خيار سوى التوسل إلى رئيس الوزراء وأرسل برقية يطلب فيها العفو والأمان.

أجاب السيد رئيس الوزراء: سوف أسامحك «إذا استسلمت نهائيا».وأمر أن يذهب الشيخ إلى معسكر الحكومة ويستسلم.على الرغم من أن الشيخ رد بأنه لا خيار أمامه سوى الاستسلام وأنه يريد الأمان خوفا على حياته، إلا أنه رفض الذهاب إلى معسكر الحكومة.

هذا، وأنه قصد السيد رئيس الوزراء من شيراز إلى زيدان، لأمر الجيوش بالهجوم، ومن الجانب الآخر، مر جيش خرم آباد عبر كيالان ووصل إلى دزفول، ولم يستطع الشيخ تحمل ذلك، ووضع زوجاته وأولاده على السفينة، وصعد إلى السفينة بنفسه، وتوجه من الأحواز إلى المحمرة، وكأنه يريد الفرار إلى الكويت أو العراق، لكن ابنه عبد الحميد كان لا يزال في مدينة الأحواز.في هذا الوقت تلقى الشيخ أمرا من رئيس الوزراء بالعودة إلى الناصري مرة أخرى، وفي نفس اليوم قصد السيد رئيس الوزراء من قرية الملا إلى ناصري.

تقرير عن تستر زمن هذه الانتفاضات:

في أعمال الشغب هذه والذي ذكرنا أوضاع ناصري وأماكن أخرى، كانت للتقارير في تستر لون آخر.لأنه بالإضافة إلى تمركز مجموعة من الجنود في حصن سلاسل

في تستر، إلا أن الشيخ كان قلقا بسببهم.وبما أن موظفي الحكومة في تستر، مثل الناصري ومدن أخرى، لم ينضموا إلى «لجنة قيام السعادة» وظلوا في موالاة الحكومة، لهذا السبب رسم الشيخ خطة أخرى لهذه المدينة.وحقيقة أنه كان لا يزال يجند في الجيش في بداية العمل، وأرسال أشخاصا إلى تستر، واستدعى الباقين من الآغاوات والسادة الذين بقوا في ذلك الوقت في البيوت، أو كانوا يعملون في الزراعة والتجارة إلى الناصري، وحينما ذهبوا إلى الناصري، أعطاهم مائة تومان من النقود وثوبا لكل واحد منهم.وأعطى لكل منهم العدد الذي يريده من البنادق والرصاص وأعادهم إلى تستر، وكل واحد منهم يجمع المسلحين في حيه، ويثيرون الفتنة كما في الماضي.لم يكن بعضهم راضين عن هذا العمل ويخافون من نهاية الأمر، لكنهم كانوا مضطرين أن يتبعوا أمر الشيخ، خاصة وأن ثقة الملك كان ممثلا للحكومة في الناصري، بجانب الشيخ.وفي هذا الوقت يؤكد للجميع أن لا يخافوا من المستقبل.

أحد هؤلاء السادة الذي كان أكثر شرا في إيران هو السيد باقر كلانتر.على الرغم من كل الخيرات التي قدمتها الحكومة الإيرانية له وحررته من الهند، فقد كان في هذا الوقت ألد خصوم للقوات وموظفي الحكومة.والآخر أمير خان وهو الذي قتل خادم ظهير الملك وكانت له ملف في القضاء.والثالث هو كاظم داوود، هذا الشاب الوسيم كان له شهرة كبيرة في الاقليم، ويقال أنه كان قاتل الحاج السيد عبد الله، إمام صلاة الجمعة.وفي هذا الوقت كان معظم خوف موظفي الحكومة من قبله، ولكن على العكس، أنه لم يضايق أحدا، وكان يعاملهم معاملة حسنة، ويفعل ذلك مقابل مكافأة صغيرة من المساعدة التي تلقاها مني.

وعندما وصلوا إلى تستر، جمع كل منهم مسلحا في حيه، وفتحوا أبواب المكاتب القديمة، وشيئا فشيئا دخلوا في الدوائر.

كان مائتين أو مائتين وخمسون جنديا في الحصن، وبعد رحيل العقيد باقر خان، الذي أُعطيت قيادته لرضا قلي خان، كان هذا الرجل المخادع يعيش في الناصري

عند خزعل على الدوام، ولا يهتم أبدا بالقوات.الشيء الوحيد الذي حدث له هو أنه أرسل برقية واستدعى السلطان حسين آغا، وهو كان شابا غيورا وماهرا وفي غياب الرئيس كان قائد الجيش، إلى ناصري بحجة أنه سيصدر له أمر.ولما وصل اعتقلوه وأرسلوه إلى سجن فيلية.

كان الغرض من ذلك هو أن لا يكون هناك مانع للقوات وينضموا إلى المتمردين، لكن القوات اكشتف نية رضا قلي خان، ولم تعترف به كقائد بعد ذلك.وبما أنه لم يكن لديهم رئيس آخر، ولم يتمكنوا في هذا الوقت من الوصول إلى طهران أو غيرها من الأماكن لطلب الأوامر، قبلوا الدكتور السيد أحمد خان، وكان له رتبة السلطان، رئيسا لهم.وأيضا تدخلت أنا في عملهم مادام كانت الطريق مفتوحة بين المدينة والقلعة.ولأنه كان يخشى أن تكسب الأوباش القوة ويحاصروا القلعة، فقد زودناهم في وقت قصير بالمال والطحين والإمدادات الأخرى لعدة أشهر.

في غضون ذلك، بدأ السادة في التشدد ومنعوا القوات من القدوم والذهاب إلى المدينة.وذات يوم عندما جاء أحد الجنود إلى المدينة، تبعوه وأطلق النار لحماية نفسه وقتل شخص من أهالي تستر.هذا، وإنه تم إغلاق الطريق بين المدينة والقلعة وحوصرت القوات.

ولكن الإدارات الأخرى، كان رئيس دائرة الأمن نادما لعدم انضمامه إلى الشيخ خزعل خان كغيره.وكان قد رأى حلما وأنه ينصحه شخص ليذهب إلى الشيخ، ويريد أن يندفع إلى الناصري بحجة هذا الحلم وينضم إلى الشيخ مثل غيره.هذا، وأنه كان قد ترك المكتب ليلا دون رقابة وتوجه إلى الناصري، ولكن في منتصف الطريق تم اعتقاله وأرسلوه إلى سجن الفيلية، ولم يحقق هدفه.

وذات ليلة، بعد مغادرته، دخل المتمردين في المكتب ونهبوا كل ما بداخله.

فر رئيس دائرة الأمن، الذي أرادوا أن يلقوا القبض عليه، ليلا، وذهب إلى حصن السلاسل بالقرب من القوات.

أرسل رئيس التلغراف، من أنصار الشيخ خزعل، إلى تستر لمراقبة الآخرين، وأنه قد يأس من الحكومة وهيمنتها، إلى أنه أخذ كل الأموال من المكتب وصرفها، فأحيلت قضيته إلى محكمة جنايات طهران، وأودعوه السجن.

وعلى الرغم من عدم تعرض إدارة القضاء والمالية للهجوم أو النهب، إلا أنهم كانوا خائفين، خاصة أنا، مؤلف هذا الكتاب؛ لأنني أخبرت أن الشيخ عبد الحميد نجل خزعل خان أرسل ثلاثة أشخاص إلى تستر لإيذائي عندما تسنح لهم الفرصة.وكشف أحد هؤلاء الثلاثة في حالة السكر ليلا عن هذا السر.وعلى هذا، كنت خائفا أكثر من الآخرين.لكن بما أنه لم يكن لدينا أي أمل إلا الله، كان علينا جميعا أن نقضي ليلتنا ونقلق بشأن ما يحدث.

بالاختصار: الأمن الذي كان يتمتع به موظفو الحكومة في الناصري وأماكن أخرى، لم يكن لدينا في تستر، ونقضي أيامنا في خوف ومشقة.بعد أن كانت الأمور في أيدي السادة، أرسل الشيخ خزعل علي محمد من توشمالان بختياري إلى حكومة تستر، وأحضر معه مجموعة من البختياريين، وهكذا تصاعدت الفتن والثورة.

في الليل، يطلق الجميع النار ويسلبون النوم والراحة من الناس، وفي النهار، يأخذون في اعتقال الناس ويشددون عليهم ويضايقون الفقراء قدر استطاعتهم.في حرارة الصيف تلك، حُرمنا من النوم على السطح ليلا.واضطررت إلى تغيير مكاني بعض الليالي والخروج من المنزل وقضاء الليل في مكان آخر.مر شهران آخران على هذا النحو، وزاد المتمردون من شجاعتهم وقوتهم يوما بعد يوم.أولئك الذين لم يروا تستر وكيفية تصرف هؤلاء الخبثاء، لن يعرفوا مدى مضايقة الناس ومدى المصاعب التي حلت بنا.وهذا ما رواه لي شخص ونورده هنا كمثال على سلوك وتصرف أولئك المتمردين: سيد من عائلة إمام الجمعة يستيقظ في الصباح على صوت الباب، فيلبس ثيابه ويفتح الباب، وفجأة، وجد نفسه ملقيا عدة أشخاص بنادقهم عليه، واحد يأخذ يديه والآخر يأخذ جيوبه ويحاول إفراغهما والثالث يفتش حواليه، والرابع

يلكمه في رأسه ووجهه.

في غضون ذلك، يبكي المسكين ويسأل على التوالي: «ماذا حدث؟ ما الذنب الذي ارتكبته؟» ولم يرد أحد.وعندما ينتهون من عملهم، يجيب أحدهم على هذا السؤال ويقول: «أيها الملعون! الخان يريدك» ويفهم أن والي تستر أراده!

في بداية جمادى الأولى استعد التمردون لمهاجمة قلعة السلاسل والقتال مع القوات هناك، ويبنون السواتر على الأسطح.وفي يوم الثلاثاء، الخامس من شهر آبان (تشرين الأول)، فجأة اندلعت حرب في الصباح.اطلق المتمردون النار على جميع الجهات من أسطح المنازل، ودافع الجنود بالبنادق، وكانت المعركة صعبة.كان عدد المسلحين في المدينة أكثر من ألف وبضعة أضعاف أكثر من جنود الحصن، لكن جيش خرم آباد وصل في اليوم السابق إلى دزفول وهرب الشيخ موسى، منصوب الشيخ، من هناك، وصل هذا الخبر إلى القوات فدافعوا بشجاعة وباطمئنان.هذا، وأنهم لم يكتفوا بالدفاع، وأرسلوا مجموعة من الفرسان من الحصن، وهاجموا معقل المتمردين في إمام زاده عبد الله من جنوب المدينة، وجعلوا مسلّحيه متفرقين.

بالاختصار، لم تستمر الحرب أكثر من ثلاث ساعات، وهزم المتمردون، وتشتت المسلحون؛ وذهب كل منهم إلى مكان ما أو اختبأ في المدينة.ومن أسباب هذه الهزيمة أن بعض قادته سمعوا نبأ وصول القوات الحكومية إلى دزفول أمس وفروا من المدينة ليلا.نعم، في وقت قصير أصبحت المدينة خالية من المسلحين، واستقر الهدوء.وبما أن القوات لم تخرج من الحصن، فقد سيطرنا على المدينة، وتم القبض على رؤساء الأوباش الذين بقوا في المدينة.

في اليوم التالي، سارع فوج من جنود دزفول، الذين سمعوا بخبر هذه الحرب، إلى تستر.وكان قائدهم العقيد محمد علي خان البلوش.لأجل ذلك الانتصار، وما قامت به القوات، أقيمت احتفالات في قلعة السلاسل ومن ثم في العدلية، وقام الناس

بتزيين الشوارع.

نهاية الحكم العربي للأقليم وادارته بصورة مباشرة من قبل الحكومة المركزية في طهران.

وصل السيد رئيس الوزراء من ميناء ديلم إلى ساحة معركة زيدان، في يوم الجمعة، الأخير من ربيع الثاني. بعد التوقف هناك لمدة أسبوع، بما أن الشيخ قد أرسل تلغرافا لقراره النهائي، قصد إلى الناصري من هناك، ووصلوا إلى هذه المدينة في التاسع من جمادى الأولى. والمثير للدهشة أن في هذا وقت كانت الناصري مليئة بالمسلحين العرب. ومن ناحية أخرى، كانت الحرب لا تزال مستمرة في رامهرمز. ومع ذلك، وصل السيد رئيس الوزراء، الذي كان يرافقه عدد قليل من الوزراء وقليل من القوات، إلى الناصري، وكانت القضية نفسها مفاجئة للغاية.

كما قلنا، هرب الشيخ خزعل إلى المحمرة، عاد إلى الناصري في نفس اليوم أو في اليوم التالي، وجاء إلى السيد رئيس الوزراء نادما خجلا. كما قالوا، أعرب عن ندمه بهذا البيت ويطلب العفو:

أنا أفعل سيئة وأنت تكافئني بالسيئة إذن أخبرني بالفرق بيني وبينك

وكان السيد رئيس الوزراء في الناصري لمدة ثلاثة أيام مع الوفد المرافق له. وفي نفس الأيام، سيطرت قوات على رامهرمز أيضا وأنهت الحرب. في اليوم الحادي عشر، قصد من هناك إلى تستر، وفي اليوم الثاني عشر، أعلن عفوا شاملا عن جميع المتمردين في هذه المدينة. ومن هناك ذهب إلى مسجد سليمان، ومن هناك وصل إلى الناصري مرة أخرى، ومن هناك ذهب إلى دزفول وعاد إلى المحمرة، ومن هناك عاد إلى طهران عبر العراق.

وفي هذه الرحلات كان برفقة الشيخ عبد الكريم نجل الشيخ. لكن الشيخ وأبناؤه الآخرون كانوا في الاقليم في ذلك الوقت، ويسكنون في الفيلية. وأحيانا كان أبناؤه يترددون إلى الناصري. ولم يعرف بعد نهاية الأمر، إلى أن في شهر شوال من السنة

نفسه، تم اعتقال الشيخ وابنه عبد الحميد في المحمرة وإرسالهما إلى طهران عبر خرم آباد.هكذا انتهت قصة العصيان والتمرد، وننتهي هنا أيضا كلامنا[1](*).

---

(١) (*) زيادة في المعلومات والفائدة التاريخية في أحوال الحكم في اقليم الاحواز في عهد أسرة الحاج جابر بن يوسف بن مرد أو ولديه مزعل وخزعل ضرورة مطالعة هذين المرجعين لأن فيها تفاصيل تغنى الباحث عن علاقة هذه الأسرة الحاكمة للاقليم قرابة نصف قرن بالحكومة القاجارية الايرانية والحكومة العثمانية والحكومة البريطانية والمرجعان هما:

١ - حكم الشيخ خزعل بن جابر واحتلال امارة عربستان، تأليف أ. د. وليم كيودور سترنك، ترجمة أ. د. عبد الجبار ناجي، طبعة البصرة، ١٩٨٢.

٢ - التاريخ السياسي لأمارة عربستان، تأليف أ. د.مصطفى عبد القادر النجار، طبعة مصر، ١٩٧١.

الملاحق

والآن، كما وعدنا، نأتي هنا في تذييل الكتاب ببعض أقوال السيد محمد المشعشع من كتابه «كلام المهدي».

- ١ -

في هذه الكتابة، يكشف عن إيمانه الباطني بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ثم يتطرق إلى دعواه.

بسم الله الرحمن الرحيم.الاعتقاد أن عليا الذى كان بجنب النبى هو السر الدائر فى السماء و الأرض و محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان هو الحجاب بنوع الرسالة والأحد عشر إماما كانوا هم الملائكة منهم إليه و منه إليهم.وسلمان من أهل البيت و البيت هى الطريقة والمعرفة.وكل من وصل إلى عرفانه كان سلمان فى كل عصر وزمان.وهذا السيد الذى ظهر هو بمنزلة كل نبي وكل ولي بالنوع الظاهر وضعف البشرية لا بالقوة القاهرة لأن الحقيقة لا تنتقل بل ينتقل الحجاب ويتصف البدن كجبريل مع تشكله بعده أبدان مع بقاء الحقيقة على حالها والله هو الغني الحميد.

- ٢ -

هذه كتاباته المذكورة في الصفحتين ١٠ و ١١ والصفحتين ٢٠ و ٢١.هنا عبارات "حتى جائت شعشة الجعدي ..." و "إلى أن جائت شعشة الدوب"، وكل واحدة منها تشير إلى قصة، وليست واضحة لنا.ما فهمنا المعنى الدقيق لكلمة شعشة.

بسم الله الرحمن الرحيم.أيها الناس رحمكم الله تعالى وعفى عنكم، من يكون امتحن الله أعظم من هذا السيد الذى ترونه.تم خمسة عشر سنة يلعنه الناس ويسيونه

ويأمرون بقتله وقتل أولاده، وهو ينهزم من بلد إلى بلد حتى جائت شعشة الجعدي، وما بقيت الأرض تسعه، حتى هرب إلى الجبال وصار كل أهل الجبال يريدون قتله من تلك الشعشة فما نجى إلا بعد اليأس، ثم عاد إلى بلاد العراق، وصارت تطلبه المغل وجميع من كان له صديقا صار عدوا، ولا بقى له مكانا يكون به وضاقت به الأرض، إلى أن جاءت شعشة الدوب، ذاق منها مراراً لا يعد ولا يحصى، مقاسات الأعداء والخوف منهم، حتى تمكن ولده واسقاه من العلقم ما لا يوصف بحد، وجرى ما قد جرى، ثم قتل ولده ومضى إلى رحمة الله ورضوانه تقبله الله وقابله بالعفو، إنه هو الغفور الرحيم.ودارت عليه أهل الأرض كلهم والعسكر فوق ذلك، وبلغت القلوب الحناجر كاظمين، وأعانه الله وهو المعين، وتخلف عنده ضعفاء العسكر بقايا كربلاء والدوب وهم حملة الأمانة إلى يوم القيامة، فأى شيء بنى عليه حتى يعمل، امتحنه الله بسقم جسده غاية الامتحان هذا المأمول من القادر الذى بذلنا فى معرفته المهج أن يتركه طريحا تحت حوافر خيول الظالين، يعز على الله وعلى الرسول، فمن ابتلى أعظم من هذه البلوى، أم من رزى أبلغ من هذه الرزية.ادعوا بفرجه فرج الله عنكم وعنه إنه سميع الدعاء، وهو القريب المجيب وهو أقرب إليه من حبل الوريد، والسلام على من اتبع الهدى.

هذا هو دعاء الزيارة التي ذكرناها، ويبدو أنه كتبها ليقرؤها أتباعه يوميا أو في بعض الأيام، ويتضح من كلماتها ما يدعيه هذا الرجل الأحمق، وما هو الموقف والمنصب الذي أحسبه لنفسه، تشير بعض الجمل في دعاء الزيارة هذه، إلى الادعاءات التي ذكرناها في هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم.السلام عليك يا من سره مقام الرحمن، السلام عليك يا من هو اللسان المعبر بالحقيقه والوفاء، السلام عليك يا من أظهر فضلهم ونهى أمر الشريعة والقرآن، السلام عليك يا من بدليله تساوي الأئمة، بحياة الأبدان، السلام عليك يا من سهت دون حجاجه كل مجادل من الإنس والجان، السلام عليك يا من

المولاه أزال التكليف لظهور والمعهود بملكوتيه الأعلى، يا من بصفاته البشرية حصول الاختيار للخاص والعام، السلام عليك يا إمام المهدي والطريقة الوسطى للأنام، السلام عليك يا مزيح الدجى وكاشف الغطاء بالإلهام، السلام عليك يا آخذ الثار من الفجرة الكفار، السلام عليك وعلى أجدادك الطاهرين وآلك الصالحين، أنت الذى يرجع الغالي ويلحق بك التالي، لعن الله من غشك وعصاك، لعن الله من جهد حقك الجلي، لعن الله من انكر أمرك الكلي لعنا وبيلا دائما واصبا سرمدا، لا انقطاع لأوله ولا انتهاء لأمده.

كما مره ذكره، كان سيد محمد أحيانا يختلق القرآن ويؤلف سورا مثل سور القرآن، بما في ذلك اختلق سورة مقابل سورة "الرحمن"، والتي سنأتي بجزء من بدايتها هنا:

بسم الله الرحمن الرحيم.صدق الله العظيم المنان الحليم الغفور الديان مبدل السيئات عفوا ومغفرة و إحسانا، لا إله إلا هو الرؤوف الحنان، والأرض وضعها للأنام، فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام، والحب ذو العصف والريحان، فبأي آلاء ربكما تكذبان، الرحمن الرحيم واسع المغفرة عن المذنب الجان، رب المشرقين رب المغربين، فبأي آلاء ربكما تكذبان، الخالق البارئ المصور للإنسان، له الأسماء الحسنى، فجل عن الخلل والنقصان، مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان، فبأي آلاء ربكما تكذبان، اللطيف للمنعم على عباده بالغفران، الذى جعل أنبيائه وأوليائه بحري العرفان، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، فبأي آلاء ربكما تكذبان.

نحضر سورة أخرى منه، حيث يدعو الناس للمساعدة وأيضا يسأل الله العون.

بسم الله الرحمن، فهذا أوان أخذ الثار بامرالله القوي الجبار، فالواجب على سائر أهل الأبصار السعي والدخول فى سلك الأنصار، ومن لم يكن بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون، اجيبوا داعى الله وآمنو به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم، اللهم صل على سائر الأنبياء المرسلين والشهداء والمقربين، واعن اللهم وليك القائم بأمرك الصاع بما أمرته، القائم بوظائف ما حمله لأخذ ثأرك وثأر خاصتك من خلقك

وصفوتك من عبادك حتى تملك مشارق الأرض ومغاربها، برها وبحرها، سهلها وجبلها، حتى تبلغه نهيه المقصود وترفعه الى مقامك الرضى المحمود، اللهم انصر ناصريه واخذل خاذليه، ودمدم على من غشه وناواه، إنك تسمع وترى، برحمتك يا أرحمن الراحمين.

مصادر ومراجع الدراسة والتحقيق

١- الأحواز في أدوارها التأريخية، علي نعمة الحلو، ط بغداد، ١٩٦٩.

٢- احسن التقاسم، المقدسي.

٣- أربعة قرون من تاريخ العراق، استيفن هملي لونكرك، ط بغداد، ١٩٦٨.

٤- أعيان الشيعة، عدة اجزاء، محسن الأمين العاملي، ط بيروت.

٥- البدو، ج٤، ماكس فون أبنهايم، ط لندن ١٩٦٧.

٦- تاريخ امارة كعب، مشايخ كعب، ط النجف، ١٩٦٨م.

٧- التاريخ السياسي لامارة عربستان، د.مصطفى عبد القادر النجار، ط مصر ١٩٧١.

٨- تاريخ الغياثي، عبد الله البغدادي الغياثي، ط بغداد، ١٩٧٥.

٩- تذكرة شوشتر في تاريخ تستر، عبد الله بن نور الدين التستري، ط بغداد، ٢٠٢٢م.

١٠- تاريخ المشعشعين وتراجم أعلامهم، جاسم حسن شبر، ط النجف، ١٩٦٥م.

١١- حديقة الزوراء في مسيرة الوزراء، عبد الرحمن بن عبد الله السويدي، ط بغداد، ١٩٦٢.

١٢- حكم الشيخ خزعل بن جابر واحتلال امارة عربستان د.وليم تيودور سترك، ط البصرة ١٩٨٣م.

١٣- الدرر الحسان في منظومات ومدائح خزعل خان، عبد المسيح الانطاكي، ط مصر ١٩٥٨.

١٤- دليل الخليج القسم التاريخي، ج٥، ج.ج.لوريمر، ط قطر ١٩٦٩م.

١٥- ديوان صالح التميمي، ط النجف.

١٦- الرياض الخزعلية في السياسة الإنسانية خزعل جابر الكعبي، ط

بيروت، ١٩٢٠م.

١٧- الروض المعطار في خبر الأقطار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، ط لبنان ١٩٧٥.

١٨- الرحلة المكية علي بن عبد الله الحويزي، ط بغداد، ٢٠٢١.

١٩- زاد المسافر ولهفة المقيم والحاضر فتح الله بن علوان الكعبي، ط بغداد، ٢٠٢٢.

٢٠- السيرة المرضية في شرح الفرضية، عبد علي بن رحمة الحويزي، ط بغداد، ٢٠٢٢.

٢١- صورة الأرض، ابو القاسم حقل النصيبي، بيروت.

٢٢- موسوعة تاريخ ايران السياسي، د.حسن كريم الجاف، ط بيروت، ٢٠٠٨.

٢٣- مؤسس الدولة المشعشعية، جاسم حسن شبر النجفي، ١٩٧٣.

٢٤- معجم البلدان ياقوت الحموي، ط بيروت، ١٩٥٦.

٢٥- الوجيز في تاريخ ايران، د.حسن كريم الجاف، ط بغداد.

المحتويات



خمسة قرون
من تاريخ إقليم
(الأحواز-عربستان-خوزستان)

(خمسة قرون من تاريخ خوزستان) أرّخ فيه المؤلف لأحوال الاقليم السياسية والاجتماعية منذ منتصف القرن التاسع الهجري، منتصف القرن الخامس عشر الميلادي حتى نهاية النصف الأوّل من القرن الرابع عشر الهجري نهاية الربع الأوّل من القرن العشرين الميلادي، وتناول في تلك الحقب تاريخ حكم الدولة المشعشعية التي أسسها السيد محمد بن فلاح الواسطي العراقي بتاريخ ٨٤٤هـ.

في إقليم الأحواز وجنوب العراق، وتولي الحكم فيها هو وأولاده وأحفاده، وكان نفوذ وقوة وسيادة تلك الدولة يتراوح بين القوة والاتساع والضعف والتراجع حتى قوضت في مطلع القرن العشرين الميلادي مطلع القرن الرابع عشر الهجري، وتناول في الجزء الثالث من الكتاب تاريخ حكم دولة أو امارة كعب في جنوب غرب الاقليم ثم الاقليم كله، من مطلع القرن السابع عشر الميلادي الحادي عشر الهجري حتى نهاية الربع الأوّل من القرن العشرين الميلادي منتصف القرن الرابع عشر الهجري .

اعتمد على عدد من المصادر التي كتبت عن تاريخ الاقليم وحكم الدولتين المشعشعية والكعبية، وكانت قريبة من الأحداث، منها: تاريخ الغياثي البغدادي وتاريخ الرحلة المكية والدولة المشعشعية، وتاريخ كعب، وكتاب زاد المسافر ولهفة المقيم والحاضر وكتاب السيرة المرضية وتاريخ حديقة الزوراء وكلشن خلفاً وتذكرة شوشتر وغيرها من المصادر الفارسية والتركية والعربية.

ISBN:978-9922-732-41-1
9 789922 732411
DESIGNED BY MOHAMED MAHDI